أ.د. هدى محمد قناوى

الطفل

تنشئته وحاجاته



مكتبة الأنجلو المصرية

الطفـل
تنشئتة وحاجاتة

الطفل

تنشئته وحاجاته

تأليف

أ.د. هدى محمد قناوى

عميدة كلية التربية النوعية ورياض الأطفال

ببور سعيد



بطاقة فهرسة

قناوى , هدى محمد .

الطفل تنشئته وحاجاته

تأليـف الدكتور هدى محمد قناوى

297 ص ، 17× 24 سـم

رقـم الإيداع :2008/5044

978 -977-05-1690-2 : ISBN

طبع فى جمهورية مصر العربية بمطبعة محمد عبد الكريم حسان

مكتبـة الانجلـو المصريـة 165 شارع محمد فريد القاهرة ـ مصر

تليفون : 23914337 (202) ؛ فاكس : 23957643 (202)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

www.anglo-egyptian.comWebsite

الإهـــــداء

أهدى باكورة إنتاجى العلمى إلى من شاركنى التعب والجهد والعناء فى سبيل المعرفة والحقيقة .. إليه ثمرة جهدنا المشترك فهو صاحب الفضل فى ظهور هذا العمل العلمى .. إلى زوجى اعترافاً منى بفضله ..

أما الزَّبدُ فيذهب جفاءً وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض .

المؤلف

مقدمة المؤلف

إن رحلتى مع هذا الكتاب ليست بنت اليوم أو سنوات قصيرة خلت : وإنما تمتد إلى سنوات طويلة عشت فيهما كمربية ترعى براعم مصرنا العزيزة فى مدارسنا المصرية .. عشت مع تلميذاتى كأم ترعى فلذات كبدها وتتمنى أن تراهم كأفضل مايكون الإنسان المصرى ، ومن هنا كان يشغل فكرى دوماً عديد من المشكلات التى يمكن أن تثيرها المواقف المتعددة ، التى أمر بها مع تلميذاتى حتى إذا كان عملى بالجامعة والاقتراب من الدراسات الأكاديمية المتنوعة .. تفاعل كل هذا وأصبح من العوامل الدافعة لى لأن أحاول صياغة بعض أجزاء من تجربتى فى هذا المجال لأقدمها للآباء وللمعلمين ، على أمل أن أشاركهم وأن يشتركوا معى فى تحقيق الأسلوب السوى الذى نرتضيه معاً لكى نأخذ بأيدى أبنائنا التلاميذ وأطفالنا الصغار نحو تنشئة اجتماعية أبسط مايقال عنها أنها سوية ، وفى هذا الإصلاح وخير لمصرنا العزيزة ولنا جميعاً .

ولما كانت الأسرة والمدرسة والمجتمع عموماً من الأمور الواضحة باستمرار أمام عيونى ، والتى تشكل المجالات الحيوية الأساسية التى تتم فيها تنشئة الطفل ، فقد كان حرصى هنا أن تكون الموضوعات الأساسية التى يعرض لها هذا الكتاب وتتضح فى أبوابه الثلاثة وفصوله التسعة مترجمة لهذا كله .

وقد جاء الباب الأول متناولاً التنشئة الاجتماعية من حيث مفهومها وقد استندت إلى ثلاثة محاور فى التعريف ، حيث عرضت لها كعملية تعليم وتعلم ثم كعملية انتقال الكائن البيولوجى إلى كائن اجتماعى ، ثم كاستدخال لثقافة المجتمع لتصبح جزءاً من ذات الفرد .. وبعد ذلك تعرضت لمضمون التنشئة والعوامل المساعدة عليها والمؤسسات التى تساهم فى عملية التنشئة .

ومع اهتمامنا بالتنشئة كان لابد علينا من أن نلتفت نحو الطفل نفسه لأنه هو الذى يقع عليه فعل التنشئة ، فكان الباب الثانى بفصوله الثلاثة قد اهتم بحاجات الطفل ودور التنشئة فى إشباعها .. وقد قمت بتقسيم الحاجات إلى حاجات خاصة بالنمو الجسمى ، وأخرى خاصة بالنمو العقلى وثالثة خاصة بالنمو الانفعالى والاجتماعى .. وربما جاز لى هنا أن أقول إن الحاجات الاجتماعية الانفعالية إنما تعتبر من النقاط الجديدة التى يمكن أن تحسب إحدى إضافات هذا الكتاب .

ومع الاهتمام الواضح بحاجات الطفل فقد كان لابد وأن نتساءل عما يمكن أن يحدث إذا لم تشبع هذه الحاجات ؟ وماذا تكون النتيجة ؟ ..

وهنا كان الباب الثالث بفصليه وخاتمته حيث تم التعرض إلى جانبين أساسيين ألا ، وهما : النتائج السلوكية لعدم إشباع الحاجات ، والحيل الدفاعية الناتجة عن عدم الإشباع .. والمتصفح لهذا الجزء يستطيع أن يلمح هذه المظاهر غير السوية ، والتى تطلبت منا فى النهاية أن نتوقف لنقول كلمة ختامية نعرض فيها لأهم النقاط التى غالباً ماتوفر الأسلوب السوى فى المعاملة الوالدية .. وقصدت من هذا كمربية تعمل فى مجال الصحة النفسية ، وكأم تمارس هذه العملية فى نطاق أسرتها وكفرد فى مصرنا العزيزة أن أضع بعض الملامح الأساسية للأسلوب السوى فى معاملة الأبناء، أملاً فى أن يستفيد من هذا كل أب وأم ومعلم يريد أن يعرف المزيد من أجل مستقبل أفضل لأبنائنا ولمصرنا .

فى/ ١٤٠٣هـ

/ ١٩٨٣م

المؤلف

فهـــــرس

الباب الثاني

حاجات الطفل ودور التنشئة الاجتماعية فى إشباعها

الباب الثالث

نتائج عدم إشباع الحاجات (الإحباط)

الباب الأول
التنشئة الاجتماعية

الفصل الأول : مفهوم التنشئة الاجتماعية ومضمونها

الفصل الثانى : العوامل التى تساعد على حدوث التنشئة الاجتماعية

الفصل الثالث : مؤسسات التنشئة الاجتماعية

الفصل الرابع : الاتجاهات الوالدية وأثرها فى حياة الطفل النفسية

الباب الأول
التنشـئة الاجتمـاعية

مقدمة :

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أخطر العمليات شأناً فى حياة الفرد ؛ لأنها تلعب دوراً أساسيًّا فى تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد .. والتنشئة الاجتماعية فى معناها العام هى العمليات التى يصبح بها الفرد واعياً ومستجيباً للمؤثرات الاجتماعية بكل ماتشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وماتفرضه عليه من واجبات ، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية ومايحدث للطفل – بل والراشد أيضاً – من تغيرات . ومايتعرض له من مؤثرات اجتماعية كلما دخل جماعة أو مؤسسة اجتماعية جديدة ، وكلما دخل فى دور من الأدوار الاجتماعية غير المألوفة له ، والتى تتطلب منه تعديلاً لسلوكه ، أو اكتساباً لأنماط جديدة من السلوك .

ويعرض هذا الكتاب للتنشئة الاجتماعية من جوانبها المتعددة فى أربعة فصول كما يلى :

الفصل الأول : مفهوم التنشئة الاجتماعية ومضمونها .

الفصل الثانى : العوامل التى تساعد على حدوث التنشئة الاجتماعية .

الفصل الثالث : مؤسسات التنشئة الاجتماعية .

الفصل الرابع : أساليب المعاملة الوالدية وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للطفل .

الفصل الأول

مفهوم التنشئة الاجتماعية ومضمونها

أولاً : مفهوم التنشئة الاجتماعية .

- التنشئة كعملية تعلم .
- التنشئة كعملية تحويل الكائن البيولوجى إلى كائن اجتماعى .
- التنشئة كعملية استدخال ثقافة المجتمع لتصبح جزءاً من ذات الفرد .

ثانياً : مضمون التنشئة الاجتماعية :

- مضمون عملية التنشئة الاجتماعية .
- شروط التنشئة الاجتماعية الملائمة .

أولاً : مفهوم التنشئة الاجتماعية

يتناول هذا الفصل بالعرض والمناقشة وجهة نظر بعض علماء النفس حول مفهوم التنشئة الاجتماعية وماتحدثه فى الفرد من تعلم ، وماتؤدى إليه من تحويل للفرد من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى ، وكذلك أيضاً ماتؤدى إليه من استدخال لثقافة المجتمع حتى تصبح جزءاً من ذات الفرد .

أولاً : التنشئة كعملية تعلم :

يرى أنصار هذا الاتجاه أن التنشئة الاجتماعية فى حقيقتها عملية تعلم ؛ لأنها تعديل أو تغير فى السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة ، وتشير إلى ذلك الجانب المحدود من التعلم الذى يعنى بالسلوك الاجتماعى عند الإنسان ؛ إذ يرى سكورد وباكمان «Secord & Baqckman» أن التنشئة الاجتماعية عبارة عن عملية تفاعل يتعدل عن طريقها سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها (٧ : ٢٠) . وبمعنى آخر فإن الحياة تعلم ، والنمو تعلم ، فالإنسان يتعلم كيف يمشى ويتكلم ويقذف بالكرة ، كما يتعلم كيف يقرأ ويصنع الحلوى ، وكيف ينسجم مع الأقران ، وهو يتعلم أيضاً كيف يحتفظ بعمله ويربى أولاده ، بل وكيف يتقاعد حينما يبلغ سناً لاتسمح له بأن يعمل بكفاءة ، فالإنسان يتعلم كيف يشق طريقه فى الحياة ، والحياة فى المجتمع الحديث سلسلة طويلة من المهام "Tasks" التى ينبغى تعلمها ؛ لأن التعلم الجيد يؤدى إلى الرضا وحسن الجزاء ، بينما يؤدى الفشل فى تعلم إحدى المهام إلى تعاسة الفرد وسخط المجتمع وإلى الفشل فى أداء مايليها من مهام .

وهنا نتساءل : ماذا يتعلم الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية .. ؟

وكيف يتم هذا التعلم .. ؟ .

وللرد على ماذا يتعلم الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية .. سوف نجد التنشئة الاجتماعية تتدخل فى إحداث العمليات الآتية التى تربط بتعلم الطفل الاجتماعى :

(أ) تكوين الآثار والأنا الأعلى .

(ب) تعلم الأدوار الاجتماعية .

(جـ) ضبط السلوك .

(أ) تكوين الأنا والأنا الأعلى :

ترى مدرسة التحليل النفسى أن الجهاز الإنسانى يتكون من الهو «Id» والأنا «Ego»، والأنا الأعلى «Supper ego»، ويمثل هو الجزء اللاشعورى الذى يولد الفرد به، وهو بخصائصه الفطرية يسعى دائماً لتحقيق اللذة ، وعندما يتصل الهو بالمجتمع تبدأ عملية تكوين الأنا عندما يتعلم الفرد كيفَ يتمكن من تحقيق رغبات الهو فى إطار الواقع الذى يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه ، كذلك يشتق الأنا الأعلى سماعياً من أوامر الأب أو الأم أو غيرهما من الكبار الموجهين للطفل ونواهيهم كما تدركها الأنا ، أى مايقوم به الأب آمراً ، ناهياً ، راضياً ، مشجعاً ، مكافئاً (١٢ : ١٥٩) وبذلك تتكون معايير السلوك التى يتمثلها الطفل ، وتصبح جزءاً من ذاته الشخصية ، ويصبح الأنا الأعلى هو المراقب للسلوك الذى يوجه للأنا الأوامر ، ويصحح سلوك الأنا وينذرها ويهددها بالعقاب تماماً كما كان يفعل الوالدان اللذان حل الأنا الأعلى محلهما فى وظيفتهما فى الرقابة والقضاء ، وهذا الأنا الأعلى هو مايسمى (الضمير) بمعنى أن الأنا الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقاليد وطقوس المجتمع من الآباء إلى الأجيال القادمة . ومن هنا تصبح التنشئة الاجتماعية هى العملية القائمة على التفاعل الاجتماعى التى يكتسب فيها الطفل أساليب ومعايير السلوك والقيم المتعارف عليها فى جماعته ؛ بحيث يستطيع أن يعيش فيها ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح ، ولهذا يرى إلكن «Elkin» أن التنشئة الاجتماعية : «هى العملية التى يتعلم بها فرد ما طرائق مجتمع أو جماعة يتعلم معها ، وهى تتضمن تعلم واستيعاب أنماط السلوك والقيم والمشاعر المناسبة لهذا المجتمع أو الجماعة (٧ : ١٩) .

(ب) تعلم الأدوار الاجتماعية :

من جانب آخر فإن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتعلم فيها الطفل أن يسلك بما يتفق مع ماتتطلبه أدوار اجتماعية معينة ، ومع مايتوقعه أعضاء الجماعة من سلوك وتصرفات ممن يقوم بهذه الأدوار التى تتراوح بين دور الابن أو الابنة ، ودور الزوج أو الزوجة ، دور الأم أو الأب ، أو رئيس العمل .. وهكذا .

ويرى جونسون «Gonson» أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم يتعلم الفرد فيها أداء أدوار معينة (٧:١٦) .

والدور الاجتماعى عبارة عن تتابع نمطى لأفعال متعلمة ، يقوم بها فرد من

الأفراد فى موقف تفاعلى؛ أى إن كل دور يرتبط بالمركز الاجتماعى للفرد ، فالمدرس مركز اجتماعى له أدوار معينة فى علاقته بتلاميذه (كالتدريس ، وتصحيح الكراسات، والامتحانات ، وتوجيه النشاط المدرسى .. إلخ) ، والزوجة لها أدوار اجتماعية حيال بيتها وزوجها وأبنائها .. إلخ . وبذلك يؤدى ارتباط المراكز الاجتماعية بالأدوار إلى تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع .. فالدور الاجتماعى لمركز ما يحدد الحقوق والواجبات التى ترتبط بهذا المركز ، ويساعد على تنظيم توقعات الأفراد الآخرين من الشخص الذى يمثل هذا المركز كما يساعد الفرد نفسه على تحديد توقعاته من الأفراد الذين يتعاملون معه (١٩:١١٦) .

(جـ) تعلم ضبط السلوك :

وفى عملية التنشئة الاجتماعية يتعلم الفرد ضوابط السلوك ، وكفه عن الأعمال التى لايقبلها المجتمع ، وتشجيعه على مايرضاه منها حتى يكون متوافقاً مع مجتمعه الذى يعيش فيه .. فالضبط الاجتماعى لازم لحفظ الحياة الاجتماعية وضرورى لبقاء الإنسان . وطبيعة الإنسان لاتكون بشرية صالحة للحياة الاجتماعية إلا بخضوعها لقيود النظم المختلفة التى تهذب النفس وتسمو بها ، وبذلك يعيش الإنسان فى سلام مع غيره من الناس ويكتسب حبهم واحترامهم (١٣:١١٤) .

وبهذا تصبح التنشئة الاجتماعية هى العملية التى ينشأ عن طريقها ضوابط داخلية عند الطفل توجه سلوكه وتحدده وتقيده ، كما تنشئ عنده الاستعداد لمطاوعة الضوابط الاجتماعية والحساسية لها .. وبذلك يصبح الضبط الاجتماعى هو لب عملية التنشئة الاجتماعية ، وهو الظاهرة التى يتميز بها الإنسان عن الحيوان .

وتبدأ عملية ضبط دوافع الطفل فى الأسرة منذ سن مبكرة جداً ، وهناك ثلاث درجات لضبط دوافع الطفل وسلوكه :

تعد الدرجة الأولى : هى أدنى درجات الضبط لأنها تقع فى المستوى العضوى ووسيلتها الشعور باللذة والألم ، وتفيد فى تعلم الطفل تعلماً شرطياً فى مرحلة مبكرة ، فالطفل يكرر مايحدث له ارتياحاً ومايشعره باللذة وتتكون العادة نتيجة هذا التكرار المصحوب بالارتياح واللذة .. كما أن الطفل يكف تدريجياً عن فعل مايحدث له مضايقة ويجلب له الألم . وبهذا الشكل يضبط الطفل التبول والتبرز وكثرة البكاء .. وهكذا تنمو فيه الأنماط الأولى للسلوك المرغوب فيه والمرضى عنه فى جماعته .

والدرجة الثانية : للضبط تقع فى المستوى الاجتماعى : حيث تكون شخصية الطفل قد أخذت فى النمو ، ويكون عقله قد بدأ يميز ويدرك الأمور تدريجياً ، وتتأثر

شخصية الطفل فى هذه المرحلة تأثراً شديداً بالإيحاء والتقليد والإحباط ومختلف القوى المشابهة .. وللمجموعة – الممثلة فى الأسرة والأصدقاء والأقران والسلطة العليا – آثارها فى ضبط السلوك وتنميطه حسب معاييرها وقيمها ومثلها ومبادئها ..

أما الدرجة الثالثة للضبط : فتقع فى المستوى الثقافى ، ويشتمل الضبط فى هذه الدرجة على الظواهر الثقافية والآداب والأوامر والنواهى ، والعرف وأنماط السلوك الرمزية المستحدثة .

إذا كانت هذه هى عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها تعليم وتعلماً ، آن لنا أن نتساءل .. كيف يتم التعلم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية ؟

سوف نجد أن التعلم الاجتماعى يتم من خلال :

(١) التعليم المباشر .

(٢) التعلم العَرَضى (غير المباشر) وهذا يتم من خلال :

(أ) اللعب .

(ب) التقمص .

(جـ) التقليد .

(١) التعلم المباشر :

من خلال تعليم الكبار للصغار قيماً معينة ترتبط بمكانة اجتماعية أو بأدوار اجتماعية ، أو يعلمونهم معايير سلوك تحدد ماينبغى عموماً ومالاينبغى عمله ، بطريق مباشر ، حيث يكافئون الصغار على الأعمال المقبولة فى صورة مديح أو ثناء مما يجلب اللذة والمتعة للصغار ، ويعاقبونهم على الأعمال غير المرغوب فيها فى صورة ذم أو حرمان أو ضرب فيبتعد الصغار عن هذا السلوك ، وبذلك فإن السلوك الذى يكافأ يحدث له تدعيم وتعزيز ولذلك يميل الطفل إلى تكراره ، بينما ينطفئ السلوك الذى لايدعم ويبتعد الطفل عن تكراره .

(٢) التعلم العرضى :

وعن طريقه يكتسب الفرد طرق السلوك التى يجدها لدى الآخرين فى بيئته ويتعلمها بطريق غير مقصود ، ويتم التعلم العرضى من خلال :

(١) اللعب : فاللعب أحد الأشكال التى يتخذها التعلم العرضى ، فالطفل يلعب دور الأب أو الأم ودور الشرطى واللص والمحامى والطبيب والمدرس .. إلخ . ومن

خلال التنقل فى لعبه بين هذه الأدوار يكتسب ويتعلم الأدوار الاجتماعية المختلفة لكل دور ، وهكذا يستطيع الطفل أن ينتقل من دور إلى دور ، دون أن يلاحظ المنطق الشكلى الذى يتبعه الكبار والانتقال من دور إلى دور ، وقيام الطفل بهذه الأدوار جميعاً واكتسابه للمهارات المختلفة المرتبطة بالأدوار يساعد على سرعة عملية التنشئة الاجتماعية وعملها .

(٢) التقمص : يؤكد سيوارد «Seward» أهمية التقمص فى التعلم الاجتماعى حيث يتقمص الطفل خلال تنشئته الاجتماعية دور الكبار فى سلوكهم الاجتماعى ، وتعد عملية التقمص من أهم العمليات التى تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية فى إكساب الطفل قيمه الاجتماعية وخاصة قيم والديه (١٢:١٥٩) .

(٣) التقليد : وهو أساس السلوك الاجتماعى إذ يعتبره ميلر ودولارد «Miller & Dollard» نمط استجابات متعلمة ، حيث إن الطفل فى سعيه لخفض دوافعه ، وإشباع حاجاته يقلد الآخرين ، والسلوك التقليدى عندهما نوعان :

- التقليد المتعمد المتكافئ : وهو مطابقة الطفل بين سلوكه وسلوك شخص آخر مع عدم اتباعه الإشارات فى سلوك ذلك الآخر (مثال ذلك تعلم الطفل أن يحيى صاحب المتجر المجاور لمنزله لأن أباه يفعل ذلك) ، وهنا يستجيب الطفل للإشارات من النموذج الذى يحتذيه فقط .

- والتقليد الناسخ : الذى يتعلم فيه الطفل سلوكاً جديداً عن طريق المحاولة والخطأ .. مثل ملاحظة سباح ماهر ثم قيامه بالتدريب ليتعلم كيف يقفز إلى الماء قفزة سليمة. وهنا .. يستجيب الطفل إلى جانب الإشارات إلى إشارات التشابه والاختلاف الناتجة من استجاباته هو نفسه ، ومن استجابات النموذج المحتذى أيضاً (٧:٤٢) .

ومما سبق يتضح لنا أن التعلم يلعب دوراً مهماً فى التنشئة الاجتماعية ، غير أن التنشئة الاجتماعية أعم من مجرد التعلم لأنها حصيلة عمليات متعددة ، وقد تكون عملية التعلم الاجتماعى لأنماط السلوك الاجتماعى أهم تلك العمليات ، حيث يكتسب منها الطفل عادات وتقاليد وقيم مجتمعه حتى يصطبغ فهمه وإدراكه للعالم الخارجى المحيط به بإدراك هذا المجتمع ، وحتى يفسر خبراته فى إطار ذلك الإدراك .

ثانياً : التنشئة الاجتماعية كعملية تحويل الكائن البيولوجى إلى كائن اجتماعى :

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى تتناول الكائن الإنسانى البيولوجى لتحوله إلى كائن اجتماعى :

- فيرى **فؤاد البهي** : أن التنشئة الاجتماعية في معناها الخاص هي نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي ، وتمتد لتشتمل على كل مايحدث للفرد ، حتى يتوافق بسلوكه مع معايير الجماعة التي ينضم لها ولأسلوب حياتها .

- ويرى **سيد عثمان** : أن الكائن الإنساني الذي يبقى زمناً معلوماً في رحم الأم البيولوجي يخرج ليتلقفه «رحم الجماعة» زمناً أطول ؛ حيث يتناوله بالتشكيل والتطوير الاجتماعي مثلما فعل به الرحم البيولوجي في تشكيله وتطويره العضوي .

- وترى **فوزية دياب** : أن التنشئة الاجتماعية عملية تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر يتفاعل بعضهم مع بعض ، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة .

ويتضح ذلك في :

(أ) مساعدة الطفل النامي على اكتساب السلوك الاجتماعي .

(ب) السمو بالحاجات الفسيولوجية إلى الاجتماعية (الحاجات الإنسانية) .

(أ) مساعدة الطفل النامي على اكتساب السلوك الاجتماعي :

فالوليد البشري أكثر الكائنات الحيوانية عجزاً وأشدها ضعفاً عند ولادته – هذا إذا نظرنا إلى قدراته الفعلية – على مواجهة الحياة .. ولكن هذا العجز وهذا الضعف تقابله حساسية هائلة للمؤثرات الخارجية ومرونة كبيرة ، تمكنه من إكتساب أنماط سلوكية متعددة متباينة بحسب المواقف العديدة وخبرات الحياة المنوعة التي يمر بها ، ومن هنا تساعد هذه المؤثرات البيئية الخارجية ذلك الوليد على التفاعل الاجتماعي، الذي يشكل في الحقيقة تفاعلاً بين العوامل البيولوجية والاجتماعية التي تشكل شخصية الإنسان .. فدون الفرد البيولوجي لايمكن أن يكون هناك سلوك ، ولايمكن أن يتصف هذا السلوك بالصفة الاجتماعية دون وجود أشخاص آخرين يتفاعل معهم هذا الفرد البيولوجي ، والحقيقة المهمة في التفاعل الاجتماعي ، أن الإنسان حيوان اجتماعي يعتمد على غيره من الأفراد الآخرين في ناحيتين :

الأولى : أن نموه الجسمي واستمرار هذا النمو يعتمدان على مساعدة الآخرين له وعنايتهم به .. فالطفل الإنساني يستمر اعتماده على الغير لمدة طويلة بعد ولادته، ودون هذه العناية لاتقدر له الحياة .

والثانية : هى أن الأفراد الإنسانيين يعتمدون على الآخرين فى تنمية تلك الصفات التى تجعل منهم أفراداً إنسانيين .. من خلال التعامل والتفاعل مع أفراد البيئة.. ذلك التفاعل الذى يؤدى إلى استمرار وجوده واكتسابه الصفات الإنسانية التى تميزه دون سائر الحيوانات ، وإلاّ انعدمت أهم المكتسبات الإنسانية التى تميز الإنسان عن الحيوان فى مجتمع ما ..

وتتضح ذلك من خلال اكتساب الطفل للعوامل الثقافية والاجتماعية ، التى تساعده على اكتساب السلوك الاجتماعى فى مجتمعه البشرى .. ولعل ذلك يبرز لنا من تلك الجهود التى بذلها كثير من علماء النفس لتقديم الرعاية الاجتماعية للأطفال المحرومين اجتماعيًا من الحياة البشرية الإنسانية .

- كتلك المحاولة التى بذلها «إتارد Itard» الذى بذل جهداً من أجل تعليم الطفل الغبى (فيكتور) ، الذى وجد ضالاً فى غابة «أفيرون» فوضع له برنامجاً للرعاية والتعليم ، ولكنه لم يتمكن من جعل الطفل يعيش الحياة الإنسانية البشرية الطبيعية لحرمانه منها فى سنوات طفولته الأولى .

- ومن محاولة «أرنولد جيزل» عام ١٩٤١ التى وصف فيها التغيرات التى ظهرت على أحد الأطفال الذى وجد يعيش بين الذئاب فى أحراش الهند ، والذى نقل بعد ذلك إلى أحد الملاجئ ، بعد أن شوهد يعوى عواء الذئاب ويأكل بطريقة بدائية ، وكل ذلك ناتج عن حرمانه اجتماعيًا وأيضاً لم يوفق فى جعله يعيش الحياة الإنسانية البشرية الطبيعية التى حرم منها فى طفولته الأولى ..

- ودراسة كنجزلى ديفز «Kingsley Davis» التى أجراها على الطفل «Anna» التى كانت ابنة غير شرعية اضطرت أمها إلى أن تخفيها فى حجرة مظلمة على سطح المنزل ، وبذلك أصبحت محرومة من التفاعل البشرى مع أبناء جنسها ، وترتب على هذا أن بدت الطفل غير سليمة لأنها لم تختلط إلا بمربية بكماء متخلفة .

معنى ذلك : أن الحرمان الاجتماعى والعوامل البيئية التى تسهم بها التنشئة الاجتماعية لها دور كبير فى عدم إكساب الطفل السلوك الاجتماعى فى الحالات السابقة . كما أن لها دوراً لايخفى على أحد فى إكساب الطفل السلوك الاجتماعى إذا ماعاش فى بيئة إنسانية بشرية .

(ب) السمو بالحاجات الإنسانية :

فعن طريق التنشئة الاجتماعية يتحول الكائن الإنسانى من كائن تغلب عليه

حاجات عضوية بيولوجية الأصل ، إلى كائن تغلب عليه حاجات ودوافع من نوع جديد ذات طابع اجتماعى .. أى إنها تحول الفرد من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته ، لايهدف فى حياته إلا إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية ، ولايستطيع إرجاء حاجاته حين يشعر بالدفع إلى الإشباع ، إلى فرد ناضج يدرك معنى المسئولية ، ويستطيع أن يتحملها ، ويعرف معنى الفردية والاستقلال .. فرد يسلك معتمداً على ذاته اعتماداً نسبيًا ، فرد لايخضع فى سلوكه إلى حاجاته الفسيولوجية .. فرد يستطيع أن يضبط انفعالاته ويتحكم فى إشباع حاجاته ، فيشبع مايسمح له المجتمع بإشباعها ، ويرجئ إشباع تلك الحاجات التى يقتضى الموقف إرجاءها ويقمع تلك الحاجات التى يرفض المجتمع إشباعها ، ويدرك قيم المجتمع ومعاييره على المستوى المعرفى والانفعالى فيلتزم بها .. فرد يستطيع أن ينشئ العلاقات الاجتماعية المشبعة مع غيره فيستمتع ويتمتع بها الغير (٢:٨٠) .

ذلك أن الحياة فى المجتمع تتضمن دائماً قدراً من الإحباط لبعض الحاجات وكلما زادت الضغوط الواقعة على الفرد ، ازدادت تبعاً لذلك حاجته للتكيف والتوفيق بين دوافعه البيولوجية وحاجاته المختلفة من وجهة وبين مطالب المجتمع الذى يعيش فيه من جهة أخرى – هنا – تتدخل الأم لتساعد وليدها وتوجهه وتشجعه على قبول التأجيل والانتظار ويتم ذلك فى جو من عطفها وحبها ، وعلى أساس الارتباط بقوى الطفل الفطرية ومستوى نضجه ، وبذلك يكتسب صلابة عود تتزايد بدرجات بطيئة موازية لقدرته على التحمل واستطاعة الصبر على التأجيل .

وهكذا يسير الحال إلى أن يصل بالتدريج إلى مدى أكبر من الاعتماد على النفس والقدرة على الضبط والاستقلال .

وعلى هذا تصبح عملية التنشئة الاجتماعية هى الأداة التى يستخدمها المجتمع فى تحديد المنافذ المقبولة لتلك الحاجات والقدرات الفطرية لدى الطفل .. فالمجتمع يوافق على أن يقر ضروباً معينة من السلوك كالتعاون والإيثار ، ويحرم ضروباً أخرى مثل العدوان والتخريب والأنانية ، ومجموع هذه الأنواع من السلوك التى يقرها المجتمع هو مايسمى عادة «أسلوب الحياة» أو «المعايير الاجتماعية» .. ولكل مجتمع أسلوب حياته ومعاييره الاجتماعية الخاصة به والمميزة له . وللمجتمعات المختلفة مقاصدها الصريحة والضمنية فيما تريد أن يسود فى أفرادها من اتجاهات ونزعات ومعايير ، ويستخدم كل مجتمع الأساليب والطرق التى تناسبه لتحقيق مقومات النمو الاجتماعى المنشود (١٢:١٣) .

ثالثاً : التنشئة الاجتماعية كعملية استدخال ثقافة المجتمع لتصبح جزءاً من ذات الفرد :

ومن المفاهيم التى تدل أيضاً على التنشئة مصطلح التثقيف Indotrination وهو يدل على العمليات التى بها يتشرب الطفل الأنماط السلوكية التى تميز ثقافة مجتمعه وتميزه عن ثقافة المجتمعات الأخرى .. إذ يرى جيزل «Gessel» أن الطفولة عند الإنسان هى زمن التثقيف (أى التنشئة والتطبيع) ؛ فالحضين ينبثق من تيار بنى جنسه ، ويقذف به فى خضم عالم من صنع يد الإنسان مزدحم بزاد ثقافة عصره . ومايتعلق بها من أمور الحياة ومطالبها القسرية . وفى هذا المعنى يقول بولر وتشارلز Bollar & Charles : «ينتظر كل مولود محيطاً يحتوى على أكثر الأشياء المادية ، وبيئة من المشاعر والأفكار والمعتقدات وأنماط السلوك المرتبطة بها – هذه البيئة الاجتماعية/الثقافية تحتوى على طرائق الناس التى يكتسبها الطفل مع الأيام ، وتصبح جزءاً من ذاته الشخصية ، ولايستطيع منها فكاكاً لأنها كالهواء الذى يتنفسه» (١١١:١٢) تلك هى طبيعة العلاقات التى عن طريقها يغلف الأشخاص الملتصقون بالطفل نفسه بطريقة ثقافية لايسعه إلا أن يهضمها .

فالطفل يستند أساساً إلى علاقاته العملية بالواقع الخارجي . وأداته هى عملية الاستيعاب .. استيعاب الخبرة الاجتماعية التى يصبح بها إنساناً اجتماعيّاً . ويرى فيجوتسكى (٨١:٣٧) أن سلوك الإنسان المعاصر ليس نتاجاً للتطور البيولوجى وحده ، ولاهو نتاج للنضج فقط ، وإنما هو نتاج للتطور التاريخى أيضاً . إن سلوك الإنسان هو من ناحية نتاج لعملية التطور البيولوجى لأنواع السلسلة الحيوانية ، والذى أدى إلى ظهور الجنس البشرى .. وهو من ناحية أخرى نتاج لعملية التطور التاريخى التى عن طريقها تحول الإنسان البدائى إلى إنسان متحضر ، ولايتطابق التطور التاريخى للسلوك مع تطوره البيولوجى ، كما أن أحدهما ليس امتداداً للآخر – فكل منهما يخضع لقوانينه الخاصة» .. فالتطور التاريخى يعتمد أصلاً على عملية الاستيعاب (أو الاكتساب) ، استيعاب الفرد نتاج الحضارة أو الثقافة الإنسانية أثناء معايشته للآخرين (٣٩–٥٢) ، وهذا يعنى أن الخصائص التى تميز سيكولوجية الإنسان عن سيكولوجية الحيوان ، تعتبر فى جوهرها نتاجاً لخصائص الحياة الاجتماعية التى تحيط الطفل

وتستدخل (*) لتصبح جزءاً من ذاته كالهواء الذى يستنشقه ويسرى فى دمه .. وعلى هذا فإن الخبرة الاجتماعية تستدخل من خلال تفاعل الطفل مع البيئة ورموز المجتمع – اللغة – الذى يعيشه الطفل ، حيث إن العوامل الاجتماعية تعيد تشكيل العمليات النفسية لدى الفرد وتجعلها اجتماعية ، وبذلك يكون نشاط الفرد العملى الذى يربطه بالواقع الاجتماعى المحيط به هو الذى يحدد نموه وتطوره ..

وبناء على ماسبق : يتضح أن التنشئة عملية استدخال ثقافة المجتمع لتصبح جزءاً من ذات الفرد .. ومما يسهل هذا الاستدخال ماتتسم به الثقافة من سمات ..

وأهم هذه السمات مايلى :

(١) الثقافة نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى بين أفراد مجتمع من المجتمعات :

تؤدى التنشئة إلى استمرار ثقافة المجتمع ، إذ توفر الثقافة أنماطاً اجتماعية عامة مقبولة ، يستجيب الأفراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية ، فتعمل على إشباع حاجاتهم وهى تنتقل من جيل إلى جيل فى المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال ، وهى محملة بالمعانى التى يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز ، ولذلك فهى ليست نظرية وإنما يكتسبها الفرد فى سياق نموه وسط الجماعة .. ولهذا فهى أساس يؤثر فى تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هذه الجماعة (١٩: ١١٧) .

وتعتمد فى وجودها واستمررها على استمرار المجتمع ، وإن كان هذا الوجود وهذا الاستمرار لايتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها ، وإنما يعتمد على

(*) يتصف العمل الإنسانى باستخدام الأدوات أو الوسائل ؛ فعلاقة الإنسان بالعالم المادى علاقة غير مباشرة ، تتوسطها أدوات العمل والإنتاج – وهى الرموز المختلفة التى يستخدمها فى تعامله مع الآخرين .. والرموز تكون فى البداية ذات شكل مادى خارجى ، ولكنها تتحول بعد استيعابها إلى صورة ذهنية غير مادية . فالطفل لايستطيع فى البداية استخدام هذه الوسائل المساعدة فى تنظيم نشاطه النفسى . ولكن بتقدمه فى العمر يتعلم استخدامها ، بشرط أن تقدم له فى صورة أشياء مادية خارجية ، ثم يكتسب الطفل فى مرحلة تالية ، إمكانة استخدام هذه الوسائل بينه وبين نفسه (أى ذهنياً) ، معتمداً فى ذلك على خبراته الماضية . وهكذا تتكون صور النشاط العقلى الاجتماعية–التاريخية كصور خارجية فى البداية ، ثم تصبح بعد داخلية . واللغة الإنسانية هى النظام الأساسى من الرموز ، الذي يعمل كأداة للنشاط النفسى لدى الإنسان . وهى ذاتها تمر بالطريق الأساسى نفسه لاستيعاب الخبرة من الخارج إلى الداخل . ففى البداية تستخدم اللغة فى صورتها الخارجية أثناء معايشة الآخرين ، وبعد ذلك يستخدمها الطفل فى صورة فردية فى شكل لغة داخلية (٣٩–٣٧) ، وبهذا تكون «الطبيعة النفسية للإنسان تمثل جماع العلاقات الاجتماعية التى نقلت من الخارج إلى الداخل وأصبحت وظائف لشخصية وأشكالاً لبنيتها .

ماتحدثه التنشئة الاجتماعية من نقل ثقافة جيل إلى الجيل الذى يليه ويعقبه ، وذلك عن طريق الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى .

وبما أن الثقافة تميز مجتمعاً عن مجتمع آخر : إذن فالتنشئة من أهم الوسائل التى يحافظ بها المجتمع على خصائصه وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الأجيال (١٢:١٦١) .

(٢) الثقافة لها صفة اجتماعية :

فأعضاء المجتمع يشتركون فى بعض التوقعات والآمال والأعراف والتقاليد، التى تصبح بمثابة معايير أخلاقية واجتماعية لهم .

ومن هنا تكسب الثقافة سلوك الأفراد صفة التشابه ، وتتضمن إطاراً عاماً لسلوك الأفراد بصفة عامة ، ويحفظ هذا الإطار مانسميه بالتماسك الاجتماعى والوحدة الثقافية، كما أنه يكون مايسمى بالمرجع الثقافى . والطفل لايتأثر بما يوجد فى ثقافته فى مجملها ، وإنما يتأثر بما تقدمه له هذه الثقافة من خلال أفراد معينين أو مواقف معينة (من خلال تنشئته وتطبيعه اجتماعيا) على أن هؤلاء الأفراد يشتركون فى أنواع كثيرة من هذه الثقافة ، ويشتركون فى مفاهيم ومدركات عامة – هذه الحقيقة هى نتيجة هذا التفاعل الاجتماعى الذى يتضمن التأثير والتأثر .

(٣) تعتبر الثقافة أساساً للوجود الإنسانى بالنسبة للفرد والمجتمع الذى ينتمى إليه :

فهى تساعد على إشباع حاجاته ، وتوفر له صورة السلوك والتفكير والمشاعر التى ينبغى أن يكون عليها ، ولاسيما فى مراحله الأولى ، كما توفر له وسائل إشباع حاجاته البيولوجية من خلال عملية التنشئة ، وتحدد له أنماط السلوك التى ترتبط بما يشغله من أدوار .. إلخ ، هذه الأنماط التى توفر تلك الوظائف الأولية وتوجهها توجد فى الثقافة ، ويتفاعل الطفل معها منذ طفولته أثناء تنشئته . كما توفر الثقافة للأفراد تفسيرات جاهزة لطبيعة الكون وأصل الإنسان ودور الإنسان فى هذا الكون .. إلخ .

وهنا ينبغى ألايحافظ الفرد على وجوده الحيوى فحسب ، بل لابد له من أن يصير شخصاً بين غيره من الأشخاص ؛ ولذا فإن شخصيته تتوقف على الطريقة التى يتوافق بها إزاء العلاقات البشرية .

(٤) الثقافة توفر للأفرد المعايير التى يميزون فى ضوئها بين الأشياء والأحداث:

فما يعتبره الفرد طبيعياً أو غير طبيعى ، منطقياً أو غير منطقى ، عادياً أو غير عادى خلقياً أو غير خلقى ، جميلاً أو قبيحاً مهماً أو تافهاً جيداً أو رديئاً : يشتق من

معانى الثقافة وأسس التمييز فيها ؛ أى إن الثقافة تضفى على حياة الفرد معنى ، وتكسب الوجود غرضاً ، وتمد الأفراد بالقيم والأهداف والآمال من خلال التنشئة والتطبيع ، وبذلك تشعرهم بأنهم يعيشون من أجل شيء.

معنى ذلك أن التنشئة الاجتماعية لاتسير بطريقة عشوائية ، وإنما تسير دائماً على هدى معايير معينة للمرغوب فيها والمرغوب عنه .. ولذلك تتسم الثقافة بأنها معيارية ، وبأن وظيفتها مساعدة الطفل على استدماج معايير السلوك وتمثلها فى شخصيته ، وبذلك يتعلم الطفل كيف يلتزم بقدر الإمكان بأسلوب الحياة فى المجتمع وبمعايير الثقافة .. كل ذلك من خلال تنشئته الاجتماعية .

(٥) الثقافة تنمي الضمير عند الأفراد :

فمن المسلم به اجتماعياً أن الضمير غير فطرى – فقد يكون صوتاً ضعيفاً أو ساكناً داخل الفرد ولكنه يتحدد فى ضوء تحديدات الجماعة لمعنى الصواب والخطأ ، وينمو عند الفرد بتمثله الداخلى لقيم الجماعة ومعاييرها وتشربها وامتصاصها ، وإذا ما أخطأ فى أمر من الأمور وخالف ماتنتظره منه الجماعة بحسب مستوياتها الثقافية ، شعر بالخزى والعار .. كل ذلك يتم من خلال تنشئة الطفل الاجتماعية فى المجتمع الممثل فى الأسرة ثم المدرسة ، ثم بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى التى تسهم فى عملية التنشئة الاجتماعية .

(٦) والثقافة المشتركة تنمي فى الفرد شعوراً بالانتماء والولاء :

فتربطه بالأفراد الآخرين فى شعور واحد ، وتميزهم جميعاً عن الجماعات الأخرى ، وقد يشتد هذا الشعور عند أفراد ثقافة ما إذا ما اشتدت عزلتهم . وقد تكون شعوراً مستنيراً ، إذا ماقامت علاقات المجتمعات بعضها ببعض على أسس من التقدير والاحترام ، وقد يتحول هذا الشعور عند الفرد إلى غضب وعدوان إذا ما خضعت ثقافته لثقافة أخرى :

وهذا الانتماء والولاء يجعل من السهل على الفرد أن يتكيف مع أفراد مجتمعه، وكل ذلك يبدأ من خلال تنشئة الطفل فى الأسرة ويتسع مع اتساع اختلاط الطفل فى المدرسة وغيرها من المؤسسات إلى أن يشمل المجتمع بأسره .

التنشئة الاجتماعية وثقافة المجتمع :

إذا كانت هذه هى السمات الأساسية للثقافة .. فمن الممكن أن نتساءل عن الأسلوب الذى يتم به فعلاً استدخال ثقافة المجتمع لتصبح جزءاً لايتجزأ من شخصية

الفرد وسلوكه فى المجتمع الذى ينتمى إليه .

إن التنشئة الاجتماعية عملية ينتقى فيها المجتمع من خلال مفوضيه وهيئاته عدداً محدداً من الإمكانات السلوكية لديه ، ليقوم بإبرازها وتنميتها وتدعيمها فى سلوك الطفل الناشئ ، ويقوم فى الوقت نفسه باقتلاع عدد آخر من الإمكانات السلوكية التى لاتتفق واتجاهات المجتمع أو مع قيمه وتقاليده : وهناك الكثير من المواقف الثقافية التى يتعرض لها الطفل ويحتك فيها بأفراد المجتمع ، مثال ذلك :

- أن الطفل قد يتسامح معه أبواه حين ينفرد به أى منهما أو كلاهما معه ، ويتشددان معه كل التشدد إذا كان فى حضرة بعض الضيوف وصدر منه سلوكاً غير مرغوب، أى إن هذا الموقف الاجتماعى يفرض قيوداً على حرية الطفل فى السلوك قد تكون أكثر صرامة من القيود التى يفرضها الوالدان ، وله قوة وأثر فى تشكيل سلوك الأفراد عموماً ، والفرد الناشئ بخاصة بحيث لايمكن للفرد أن يتجاهله أو ينجو من التأثر به .

ومن خلال تفاعل الطفل مع المواقف الاجتماعية المتعددة ، يكتسب الملامح التى تميز ثقافة مجتمعه السائدة ، فمثلاً من حيث اختلاف أدوار الذكور عن الإناث ، ومايتبغى أن يتميز به كل جنس ، فإننا نجد الإمكانات السلوكية المتعددة التى يولد الطفل مزوداً بها ، ينمى بعضها ويدعم عند جنس دون الآخر ، فمثلاً نجد أن الثقافة العربية ومايجرى مجراها من الثقافات المماثلة تشجع الذكر على أن يكون أبيًا لايقبل الضيم ولايتسامح فى العدوان الذى يقع عليه ، ولايفرط فى التعبير عن انفعالات الحزن أو الاستلام للبكاء ، وتشجع الأنثى أو على الأقل تتسامح معها إن أظهرت الدموع ، ومن ذلك أيضاً أن الرجل يتوقع منه أن يكون أكثر إيجابية ومبادأة ويتخير أنشطته بحرية أكبر من الأنثى (٢:٨١) .

وهناك الكثير من آلاف المواقف أو المناسبات الثقافية التى تمتلئ بها حياة الناس من قبيل أداء فريضة العبادة بالمسجد أو الكنيسة وتلقى الدروس فى الفصل ، وسؤال الجيران فى أمر من الأمور ... إلخ .

ويرى كثيرون أن شخصية الناشئ إنما تتكون من خلال التعرض لأمثال هذه المواقف الثقافية والتى تتحدد بنوع الثقافة التى تسود المجتمع .

ولكن مهما يكن الأمر : فإن الثقافة لاتؤثر فى سلوك الأفراد تأثيراً مباشراً وإنما ينفذ تأثيرها إلى الفرد من خلال الجماعات التى ينتمى إليها ويرتبط بها ، وهى الأسرة والمدرسة والمجتمع بمؤسساته الاجتماعية والسياسية والدينية . الخ ..

فالأسرة هى مرآة تنعكس عليها الثقافة التى توجد فيها ، بما تحتويه من قيم وعادات واتجاهات ، وفى محيط الأسرة يستقى الطفل ثقافة مجتمعه وماتحويه من قيم وعادات واتجاهات اجتماعية . وفى الأسرة أيضاً يتعلم الطفل فكرة الصواب والخطأ ، ومنها يتعرف الأساليب السلوكية التى عليه أن يتخذها كما يتعلم الطفل فى الأسرة ماعليه من واجبات وماله من حقوق وكيف يعامل غيره وكيف يستجيب لمعاملة الغير .. إلخ . وجميع هذه الأنماط السلوكية والقيم يتعلمها الطفل فى مراحل تكوينه الأولى فى السنوات التى تسبق دخول المدرسة وتحدد إلى حد كبير أساليبه السلوكية فى المستقبل .

وتعتبر المدرسة من المؤسسات الاجتماعية التى اتفق المجتمع على إنشائها بقصد المحافظة على ثقافته ونقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل ، كما إنها تقوم بتوفير الفرص المناسبة للطفل كى ينمو جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً إلى المستوى المناسب الذى يتفق مع مايتوقعه المجتمع من مستويات ومايستطيعه الفرد ، ويتضح من ذلك أن المدرسة تقوم بوظيفتين على درجة كبيرة من الأهمية فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وهما :

(أ) نقل الثقافة والمحافظة على التراث الثقافى ، ومايطرأ عليه من تعديلات ونمو .

(ب) توفير الظروف المناسبة للنمو حيث تزود وتعرض أطفالها للخبرات المناسبة ، التى تؤدى إلى نموهم جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً .

والطفل حينما ينتقل من الجو الأسرى إلى المدرسة يجد اختلافاً بينهما ، فالمعلمة تختلف عن الأم فيما تعطيه من رعاية وحنان ، وهناك أطفال فى مثل سنه تتعارض رغباته مع رغباتهم وعليه أن يتعلم كيف يوفق بين رغباته ومايحتاجه غيره ، وعليه أن يتعلم كيف يرجئ إشباع حاجاته إلى وقت مناسب ، وعليه أن يتعلم كيف يشارك غيره وكيف ينتظر دوره حتى يتمتع بكل حقوقه ويؤدى كل واجباته .. عليه أن يتعلم ذلك كله فى موقف جديد عليه .. والمدرسة هى المسئولة عن عملية التعلم ؛ هذه حيث تقوم بتعليم الطفل الاتجاهات والقيم والأساليب ، التى تتماشى مع فلسفة المجتمع الذى يوجد فيه .

كذلك فإن المجتمع بمؤسساته المتعددة الدينية والسياسية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، يأخذ دوراً فعالاً فى غرس ثقافة المجتمع فى نفس الطفل منذ أن يشب عن الطوق وسوف نتحدث عن المؤسسات التى تتدخل فى عملية التنشئة الاجتماعية فى فصل لاحق .

ثانياً : مضمون التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية هى عملية إكساب الشخصية مجموعة من القيم التى تقودها وتسير حركتها فى المجال الاجتماعى ، كما أن التنشئة الاجتماعية تبدأ منذ الصغر – كما أوضحنا – وتؤتى ثمارها فى الكبر ، وبعد نضج الفرد ليصبح قادراً على الحياة فى المجتمع بكل معاييره ، ويواجه كل تحدياته بكل مازود به من إمكانات خلال التنشئة الاجتماعية طوال نموه .

لذلك .. لابد وأن يراعى مضمون التنشئة الاجتماعية لتسير حياة الفرد فى اتجاه السواء ، وهذا يحفزنا إلى تناول :

(أ) مضمون عملية التنشئة الاجتماعية .

(ب) شروط التنشئة الاجتماعية الملائمة .

(أ) مضمون عملية التنشئة الاجتماعية :

ونعنى بمضمون التنشئة الاجتماعية : مجموعة القيم والمعايير وأنماط السلوك والاتجاهات التى تعمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية على غرسها فى بناء الشخصية.. ولكى يتحقق ذلك فى مستوياته المثالية – يجب أن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية سليماً متكاملاً حتى يخلق الشخصية السوية التى تتسم بعدد من السمات المقبولة اجتماعياً ..

ومن هنا يجب أن يكون مضمون عملية التنشئة الاجتماعية (٢٨) :

(١) بعيداً عن السلبيات :

أى لاتكون القيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك التى تكسبها للفرد متخلفة أو سلبية أو منحرفة .

– وتعنى بالتنشئة المتخلفة ، تلك التنشئة التى تعيش بمفاهيم العصور الوسطى ، وتجعل الأفراد يستسلمون للخرافات التى تشل حركتهم وفاعليتهم مثل (أمنا الغولة وماسوف تفعله بنا إذا انحرفنا عن الصواب ، والاعتقاد فى السحر ، والدجل ، والتنجيم .. الخ) .

ولذا : يجب أن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية ذا مفاهيم عصرية تؤهل

أفراد المجتمع للتفكير بشكل عقلانى مستنير .

– أما التنشئة السلبية : فهى تلك التنشئة التى تغرس فى قلوب النشء الاستسلام ، فتهدم فيهم إمكانات المغامرة والمخاطرة على خلاف ماهو موجود فى المجتمعات المتقدمة : حيث ينشأ الطفل على ضرورة التغلب بمفرده على مشاكله ، ويتعلم أن يعمل ويكافح وينتصر . وهذا على خلاف ماهو موجود فى التنشئة السلبية التى تجعل الفرد يتواكل ، أو ينتظر الفرج ، أو يفكر فى أن الأيام كفيلة بحل المشاكل ، أو أن ينتظر حتى يأتى غيره ليحل مشاكله – وغالباً مانجد أن هذا هو أسلوب التنشئة السائد فى ثقافتنا والذى يعمل على بث الميول التواكلية لدى الأفراد ، وعدم التدخل الإيجابى لحل مشاكلنا فى أغلب الأحيان .

– أما التنشئة المنحرفة : فنعنى بها تلك التنشئة التى تغرسها بعض المؤسسات فى نفوس الأطفال ، حيث تزودهم بمعايير منحرفة ، أو تجعل الأطفال والشباب يخلطون بين معايير الخطأ والصواب ، أو ماتغرسه فى النشء من مفاهيم وسلوكيات خاطئة – كالقول : بأن الشطارة تكمن فى مغافلة الآخرين ، والوصول إلى الأغراض (بالفهلوة) واللف والدوران ، وإخفاء الأغراض والأهداف ووسائل تحقيقها عن الأخرين» ... بحيث تشكل هذه الجزئيات خلفية ملائمة لتأسيس ظواهر انحرافية، كالغش فى الامتحانات ، وتفشى الخداع والغش والكذب والانتهازية ، وعدم القدرة على مواجهة الآخرين بالحقائق ، وليست القضايا الخلقية المعاصرة وتكوين ثروات الأفراد على حساب مصالح الدولة وحقوق أبناء المجتمع الشرفاء إلا نتاج تنشئة اجتماعية منحرفة ساهمت فى تكوين شخصيات انتهازية» .

(٢) وأن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية بعيداً عند التناقضات والعوامل المعوقة :

بمعنى : ألا يتعرض مضمون التنشئة الاجتماعية للتناقضات فيها يتم غرسه فى النشء من مفاهيم وقيم أخلاقية ومعايير سلوك . كأن تتناقض الأسرة مع المدرسة من حيث المضمون التطبيقى الذى تحاول كل منهما غرسه فى النشء : كبعض الأسر التقليدية التى قد يسودها بعض التفاعلات التى تؤثر على النمو الطبيعى لشخصية الطفل : كأن تمنع الطفل أن يتحدث مع والده وهو جالس ، وتحرم عليه أن يواجه مشكلاته بمفرده ، وعليه أن يسمع مايقال له وينفذه دون اعتراض أو مناقشة ... إلخ .. ذلك الأسلوب الأسرى قد يتعارض مع ماتتطلبه الحياة المدرسية من المشاركة الإيجابية أو المبادأة والتعبير الحر .

من الصعب أن يؤدى هذا التناقض بين الأسرة والمدرسة إلى تنشئة طفل سوى.

كذلك تظهر التناقضات فى أساليب التنشئة الاجتماعية بين القول والفعل داخل أنظمة المجتمع ذاتها : فعلى حين يرفع شعار الاشتراكية والمساواة وتكافؤ الفرص نجد الاستثناءات لدخول المدارس والجامعات ، والاستثناءات لأصحاب الهوية الخاصة .. وتكون النتيجة غالباً : أن يشب المحيط به ، ومواجهة التناقض الذى قد يتخلق بين ماتؤسسه أجهزة التنشئة كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام ، وماهو كائن بالواقع المحيط ، فيهرب ويهاجر بجسده خارج البلاد أو يهاجر بعقله بعيداً عن الواقع والذات.

فمثلاً :

- قد تقوم تنشئة الأسرة منذ الصغر على الأمانة ، بينما يرى الطفل والشاب الواقع متخماً بالغش والخداع فى كل مكان .
- وقد تحدثه الأسرة عن الفضيلة ، بينما الرذيلة ملء حياته فى النوادى ، وعلى الشواطئ ، وفى الشوارع ، وفى القصص والكتب التى يقرأها والمناظر التى يراها .. إلخ .

وهذا كله : يؤثر على الارتباط بين النشء وسياقه الاجتماعى ، فيصيبه الوهن، ويتحول فى كبره وبعد نضجه إلى كائن أنانى ، رافض ، عنيف ، يضرب فى كل اتجاه بتوجيه أو دون توجيه مادام الهدف الفاسد كائناً فى كل الجوانب المحيطة به .

(٣) أن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية بعيداً عن الانفتاح الثقافى الهدام (٢٨ : ٥٠):

أى أن يبتعد مضمون التنشئة الاجتماعية عن الانفتاح غير الرشيد أو غير الواعى ؛ حيث ينقل إلى النشء مضامين ثقافية وأساليب تنشئة سائدة فى مجتمعات أخرى .. فمثلاً : تخطئ وسائل الإعلام عندما لاتوفر للنشء القيم الصحيحة والملائمة أو تعطيم قيماً لاتتفق مع واقعهم .. ولايعنى ذلك أن نقف ضد الانفتاح الثقافى ، ولكن نقف ضد نقل تجارب وقضايا المجتمعات الأخرى بلاوعى أو ملاءمة ، مثل : بعض المسرحيات والأفلام التى تنقل عن المجتمعات الأخرى والتى تفرض بعض الأساليب والمفاهيم والمعايير غير الملائمة لمواجهة مشاكل وحاجات نشئنا وتغرس فى الطفل قيماً غريبة عن مجتمعنا .. فأفلام العنف الأمريكية بوجه خاص وعلى سبيل المثال تلعب دوراً كبيراً فى إشاعة بعض مظاهر العنف فى المجتمع الأمريكى أو فى المجتمعات التى تعرض لهذه الأفلام ومنها مصر ..

(ب) شروط التنشئة الاجتماعية الملائمة : (٢٨ : ٥٠-٥١) :

سوف نعرض هنا لمجموعة من الشروط التى يحقق توافرها خلق تنشئة اجتماعية سليمة وفعالة قادرة على أداء مهامها بفاعلية فى المرحلة التى يعيشها المجتمع المصرى الآن ، ومن ثم تسهم فى اجتيازه لها بسهولة وبلا تمزقات أو انهيارات .

ومن أهم هذه الشروط نذكر مايلى :

انطلاق مختلف عمليات التنشئة الاجتماعية من خلفية أساسية :

بمعنى : أن تتأسس التنشئة الاجتماعية وفقاً لأيديولوجية المجتمع التى تشير فى ظلها .. أى لابد من وجود خط تربوى يعد القاسم المشترك الذى تتجمع حوله بواتق التنشئة الاجتماعية المختلفة ، بحيث تصبح المعايير المشتقة من هذه الخطة أو الأيديولوجيا ذات طبيعة ضبطية ملزمة لحكم تفاعلات مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية .. أيدلوجية يلتزم بها الآباء فى الأسرة ، والمعلمون فى المدرسة ، والمجتمع بكافة مؤسساته .. حتى يتمكن من تأسيس النشء وتنشئتهم بالشكل الذى نبتغيه والذى يتلاءم بواسطته مع المجتمع .. وسوف تفيد القيادة الأيديولوجية للتنشئة فى غربلة التناقضات ، التى غالباً ماتوجد بين مختلف المؤسسات أو بينهما جميعاً وبين الواقع الذى يعيشه المجتمع .

ضرورة اتصاف التنشئة الاجتماعية بالشمولية والتكامل :

- وتتحقق الشمولية إذا تمكنت التنشئة من تغطية كافة مجالات وفئات الشريحة ، التى تقوم بتنشئتها من (أطفال – مراهقين – شباب وغيرهم) فى مختلف مواقعهم الجغرافية – فحين نقول «طفل» نعنى بذلك : طفل المدينة والقرية .. إلخ فى جميع قطاعات الدولة .. كما نقصد بذلك ألا نهتم بالتنشئة فى إطار تلاميذ المدارس فقط، وإنما يجب أن تحدث التنشئة للأطفال فى الأسرة ، وفى حضانات الأطفال ورياضتهم وفى المدارس ، وفى خارج المدارس فى الحقول ومختلف المؤسسات .. إلخ .
- وفيما يتعلق باتصاف التنشئة الاجتماعية بالتكامل : أن تتكامل مضامين كافة مؤسسات التنشئة؛ بحيث تغطى كافة المراحل العمرية فى كافة المجالات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والصحية التى يتعرض لها الأطفال بحيث تصل لهم من خلال ذلك إلى النمط المثالى الناجح الذى نريده .. وذلك يتحقق بشكل

ميسر ، إذا توافر المنطق الأيديولوجى العام الذى تنطلق منه التنشئة الاجتماعية بناء وديناميه .

أن تكون التنشئة الاجتماعية متدرجة :

بمعنى : أن تسير فى خط عكسى مع نمو الطفل – وفى ذلك يتمثل الحديث النبوى الشريف الذى يقول : «لاعب ابنك سبعاً ، وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ، ثم اترك له الحبل على غاربه» ؛ وذلك بمعنى أنه لابد وأن يتضاءل نسبياً قدر تدخلنا فى حياة الطفل كلما تقدم فى السن بقدر نضجه وتطوره . . ويفرض ذلك : أن تتخصص مؤسسات التنشئة الاجتماعية فى أداء دورها بالنظر إلى هذه المرحلة حتى لايحدث مايؤدى إلى التداخل والخلط .. كلما تقدم الطفل فى السن يجب أن يتأسس اتجاه نعمل فى إطاره على إلغاء الوصاية المفروضة على المراهقين والشباب وخاصة وصاية الآباء .. ومن ثم نترك لهم حرية صياغة حياتهم وفقاً لإرادتهم ، وإذا ترك الآباء لأطفالهم بعض الحرية كلما تقدموا فى السن نحو الرشد .. فإن ذلك يعنى إثباتاً لقدراتهم فى تأكيد هويتهم وصياغة حاضرهم .

التزام التنشئة الاجتماعية بالمثال الذى تفرضه أيديولوجية المجتمع :

وهذا يعنى ضرورة التزام مؤسسات التنشئة ومنطقها الأيديولوجى بالمثال أو النموذج الذى تفرضه الأيديولوجية العامة ، فإذا تحقق ذلك الالتزام فسوف ينتفى التناقض بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية فى المجتمع ، كما ينتفى الصراع بين أفراد المجتمع ، وبالتالى يشعر كل فرد بانتمائه لمجتمعه ، ويصبح ملتزماً بقضاياه التزاماً إيجابيًا .

تأكيد عصرية مضمون التنشئة :

ونعنى بذلك أن تكون مجموعة القيم والمعايير المشتقة من نسق الثقافة ذات الطبيعة العصرية ، قادرة على تجهيز الشخصية بمضمون قيمى وأيديولوجى ، يرشد حركتها فى المجال الاجتماعى ويساعد على نضجها ويجعلها قادرة على مواجهة ماقد تطرحه المعاصرة من مشكلات وقضايا . وذلك يتطلب عملية انتقائية من التراث ، تبعث عناصره الأكثر فعالية وتجعلها أكثر بروزاً فى إطار التفاعلات المعاصرة ؛ بحيث يتحول تراث الماضى – من خلال هذه العملية – إلى قدرة متجددة تساعد المجتمع والفرد على التقدم .

الفصل الثانى

العوامل المساعدة على حدوث التنشئة الاجتماعية

أولاً : عوامل تتعلق بالفرد :

(١) ميراث الفرد وإمكاناته البيولوجية .

(٢) قابلية الفرد للتعلم ومرونته .

(٣) قدرة الفرد على التعاطف .

ثانياً : عوامل تتعلق بالمجتمع :

(١) المكانات والأدوار الاجتماعية بالمجتمع .

(٢) القيم والمعايير السائدة فى المجتمع .

(٣) المؤسسات الاجتماعية التى تتولى عملية التنشئة .

(٤) القطاعات الاجتماعية الاقتصادية الثقافية .

انتهينا فى الفصل السابق من العرض لعملية التنشئة الاجتماعية من جوانبها المتعددة ، من حيث إنها : عملية تعليم وتعلم ، وتحويل الفرد من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى ، وكذلك باعتبارها عملية تقوم باستدخال ثقافة المجتمع لتصبح جزءاً من ذات الفرد .. وربما جاز لنا هنا أن نتوقف لنتساءل عن أهم العوامل التى تساعد على إحداث التنشئة الاجتماعية ؟

وبادئ ذى بدء يمكننا أن نرجع هذه العوامل إلى عوامل، تتعلق بالفرد نفسه، وأخرى تتعلق بالمجتمع .

أولاً : العوامل التى ترجع إلى الفرد :

(١) الميراث والإمكانات البيولوجية :

الميراث البيولوجى والاستعدادات الفطرية للإنسان من أهم العوامل التى تؤثر فى عملية التنشئة الاجتماعية .. ويرجع ذلك إلى :

(أ) أن الوليد البشرى يعتبر من أضعف الكائنات بيولوجياً عند الميلاد مما يستلزم عملية التنشئة الاجتماعية .

(ب) أن الوليد البشرى يملك من الاستعدادت الموروثة مايمكنه من التطبيع الاجتماعى، ويسمح بتنشئته اجتماعياً .

فمن ناحية .. نجد أن الإنسان يولد وهو أكثر الكائنات الحيوانية عجزاً وأشدها ضعفاً (هذا إذا نظرنا إلى قدراته الفعلية على مواجهة الحياة) ، فليس عند الوليد الإنسانى تلك الميكانيزمات، التى تمكنه من أن يتصرف بحكمة ونجاح مع الوسط الذى يولد فيه (كما هو الحالى عند الطيور أو الحشرات مثلاً) (٢٢:٧) فقد أوضح علماء البيولوجى أن الصلة بين السلوك والتكوين البيولوجى للكائنات الحية البسيطة صلة مباشرة وثابتة إلى حد ما ، ولكن كلما ارتفع الكائن فى سلم التطور وازداد تعقداً وتخصصاً ضعفت الصلة المباشرة بين السلوك والتكوين البيولوجى ، وانخفضت درجة ثبات السلوك وازداد تغيراً ، كما ازداد تأثراً بالبيئة . لذلك أصبح من الضرورى بالنسبة

للطفل العاجز أن يتعلم كيف يتعامل مع بيئته المادية والاجتماعية عن طريق تعرضه للمؤثرات الخاصة بعملية التنشئة الاجتماعية .

ولكن هذا العجز وهذا الضعف تقابله حساسية هائلة لاستقبال المؤثرات البيئية الخارجية ، ومرونة كبيرة تمكنه من اكتساب أنماط سلوكية متعددة متباينة ، حسب المواقف العديدة وخبرات الحياة التى يمر بها .. وهذه الحساسية والمرونة ترجع إلى العتاد البيولوجى الذى يمتلكه الفرد والذى يتضح فى :

- مايتزود به الوليد بالأفعال المنعكسة التى تساعده على الحياة ، والفعل المنعكس الطبيعى هو استجابة غير متعلمة لصنف معين من المثيرات استجابة يتحكم فيها الجهاز العصبى السليم (٢:١١) وتعتبر هذه الانعكاسات بوادر الاتصال بين الوليد والبيئة الخارجية .. ومثال ذلك إغلاق العين «طرفة العين» عندما يدخل فيها تراب أو عندما تتعرض لهواء شديد ، وسحب اليد أو القدم عند التعرض للهب أو جسم حاد.. إلخ .
- كذلك فإن تطور المخ والجهاز العصبى الإنسانى والأعضاء الجسمية المختلفة والقدرات العقلية .. كل هذا يجعل الإنسان قادراً على القيام بأنشطة متعددة ومعقدة وعميقة، فيتعلم المفاهيم والرموز ويتداولها ويسترجع الماضى ويتخيل المستقبل .. فمثلاً الإنسان يملك أجهزة تساعده على الكلام وتعلم القراءة والكتابة .. إلخ ، بخلاف الحيوانات الأخرى .

وفوق هذا فإن الإنسان يملك استعدادات وإمكانات بيولوجية تميزه عن غيره من الفقريات ، مثل استخدام الطرفين السفليين فى الحركة ، واستخدام اليدين فى النشاط وانتصاب القامة واتساع مجال حاسة الإبصار .. ويذكر لابار Lapar أن بعض الفقريات قد تتصف بصفة من هذه الصفات أو بصفتين .. غير أن مايميز الإنسان هو وجود هذه الأشياء مجتمعة بتنظيم معين يساعد الإنسان على أن يحيا حياة مختلفة تختلف عن بقية الفقريات .. وتعتبر وراثة هذه الصفات هى المسئولة عن التشابه الذى نجده بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى الجنس البشرى ، وهذا مايهيئ المجال لإحداث التنشئة الاجتماعية للإنسان . (٢:٦٤) .

يتضح من ذلك أن الطفل وحدة بيولوجية تكون جزءاً متكاملاً من وحدة أكبر هى وحدة البيئة .. وأهم جوانب البيئة فى حياة الإنسان وفى تكوين شخصيته هو الجانب الاجتماعى ، وهذا راجع إلى أن الوليد الإنسانى عند ولادته ولفترة طويلة نسبياً من حياته هى مرحلة الطفولة، يعتمد تبعاً لذلك اعتماداً كلياً على الكبار فى

تربيته وتعليمه وتوجيه سلوكه إلى أن يتمكن تدريجياً أن يعنى بنفسه ويتشرب عادات وتقاليد مجتمعه ويتكيف لثقافته ، كما أن الإنسان بما يتزود به من إمكانات واستعدادات فطرية، يتمكن من استيعاب مايلقى إليه من مثيرات اجتماعية .

(٢) القابلية للتعلم والمرونة :

لعل أبرز مايميز الخصائص والإمكانيات البيولوجية السابقة هى أنها تعطى الطفل الإنسانى قابلية فائقة على التعلم والتشكل فى سلوكه ؛ خاصة تعلم واستعمال الرموز واكتساب اللغة ، كما تمده بالحاجات والدوافع الأولية التى تحركه فى تعلمه .. فكما يقول نيو كامب «New Camb» أن هناك متطلبات وإمكانات بيولوجية ، وعندما تستثار هذه المتطلبات والإمكانات أثناء استجابة الكائن الحى وتعلمه فإنه يغير نفسه لأنه عن طريق الاستجابة فقط يحدث التغير ويتم ، وإنه لمن الصحيح كذلك أن يتغير بواسطة البيئة ، ذلك أنه دون الاستثارة الخارجية لايستطيع الطفل أن يعمل الاستجابات التى عن طريقها يغير نفسه .. أى إنه لابد من الاستثارة الخارجية لإمكانات الطفل البيولوجية ، وكذلك لابد من الاستجابة لهذه الاستثارة حتى يغير نفسه .

فالطفل ينمو عقلياً بعد أن كان يعيش فى عالم يبدو له خليطاً مشوشاً من أضواء وأصوات وروائح لامعنى لها ولادلالة ، فيكتسب هذا المعنى والدلالة وتتحول الدنيا من حوله إلى أشكال متمايزة بعد أن كانت أرضية واحدة غير متمايزة ، ويبدأ الطفل يدرك مايحيط به ، كما تنمو قدرته على استخدام ما أوتى من إمكانات عقلية ، وبعد أن كان يعبر عن حاجته ومطالبه بالصراخ، يبدأ يعبر عنها باستخدام ذلك التنظيم المعقد من الرموز التى اصطلحنا على تسميته باللغة .

وينمو الطفل فنجده يبدأ فى كشف بعض نوازع سلوكه أو إرجاء إشباع بعض حاجاته بعد أن كان لايعرف إلا الإشباع الفورى لمطالبه .. وكذلك نجده بسبب ماحصل من النضج الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى ، قد أصبحت لديه القدرة على إنشاء العلاقات الاجتماعية مع الغير بطريقة فعالة ومثمرة ومشبعة ، فيكتسب الأساليب السلوكية المقبولة والاتجاهات والقيم المتفق عليها ، ويساير الجماعة وينصاع لها بعد أن كانت الجماعة تنصاع له وتأتمر بحاجاته ومطالبه .

وفى تفاعل الطفل مع من يحيطون به ، يحاول أن يدرك الانطباعات ومايتوقع أن تكون عليه هذه الانطباعات ، والآثار التى تركها سلوكه لديهم.. وقد يحاول فى ضوء هذه الانطباعات ومايتوقع أن تكون عليه هذه الانطباعات أن يعيد النظر فى

سلوكه فيعدل منه أو يمضى فيه ، أو قد يحاول تعديل السلوك إن وجد فيه مايثير عدم الارتياح عند الآخرين ، وقد يمضى فى السلوك إن وجد أنه يقابل بالارتياح من الآخرين ، وهكذا يكتسب السلوك الصفة الاجتماعية ، ويتعلم الفرد أن يشبع حاجاته ويحقق آماله وأهدافه ضمن الإطار الذى ترضى عنه الجماعة التى يعايشها .

وهكذا تؤدى الاستثارات البيئية إلى تهيئة المناخ للإمكانات البيولوجية؛ لكى تنمو وتتفتح وتكتمل ، ومن ثم تسهم هذه الاستثارات فى التعلم الإنسانى والتعلم من أهم جوانب التنشئة الاجتماعية كما سبق أن أوضحنا .

(٣) القدرة على التعاطف :

يذهب كولى «Cooley» (٢٤:٧) إلى أن الفطرة الإنسانية متميزة عن الطبيعة الحيوانية بما تتميز به من العواطف والمشاعر الأساسية عند الإنسان مثل مشاعر الحب والخجل والعجب والطموح والغيرة والقسوة والشفقة ... إلخ .. وهذه العواطف والمشاعر عامة ومشتركة ، وإن كانت طرق التعبير عنها تختلف باختلاف الثقافات .

والأساس الذى تقوم عليه هذه العواطف والمشاعر ، والذى جعل نشأتها ممكنة هو أن لدى بنى الإنسان قدرة على التعاطف مع الآخرين .. أى قدرة الفرد الإنسانى على أن يضع نفسه – ولو تخيلا – فى موضع الآخرين ، ويحس كما يحسون . وهذا مايجعل الفطرة الإنسانية عامة بين جميع البشر إذ يستطيع أى فرد أن يفهم مشاعر وسلوك الجماعات التى يختلف أسلوب حياتها عن أسلوب حياته .

وإذا كانت هذه العواطف لاتتكون إلا بالتعاطف .. فمن الضرورى إذاً لكى تظهر هذه الفطرة أو الطبيعة الإنسانية وتنمو ، أن يوجد الطفل فى جماعة أولية (الأسرة ، جماعات اللعب .. إلخ) هذه الجماعات التى تكون فيها العلاقات والمشاعر متقاربة ودودة وعميقة . ومالم يتواجد الطفل فى بيئته الاجتماعية الودودة ، فلن يحدث نمو اجتماعى سليم .. والدليل على ذلك :

(أ) أن الطفل الذى يعيش فى عزلة نسبية عن المجتمع ويتعرض للحرمان من عوامل التنشئة الاجتماعية والمثيرات البيئية لن يكتسب المشاعر والعواطف الإنسانية . مثال ذلك الطفلة «إيزابيل» التى كانت طفلة غير شرعية ووضعت فى عزلة مع مربية أمريكية صماء بكماء.. فإنها عندما وصلت إلى سن السادسة لم يكن لديها تعبير عن الفطرة أو الطبيعة الإنسانية، وكانت تبدو غير واعية بالعلاقات الاجتماعية ، وكان رد فعلها للغرباء يتميز بالخوف والعداء ، وكانت تصرفاتها تشبه تصرفات الأطفال غير العاديين .

(ب) والأطفال الذين لايحتكون بالمؤثرات البيئية الإنسانية لن يكتسبوا العواطف والمشاعر الإنسانية أيضاً .. مثال ذلك الطفلة الذئبة «كمالا» التى عثر عليها فى كهف فى الهند سنة ١٩٢١ ، وكان سنها ثمانية أعوام والتى زعموا أنها تربت مع الذئاب ، لم يكن عندها سوى بضع خصائص إنسانية ، وكانت تأكل اللحم نيئاً ، وتتناول الطعام بالفم كالحيوان ، وكانت تعبيرات وجهها جامدة باردة ، ولم تظهر سوى العداوة للآدميين .

ومن الواضح أنه فى الحالتين كان الحرمان الاجتماعى عاملاً رئيسيًا فى التخلف وعدم اكتساب الفطرة الإنسانية ، هذه الفطرة أو الطبيعة الإنسانية التى تنمو فى الفرد من خلال التفاعل الشخصى والتعاطف مع من يتولى أمره منذ مولده .. ولذلك فقد اتضح أن الطفلتين بعد أن أعطيتا برنامجاً تدريبياً منظماً ، فقد بدأتا فى التقدم واكتساب بعض السمات الإنسانية وإن ظل التخلف ظاهراً ولم تستطيعا الوصول إلى مستوى الأطفال نفسه فى سنهما ؛ حيث لم يستطع البرنامج التدريبى أن يعوض الحرمان الاجتماعى الذى تعرضتا له .

(جـ) كذلك فإن الحرمان الذى يتعرض له الشخص فى طفولته بما يجعله لايلقى قدراً كافياً من العاطفة، لاتتطور عنده أية علاقات عاطفية أو اجتماعية ذات صبغة أولية مع أفراد آخرين .. وإن نقص العلاقات الأولية المبكرة مسئول عن كثير من الشخصيات السيكوباتية . وينتج عن ذلك تلك الشخصيات التى تتمركز حول ذاتها ، وتكون علاقتها مع الآخرين سطحية ، ولاتقدر على مراعاة الآخرين ، أو على إقامة علاقات عاطفية معهم ، ويبدو أن أصحاب هذه الشخصيات لم يستوعبوا معايير الصواب والخطأ فى مجتمعهم ، وليس عندهم إحساس بالإثم ، ويبدون عدم الاهتمام فى المواقف التى تستثير استجابات عاطفية فى العادة ، وهذا كله هو مايؤثر فيه عملية التنشئة الاجتماعية .

ثانياً : العوامل التى ترجع إلى المجتمع :

(١) المكانات والأدوار الاجتماعية :

المقصود بالمكانة أو المركز الاجتماعية ، وضع معين فى البيئة ، أو التركيب الاجتماعى فى جماعة من الجماعات فالأم فى الأسرة مثلاً لها عدة مكانات أو أوضاع اجتماعية فيها .. فهى زوجة ، وربة بيت ، وأم ومضيفة .. إلخ ، والرجل .. زوج ، ورب أسرة ، وأب أو أخ .. أو نحو ذلك .

ومركز الفرد أو مكانته تملى عليه أنواعاً من السلوك، تعرف باسم الدور أو

الوظيفة الذى يعنى السلوك المتوقع ممن يشغل مكانات اجتماعية معينة ؛ فالمرأة فى مكانتها كربة بيت وكأم مثلاً ، تقوم بأدوار اجتماعية يتوقعها منها المجتمع من ناحية رعاية الصغر والعناية بهم ، وإدارة شئون المنزل ، والاهتمام بشئون زوجها .. أى إن المكانة الاجتماعية لها أدوار تعبر عنها توقعات ، وعليها أيضاً التزامات لابد أن يقوم بها شاغلها ولها حقوق تتمتع بها . (٧:٢٧) .

وقد يشغل الفرد الواحد عدة مراكز ومكانات فى وقت واحد ، مثال ذلك : أن مدير الشركة قد يشغل مركز الإدارة العليا فى صباحه ، ثم مركز المرءوس حين يجتمع برئيس المؤسسة ، ثم مركز الأب حين يعود بعد انتهاء عمله إلى أسرته ، ثم مركز الصديق أو الرياضى حين يذهب إلى النادى ، ثم مركز الأخ فى عائلته .. وهكذا .

ومن البدهى أن لكل مركز من هذه المراكز دوراً خاصاً يحدد سلوكه ؛ بمعنى أن الناس يتوقعون أن يسلك فى كل مركز من المراكز سلوكاً معيناً محدداً يختلف من مركز إلى مركز .. فسلوك الطبيب فى عيادته أثناء أداء وظيفته لابد وأن يختلف عن سلوك المحامى فى مكتبه أثناء أداء وظيفته .. وهكذا .

ثم إن قيام الفرد «أ» بالدور (س) قد يضطر الفرد «ب» إلى أن يقوم بالدور (ص) .. أى إن الأفراد يحدد سلوك بعضهم سلوك البعض الآخر ويوجهه تحديداً اجتماعياً .. فسلوك الطفل يستثير من الأب سلوكاً لايسلكه فى مواقف أخرى .. سلوكاً فيه الرعاية والعطف وكل مايرتبط بالدور الذى يقوم به الأب، وأية جماعة يتفاعل معها الطفل هى عبارة عن نسيج متشابك من المكانات الاجتماعية المختلفة ومن أنواع السلوك المرتبط بها والمتوقعة من أصحابها ، وهو فى تفاعله مع هذه الجماعات يتعلم هذه التوقعات وأنماط السلوك، التى ترتبط بما يشغله هو من مكانات وأوضاع اجتماعية مختلفة فى الجماعات التى يتعامل معها .

(٢) القيم والمعايير :

يلتقى الطفل فى تنشئته الاجتماعية بالقيم والمعايير السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه .

والقيم عبارة عن الأفكار التى تحدد ماهو حسن مقبول وماهو سئ مرفوض .. وهى متفق عليها بين غالبية أعضاء المجتمع ويولونها احتراماً عميقاً، ويحرصون على استمرارها وتوارثها . وبذلك فإنها تعطى للحياة معنى سواء فى ذلك حياة الناس كأفراد أو جماعات ، فالإنسان يسعى وراء شىء ما ، ويبذل فى ذلك من الطاقة والجهد

القدر الذى يتناسب مع أهمية ذلك الشيء وقيمته عنده ، وكذلك الحال بالنسبة للجماعات والشعوب .. فإذا مافقد موضوع ما قيمته عند الفرد فترت همته بالنسبة له وكف عن السعى إليه أو الكفاح فى سبيله ، ثم يتجه إلى ماعداه من الأشياء التى تزيد قيمتها عنده .. ولذلك فإن الناس يسعون للوصول إلى أشياء يعتقدونها من بين ماتزخر به الحياة من أشياء باعتبار أنها تحقق آمالهم وأهدافهم (أى إن لها قيمة عندهم) . (١٨: ١٢٤) .

أما المعايير : فهى التى تحدد السلوك المقبول والسلوك غير المقبول فى الجماعة وتتضمن مايقبله المجتمع من قواعد وعادات واتجاهات، وغير ذلك من محددات (٧: ٢٨) .

وتعتبر هذه المعايير الاجتماعية بمثابة أطر يرجع إليها الفرد ؛ كى تكون مرشداً لما ينبغى أن يكون سلوكه عليه ، وبذلك تسهل على الأفراد التفاعل الاجتماعى بين بعضهم بعضاً .. ويتسع مفهوم المعايير ليشمل الاتجاهات نحو القضايا الاجتماعية ومايكتسبه الناس من عادات ومفاهيم عن العدالة والحرية والديمقراطية ، وغير ذلك من الاتجاهات التى تتعدد بتعدد جوانب الحياة ..

وعلى هذا .. فإن القيم الاجتماعية على مستوى أعلى من التجريد ولها درجة أعلى من الثبات بينما نجد المعايير تنظم السلوك مباشرة . فالنظام مثلاً قيمة يعلى المجتمع من شأنها ويحترمها ، أما اتفاق الجماعة على أن تلتزم ترتيباً معيناً فى المناقشة والتعامل والسلوك فهو معيار سلوكى .

وبذلك .. فإن القيم والمعايير وإن اختلفت مستوياتها ، فإنها متفقة فى أنها منظمات اجتماعية للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين أعضاء الجماعات بعضهم مع البعض الآخر ، وبين مؤسسات المجتمع المختلفة ، وهى جميعاً مما يحرص المجتمع على أن يتمثله أبناؤه وهم يتشكلون ليصبحوا أعضاء فيه .

(٣) المؤسسات الاجتماعية :

تعتبر الأسرة المكان الأول الذى يتعلم فيه الطفل مهارات متنوعة وطرقاً للسلوك ، وهى محيط أو بيئة اجتماعية يتعلم الطفل من خلالها كيف يعدل ويغير من أنماط سلوكه الفطرى . ولذلك .. فإن الطريقة التى يتفاعل بها أعضاء الأسرة مع الطفل ونوع الخبرات التى يخبرها تمثل النماذج، التى ستشكل وفقاً لها تفاعلاته وعلاقاته الاجتماعية ويتأثر بها نموه الانفعالى والعاطفى ، ويمتص قيمها واتجاهاتها ويلتزم بمعايير السلوك السائدة فيها .

وقد ظهرت المؤسسات فى حياة المجتمع الإنسانى لكى تسد الثغرات التى نشأت نتيجة تنازل الأسرة إلى حد ما ، عن وظائفها التقليدية كالتنشئة الاجتماعية ، والضبط الاجتماعى ..

فالمؤسسات الاجتماعية والتربوية تغطى نواحى النشاط الحيوية فى المجتمع الإنسانى ؛ فهى تقوم نيابة عن الأسرة بعملية الصقل الاجتماعى والرقابة والتنشئة الاجتماعية والتربية .. وبذلك فإن بعض الجوانب فى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل يحدث فى مؤسسات اجتماعية وعن طريقها ، وكل مؤسسة أو وكالة أو هيئة تركز على جانب معين من الحياة كما تتضمن كثيراً من المكانات الاجتماعية ، وتعكس عدداً من القيم ، وتعمل وفق معايير معينة ، وبذلك يمكن اعتبار المؤسسة الاجتماعة بيئة خاصة يعيش الأفراد أو يعملون فيها ، وهى تطبع سلوكه من خلال ذلك بطابع خاص يختلف فى مداه ومحتواه .

ومن المؤسسات الاجتماعية التى تقوم بالتنشئة الاجتماعية، نذكر منها : الأسرة – المؤسسات التعليمية (كرياض الأطفال – المدارس) ووسائل الإعلام – والمؤسسات الرياضية (النوادى) – والمؤسسات الدينية (كالمسجد والكنيسة) .

وسوف نتحدث عن هذه المؤسسات بشىء من التفصيل فيما بعد .

(٤) القطاعات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية :

يدخل فى هذا ما اصطلح على تسميته بالطبقة الاجتماعية ، أو المستويات الاقتصادية الاجتماعية أو الجماعات والثقافات الفرعية .

وأساس هذه القطاعات فى المجتمع هو اختلاف أفراده من حيث الثروة والامتياز والسلطة .. ويرتبط بذلك اختلاف أساليب الحياة فى القيم والمعايير؛ مما يؤدى إلى تمايز هذه المستويات أو الطبقات أو الفئات .. مما ينتج عنه اصطباغ أساليب التنشئة الاجتماعية بالصبغة التى تسود الطبقة الاجتماعية (٢٩:٧) .

فبينما تصطبغ التنشئة الاجتماعية فى المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الدنيا بالطاعة التى يبالغ الآباء فى فرضها على أبنائهم ، ويلجأون إلى العقاب البدنى لأطفالهم . (وخاصة إذا أدى سلوك الأطفال إلى إتلاف بعض الأشياء ، أما إذا تجنب الطفل ذلك التخريب .. فإنه غالباً ماينجو من العقاب البدنى) .

فإننا نجد أن التنشئة الاجتماعية فى المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتوسطة تصطبغ بالمحافظة على العادات والتقاليد والقيم وتعويد الأطفال

ضبط النفس ، كما نجد الآباء لايعاقبون أطفالهم بما ينتج عن سلوكهم من نتائج مختلفة ، بل بالدوافع التى أدت إلى النتائج ، وهذا قد يؤدى بالأب إلى مناقشة أطفاله مناقشة عقلية ليصل منها إلى معرفة دوافع سلوكهم وأسبابها؛ حتى يتخذ الأب قراراته ويصدر أحكامه فى ضوء تلك المناقشة .. وبذلك فالآباء ينشئون أولادهم على الأمانة والطاعة وضبط النفس .

أما فى المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العليا .. فتسود التنشئة الاجتماعية القائمة على الاستقلال ، وتأكيد المكانة لكل فرد ، وإتاحة قدر أكبر من الحرية فى سلوك الأبناء مع تدخل الآباء، للإرشاد وتنظيم نماذج السلوك .

والحق : أن هذا التمايز فى أساليب التنشئة الاجتماعية ينبغى ألا يفهم على أنه يؤدى إلى وجود حدود فاصلة بين القطاعات المختلفة ، فهناك ماهو مشترك.. كما أن هناك حركة اجتماعية بين هذه المستويات ، وأن هذه الحدود آخذة فى الانكماش بسبب التغيرات الاقتصادية الكبيرة الجارية فى المجتمع، وكذلك بفضل انتشار وسائل الإعلام والتواصل الفكرى، التى يزيد مما هو مشترك بقدر ماينقص مما هو متمايز مختلف .

ومن هنا فإنه يحق لنا أن نتعرض لمؤسسات التنشئة الاجتماعية بشيء من التفصيل فى فصل لاحق .

الفصل الثالث

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

أولاً : الأسرة

ثانياً : المؤسسات التعليمية :

(١) رياض الأطفال .

(٢) المدرسة .

ثالثاً : وسائل الإعلام :

(١) الإذاعة .

(٢) التليفزيون .

(٣) السينما .

(٤) مسرح الطفل .

(٥) المطبوعات .

رابعاً : المؤسسات الرياضية .

خامساً : المؤسسات الدينية .

الفصل الثالث

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

يتضح مما سبق أن التنشئة الاجتماعية ليست مجرد عملية تعليم رسمي يتلقاه الطفل في المدارس ، وإنما هي أوسع من ذلك بكثير ؛ إذ يدخل فيها اكتساب الفرد للمواقف والاتجاهات والقيم وأساليب السلوك والعادات الفردية والمهارات وهي كلها أمور تنتقل إلى الطفل عن طريق نظم وأوضاع وعلاقات ومؤثرات كثيرة ومتنوعة ، وعلى الرغم من تمايز هذه المؤسسات واختلافها وتنوعها .. فإنها تعمل معاً في تشكيل شخصية الطفل ، حتى وإن كانت تختلف وتتفاوت فيما بينها في نوع التأثير .. فهناك تأثيرات التنشئة التي يكتسبها الطفل في الأسرة وتأثيرات يكتسبها من المدرسة ، وتأثيرات أخرى يكتسبها من وسائل الإعلام إلخ ، وكل منها يقدم أنماطاً من السلوك والقيم متباينة ومتكاملة فيما بينها ..

وفيما يلي عرض لبعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية لبيان دورها ، وتوضيح كيف يمكن أن تؤدي هذا الدور بفاعلية أكثر في عملية التنشئة الاجتماعية ..

ومن أهم هذه المؤسسات : «الأسرة ، المؤسسات التعليمية ، وسائل الإعلام ، المؤسسات الرياضية ، المؤسسات الدينية» ..

(أولاً) الأســــرة

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التى يحتك بها الطفل احتكاكاً مستمراً، كما أنها تعد المكان الأول الذى تنمو فيه أنماط التنشئة الاجتماعية التى تشكل «الميلاد الثانى» فى حياة الطفل .. أى تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمى إلى مجتمع بعينه ، تدين بثقافة بذاتها (١١:٢٣١) .

وتتكون الأسرة فى حدودها الضيقة من الزوج والزوجة وطفل أو أكثر، ويكون أساس العلاقات التى تربط أفراد الأسرة قائماً على الصراحة والود بشكل يتيح الفرصة أمام كل فرد من أفرادها أن يعبر عما يريد بحرية .. وهذا هو الذى يفرق بين الأسرة كوحدة اجتماعية أى وحدة اجتماعية أخرى .

- إن علاقة الطفل بوالديه وأخوته التى تنشأ فى محيط الأسرة هى التى تدعونا إلى القول بأن للأسرة وظيفة اجتماعية .. إذ هى العامل الأول فى صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية .. ومن هنا تعد الأسرة من هذه الزاوية أكثر جماعات التنشئة الاجتماعية أهمية .. والأسرة كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حية ، ديناميكية ، لها وظيفة تهدف نحو نمو الطفل نمواً اجتماعياً وتنشئته تنشئة اجتماعية .. ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق التفاعل العائلى الذى يحدث داخل الأسرة، والذى يلعب دوراً مهماً فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه (٢٠:٢٣) .

هذا .. ويمثل الوالدان بطبيعة الحال القوة الأولى المباشرة فى التنشئة التى تمارس تأثيرها على الطفل منذ ولادته، ويظل تأثير هذه القوة قائماً حتى مرحلة متأخرة من العمر ، بل وقد يظل مفعولها واضحاً بشكل أو بآخر فى سلوك الفرد طيلة حياته - وإن كان يدخل على هذا التأثير كثير من التعديل والتغيير نتيجة لتعدد المؤثرات كلما تقدمت السن بالطفل ، ومايترتب على ذلك من خروجه إلى مجتمعات أخرى غير مجتمع الأسرة وتعقد علاقاته وتشعب اتصالاته، وظهور علاقات جديدة تؤثر عليه تأثيرات جديدة تماماً ..

ويتفق علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى على أن الأم هى أول وسيط للتنشئة الاجتماعية ، فهى أول ممثل للمجتمع يقابله الطفل .. عن طريق العناية والرعاية التى تمد بها الطفل ، فهى تبدأ فى تنبيه العواطف والرموز التى تعطى الطفل

الطبيعة الإنسانية ، كما تمكنه من أن يصبح عضواً مشاركاً بصورة إيجابية فى المجتمع .. أما الأب ، فإن وجوده ومشاركته فى الأسرة يساعدان الطفل على التخلى عن اعتماده على الأم .. ويميل موقف الأب فى البداية إلى أن يعتبر كدخيل فى العلاقات القائمة بين الأم والابن ، وهو المصدر الرئيسى للضغط على الطفل لتعديل علاقات الحب المبكرة بالنسبة لأمه . ومادام الأب عادة يقضى خارج المنزل وقتاً أطول مما يقضيه داخل المنزل .. فإنه ينظر إليه على أنه ممثل للعالم الخارجى ، كما ينظر إليه أيضاً على أنه مصدر توسيع آفاق الطفل ، ونقل الشعور بالنظام الاجتماعى إلى الطفل ..

- كذلك فإن حجم جماعة الإخوة وتكوينها ، يؤثر فى عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، فقد وجد بوسارد «James Bossard» والبانور بول «Eleanor Boll» أن أطفال الأسرة الصغيرة ينتمون فى الغالب الأعم إلى أصل واحد . وأن البنت التى لها أخ تكون أكثر عرضة لإظهار سمات ذكورية مرتفعة مثل الطموح والمنافسة ، أكثر من البنت التى لها أخت .. ويشبه ذلك الموقف أيضاً ، الولد الذى له أخت – فقد كان إلى حد ما أكثر عرضة لإظهار سمات أنثوية مرتفعة مثل الحنو والطاعة أكثر من الولد الذى له أخ .

دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية :

على الرغم من تعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية .. إلا أننا لانكون مخطئين إذا قلنا إن كفة الأسرة ترجح المؤسسات الأخرى كلها مجتمعة فيما تغرسه فى الطفل باعتبارها الجماعة الإنسانية الأولى، التى يتعامل معها الطفل ويعيش فيها السنوات التشكيلية الأولى من عمره .. ويتضح دورها فيما يلى :

- يعد المنزل هو العامل الوحيد وللتربية المقصودة فى مراحل الطفولة الأولى، ولاتستطيع أية مؤسسة عامة أن تسد مكان الأسرة فى هذه الأمور .

والأسرة تتولى رعاية الفرد وتهذيبه فى أهم الفترات وأعمقها آثاراً فى بناء شخصيته وتكوين اتجاهاته وقيمه وأفكاره فى كل ميدان بل وفى تشكيل حياته بصفة عامة .. فالأسرة هى التى تبدأ بتعليم الصغير اللغة ، وتكسبه قدرة على التعبير بها ، وتهيئة لاكتساب الخبرات فى المجالات المختلفة ، وهى التى تسرع فى تدارك الانحراف والشذوذ السلوكى فى الفترة المبكرة قبل أن تستفحل .

– وعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية فى جميع مراحل الطفولة ، بل وفى المراحل التالية لها كذلك .

– وبفضل الحياة فى الأسرة يتكون لدى الفرد الروح العائلى والعواطف الأسرية المختلفة ، وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة ، فالأسرة هى التى تجعل من الطفل حيواناً مدنياً وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة فى المجتمع والبيت .

– ويكسب الميلاد فى أسرة معينة الطفل مكانة معينة أو عدة مكانات «Statues» فى البيئة والمجتمع .. وتعد المكانة التى تمنحها الأسرة للطفل محدداً مهمّاً للطريق الذى سوف يستجيب معه الآخرون إزاءه .. وعلى هذا فإن مكانة الأسرة فى بنيان الطبقة الاجتماعية يؤثر تأثيراً كبيراً على مكانة الطفل فى البيئة التى ينشأ فيها .

وتؤثر مكانة الأسرة على أسلوب تربية الطفل ، ففترة الطفولة عن أفراد الطبقة الوسطى تمتد لفترة أطول عما عليه الحال فى أسر الطبقة الدنيا ، ويتحمل الأطفال فى أسر الطبقة الدنيا مسئولية خطيرة فى سن صغيرة نسبيّاً .

– وخلال مختلف أنواع التفاعل بين أعضاء الأسرة .. ككون الطفل شخصاً يهتم به ، أو يتعلم النظام ، أو يقبل كفريق أو زميل فى اللعب .. إلخ ينمى الطفل قدراته الأولى لإقامة علاقات مع الآخرين .. وسوف تجد تلك القدرات فيما بعد تعبيرات وتطورات تالية فى العلاقات الأسرية مع رفاق اللعب ، ومع العمال والموظفين ، ومع الشخصيات التى تمتلك السلطة ، ومع الأصدقاء ، وأخيراً مع ذريته وأبنائه ..

– كما تعد الأسرة بالنسبة للطفل موصلاً جيداً لثقافة المجتمع ، وتشارك بطريقة مباشرة فى عدد من الثقافات الفرعية ، وشبكات العلاقات الاجتماعية (التى تعتمد إحداها على مكانة الطبقة الاجتماعية ، وتعتمد الثانية على العضوية فى جماعة عرقية ، كما تعتمد أخرى فى بعض الأحيان إما على المهن أو المصالح .. إلخ) .

والأسرة التى يولد فيها الطفل هى الجماعة المرجعية .. أى الجماعة الأولى التى يعتمد الطفل على قيمها ومعاييرها وطرق عملها عند تقييمه لسلوكه، ويتضمن ذلك أن الطفل يثبت شخصيته مع أسرته كجماعة، لدرجة أن طرقها تصبح جزءاً من نفسه ، وهذه الطرق تنتج أساساً نتيجة التفاعل بين الأعضاء، وبذلك يصبح نمط التفاعل بين الأعضاء أنفسهم بعضهم البعض نموذجاً لسلوك الطفل .. وتتأثر التنشئة الاجتماعية بصورة واضحة بها إذا كان التفاعل فى الأسرة يتميز بالهدوء والطبيعة الجيدة أو التوتر ، وعما إذا كانت تتسع أو تضيق المسافة بين الآباء والأطفال أو بين الذكور والإناث . وبما إذا كانت طبيعة العلاقات والتفاعلات داخل الأسرة تتسم بالتعاون أو التنافس .. إلخ .

وهكذا يتضح :

أن الأسرة وسيلة الاستمرار المادى للمجتمع، التى تزوده بأعضاء جدد عن طريق التناسل ، وتتولى أيضاً الاستمرار المعنوى لهذا المجتمع ، بتلقين قيمه ومعايير سلوكه واتجاهاته وعاداته وطرائقه للأطفال ..

وإذا كان للأسرة هذا الدور فى عملية التنشئة .. فمن الملاحظ أن هناك اختلافاً بين أسلوب التنشئة الأسرية فى الدول المتقدمة والدول النامية .. فعلى الرغم من أن الأسرة منهارة فى الخارج وخاصة فى المجتمعات المتقدمة ، فإنها تؤدى إلى مزيد من الحرية الفردية ، وهذا يتيح للأطفال فرصاً أكبر للاستقلال والاعتماد على النفس.. ولكننا نجد الأسرة فى مجتمعنا متماسكة وقوية ، ومع ذلك فإن أسلوب التنشئة فيها حاد إلى حد الصرامة فى كثير من الأوقات ، ومن ثم فهى كثيراً ماتؤدى إلى معوقات كثيرة أمام التعبير الحر الصريح ، وتعوق بناء الشخصية القادرة على المشاركة الإيجابية الفعالة ، وهذا يؤدى إلى عدم قدرة الأطفال على الابتكار والنقد والبناء ، ولاتعطى الطفل الحرية للتعبير أو السلوك أو الاعتقاد ..

ولكى يصبح أسلوب التنشئة الأسرية فعالاً ، ويكون للأسرة دور إيجابى فإن عليها :

- أن تعمل على تدريب الأطفال على أنماط السلوك المتطور ، بتطوير المعايير والقيم والتقاليد البالية التى لاتساير تطورات العصر ، والتى ظلت محتفظة بها لفترات طويلة ، مثل قضية اختلاط الفتى والفتاة ، وخروج المرأة للعمل .. إلخ ، وبذلك توفر المناخ النقى والسليم لتمسك الأطفال بالمعايير والقيم السائدة فى المجتمع الحديث .

- أن تعمل الأسرة على تبصير الأطفال بالمعايير والقيم والمثل المنحرفة ، ومن ثم يتبينوا أنماط السلوك غير المقبولة اجتماعياً ليتعلموا بعد ذلك أنماط السلوك المطلوب لتمثلها وتقمصها ؛ حتى لايفاجأوا بها ، المهم أن يتمكنوا من مواجهة مختلف التناقضات والانحرافات .

- أن تتكاتف الأسرة وتتكامل فى أسلوب تنشئتها وفى مضمونها مع مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى ؛ حتى لايحدث أى تناقض بين مختلف وظائف هذه المؤسسات.. فلاتنادى المدرسة بمبدأ تكافؤ الفرص ثم يأتى المنزل يميز الولد على البنت لمجرد الاعتقاد أنه جنس أرقى أو أفضل للأسرة فى المستقبل مثلاً.. إلخ .

ثانياً : المؤسسات التعليمية

(١) رياض الأطفال :

يخلط الكثيرون بين دور الحضانة ورياض الأطفال - فمنهم من يعتبرها مؤسسات رعاية تربوية واجتماعية ، ويطلقون عليها جميعاً دور الحضانة ، والبعض الآخر يطلق عليها أو على الجزء الخاص بالأطفال من سن ٣-٦ سنوات (مدرسة الحضانة) ، باعتبارها مؤسسة تعليمية .. ولكننا ننظر إليها النظرة التربوية التى تتفق مع خصائص المرحلة العمرية التى يمر بها الأطفال الذين ينتمون إليها ، ويلتحقون بها فيما بين الثالثة والسادسة من العمر ، حيث إن الطفل منذ ميلاده إلى أن يتم الثالثة تقريباً غالباً مايكون فى ظل أسرته . أما بعد الثالثة وقبل دخول المدرسة الابتدائية ربما يلتحق بروضة الأطفال .

دور رياض الأطفال فى تنشئة الطفل اجتماعياً :

إذا كانت السنوات الأولى من حياة الفرد هى أهم مراحل نموه وتكوينه الجسمانى والعقلى والنفسى والتربوى والاجتماعى ، وهى السنوات التى يتم فيها تشكيل شخصيته الإنسانية ووضع البذور الأولى لبناء الإنسان وتحديد إتجاهاته وميوله وغرس تقاليد وعادات المجتمع لديه .. لذلك فإن الاهتمام بالأطفال فى هذه المرحلة العمرية لاتعود نتائجه على هؤلاء الأطفال فقط ، ولكنها تعود على المجتمع ككل فى المدى الطويل، باعتبار أن التكوين السوى للفرد هو استثمار فى البناء البشرى .. ومن هنا فإنه إلى جانب دور الأسرة فى تنشئة الطفل فى فترة ماقبل المدرسة يتبع دور رياض الأطفال فى هذه المرحلة المهمة من حياة الطفل ، والذى يتضح فيما يلى :

- تسعى رياض الأطفال إلى تحقيق النمو المتكامل للطفل ؛ ولذا يجب أن يشمل هدفها تهيئة الطفل وإعداده إعداداً سوياً للمراحل العمرية التالية .
- تعمل رياض الأطفال على توجيه وإكساب الطفل العادات السلوكية التى تتفق مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع الذى ينتمون إليه .. وتنمية ميول الأطفال ، واكتشاف قدراتهم ، والعمل على تنميتها بما يتفق وحاجات المجتمع الذى يسعى إلى التقدم .. فغرس الميول المختلفة عند الأطفال يتوقف - إلى حد كبير - على توجيه الطفل من خلال اللعب ، وإذا كانت ميول الأطفال تتعارض مع ميول الآباء والأمهات

عندما لايجد الطفل فى مسكن الأسرة مايشبع ميوله .. ففى رياض الأطفال تتوافر للطفل إلى حد كبير وسائل إشباع ميوله من خلال مجتمع الأطفال المعد لهم .

(٢٢:٥٣-٥٤) .

- وفى رياض الأطفال تنمو لدى الطفل الأسس العريضة لآداب السلوك ، والإدراك المعنوى ، والأحاسيس والعادات والعلاقات مع الآخرين ، ففى جماعات الأطفال ذات السن والحد يجمع طفل رياض الأطفال أولى تجارب وخبرات العلاقات الاجتماعية ، وتتكون لديه الملامح الأولى لعلاقاته المتبادلة مع المجتمع ..

- وفى رياض الأطفال يتم خلق وإيجاد جو متناسق ومتوافق بين جماعة الأطفال وتنمية احتياجات الأطفال وعاداتهم السلوكية وتوجيههم إلى نواحى السلوك السوية التى تتفق مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع السائدة فى هذه السن .. ويحاول القائمون على تربية الطفل وتنشئته فى رياض الأطفال الوصول بالطفل، عن طريق اللعب والنشاط من خلال مجالات العمل المختلفة مع الأطفال للنمو المتكامل للشخصية (العضوى والنفسى والتربوى) وتطوير إمكانات الطفل واستعداداته ، وإعداده لأولى المراحل التعليمية (المرحلة الابتدائية) .

ولكى يصبح أسلوب التنشئة الاجتماعية فعالاً داخل رياض الأطفال .. فإنه :

- يبرز الأهمية التربوية الكبرى لإعداد وتأهيل المربيات لدور الحضانة ورياض الأطفال ؛ لأن تفتح نمو واستعدادات الطفل الفطرية يستدعى توافر المعرفة الكافية لخواص ومظاهر كل مرحلة من مراحل نمو الطفل للقائمين على تربيته وتنشئته ورعايته .

- يبرز أهمية إيجاد الصلات الوطيدة بين رياض الأطفال وبين الآباء والأمهات ؛ لضمان عدم التعارض بين أهداف وأسلوب ومنهج العمل المشترك فى كل منهما ، وتحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية التى من أجلها أنشئت رياض الأطفال .. فرياض الأطفال لايمكن أن تقوم بالوظائف المتعددة التى للأسرة تماماً وأن تكون بديلة عنها ، ولكنها مكملة لوظائف الأسرة ومساعدة لها فى نجاح مهامها التربوية فى تنشئة وتربية طفل رياض الأطفال على أحسن وجه .

- كذلك تبرز أهمية وجود برنامج عملى محدد لرياض الأطفال، يحقق أهداف العمل التربوى بها ، ويساعد على نمو الطفل وتنمية قدراته وتفتيح استعداداته وإشباع احتياجاته وتوجيه ميوله وتنميتها ، من خلال البرامج المحددة الموجهة لنشاط

الرياض والتخطيط لهذه المنشآت ، وتوفير المبانى المعدة والأجهزة والوسائل التعليمية التربوية من لعب وغيرها من مستلزمات تجهيز بما يحقق الأهداف التربوية لها . ووضع برنامج عمل يومى لكل دار حضانة وروضة أطفال والاعتماد على الألعاب المبرمجة، كوسيلة أساسية لتحقيق الأهداف التربوية لهذه الدور مع توافر الألعاب المناسبة مع الإمكانات المحلية، ومراحل نمو الطفل المختلفة واحتياجاته لهذه اللعب . من خلال كل هذا نستطيع أن نقول بأن رياض الأطفال مؤسسة – أو بيئة طيبة لتنشئة طفل الثالثة ، حتى يدخل المدرسة الابتدائية فى السادسة .

(٢) المدرسة :

نظراً لتعقد عناصر الثقافة واتساع دائرتها التى يتعين على الفرد اكتسابها ، بدأت الأسرة تفقد بالتدريج كثيراً من وظائفها الاجتماعية نظراً لانشغال الآباء تحت ضغط الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وماكانت الأسرة تقوم به أصبح من وظائف المدرسة فى نقل التراث الثقافى إلى الأجيال ، ومعاونة الأبناء على مواجهة ظروف الحياة فى ضوء ما اختارته من قيم وأنظمة ومعارف (٢٣:١٠١) .

وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة ، فإنه يصبح لأول مرة تحت إشراف أفراد ليسوا من أقاربه – وبالتالى فهو يتحرك من وسط تسوده الروابط الشخصية إلى وسط آخر غير شخصى ، من خلال الاتصال مع المدرسين والزملاء من التلاميذ .. ومن ثم فإن المدرسة هى التى تربط الطفل بنظام اجتماعى أوسع ، وهى المنظمة الرئيسية التى يوكلها المجتمع من أجل تقبل روابط الطفل بوالديه ، وإدخاله لأول مرة فى المنظمات الاجتماعية التى تتجاوز حدود الجماعات المعتمدة على القرابة والجيرة ..

دور المدرسة فى عملية التنشئة الاجتماعية :

تلعب المدرسة دوراً بارزاً فى عملية التنشئة الاجتماعية ، ويتضح ذلك فى الآتى :

- تأخذ المدرسة على عاتقها حالياً – فى المجتمع الحديث – مهمة تهيئة الصغار تهيئة اجتماعية من خلال نقل الثقافة ، فقد بلغت الحال بالمجتمع الحديث أن يتوقع من المدرسة أن تنقل إلى الطفل ثقافة معقدة تعقيداً شديداً ، لاتنطوى فقط على قدر كبير من المعارف المتراكمة والمهارات المعقدة ، بل على مجموعة أكبر من القيم والمعايير النظرية المتشابكة ، التى تشتمل على الأسس الأيديولوجية لتراث المجتمع الثقافى .

فقدرة المجتمع الحديث على الاستمرار لاتتوقف على قدرة مواطنيه على القراءة والكتابة، ولكن على إيمانهم بالمبادئ السياسية والدينية والاجتماعية التى تقدم على أساسها نظم المجتمع والإخلاص لها .. ولذلك ينتظر من المدرسة أن تعلم الطفل شيئاً ما من مختلف المثل العليا ، مثل: الديمقراطية وحكم القانون والمشروع الحر ، بل يتعلم كيف يتصرف وفقاً لهذه المبادئ والعادات ، (١١ : ٢٣٩-٢٤٠) .

- تلعب المدرسة فى المجتمع الحديث دوراً مهمًا فى تعليم الاتجاهات ، والمفاهيم ، والمعتقدات المتعلقة بالنظام السياسى .. حيث تعطى المدرسة الطفل المحتوى والمعلومات والمفاهيم ، التى من شأنها توسيع وصقل مشاعر الطفل المبكرة المتعلقة بالارتباط بالوطن ، كما تضع تأكيداً أعظم على الامتثال للقانون والسلطة ولوائح المدرسة .. هذا الدور الخاص بتوجيه الطفل نحو النظام الاجتماعى والسياسى القائم وتعضيد احترامه له، لاشك أنه إحدى الطرق التى تعمل فيها المدرسة كمنظمة محافظة للتنشئة الاجتماعية .

- تعلم المدرسة الطفل المهارات والمعلومات المتعلقة بالطريقة، التى يعمل بها المجتمع أو التى ينبغى أن يعمل بها . ويؤدى ذلك إلى إعداد الطفل للتصرف وفقاً للأدوار التى يقوم بها العضو الراشد فى المجتمع .. فأهم جزء من عملية التهيئة الاجتماعية يتضمن التمثيل اللاواعى ، واستبطان المعتقدات والقيم ونماذج سلوك الآخرين الذين يتصل بهم الفرد اتصالاً مباشراً .. فعن طريق توسيع دائرة الطفل يتعلم إعداد نفسه للقيام بمختلف الأدوار التى يقوم بها البالغ ، كما يعرف ماينتظر من الأشخاص الذين يشغلون وظائف فى مجتمع الكبار .

- كما تلعب المدرسة دوراً أكبر فى مساعدة الأطفال على تعلم ضبط انفعالاتهم والتعامل مع مراكز السلطة ، وكذلك تولى القيام بها ، كما تتضمن التهيئة الاجتماعية معرفة الطفل للطريقة التى تحل بها المشكلات من كافة الأنواع، واكتساب الوسائل الفنية لحل المشكلات كجزء متمم للعملية التربوية .

- ولاتلعب المدرسة فحسب هذا الدور المحافظ فى عملية التلقين ونقل التراث الماضى.. ولكن تشجع المدرسة القدرات الخلاقة لأعضاء المجتمع الجدد ، ولذلك تقوم بدور أكبر فى الإسهام فى الأنشطة الخلاقة من جانب التلاميذ وعن طريق غرس القيم الاجتماعية ، التى يجب أن تتماشى مع الرغبة فى التقدم القائمة على الإنجازات فى العلوم وفى مجالات المعرفة الأخرى ، كما تأخذ على عاتقها مهمة القيام بدور رئيسى فى عمليات التجديد والتحديث والتغيير .

هذه الوظيفة التجديدية الاستحداثية مهمة جداً لإعداد الأطفال اجتماعياً للمعيشة فى مجتمع يتعرض للتغير السريع .

– كما تلعب المدرسة دوراً مهمّاً فى تكوين وبناء القيم والمعايير وإكسابها للطفل .. ذلك أن للمدرسة بنية اجتماعية متميزة فيها مكانات وأدوار اجتماعية محددة : ففى حجرة الدراسة يوجد تنظيم خاص متعارف عليه مثل تنظيم مقاعد الجلوس ، واختيار مجموعات العمل ، وتوزيع الامتيازات والأدوار توزيعاً غير متساو ، كما يحكم العمل المدرسي معايير تتصل بالحضور والغياب والتعامل بين التلاميذ والمدرسين والناظر والسعادة وأولياء الأمور .. إلخ ، ويلعب المعلم فى الجو المدرسى دوراً مهماً بالنسبة لمشاركة التلاميذ ومعرفة مستويات طموحهم ومستويات إنجازهم وذكائهم .. مما يكون له أثر مهم فى تكوين شخصية الطفل .

ولكى تصبح التنشئة الاجتماعية داخل المؤسسات التعليمية فعالة.. فإن عليها :

– أن تعمل على إشراك الطفل فى ممارسات تساعده على أنماط من السلوك السوى . وأن تتأكد من أن هذا التعود لم يتخذ مظهر التعليمات المحفوظة ، بل إنه قد تم بطريقة فعالة وأصبح جزءاً من سلوك الطفل الطبيعى حتى يساعد على تطور المجتمع .

– أن تعمل على إكساب الطفل المعايير والقيم الخلقية ، وأن تبذل جهداً بارزاً فيما يتعلق بالتعليم الدينى ؛ بحيث لايصبح الدين مادة دراسية على التلميذ النجاح أو الرسوب فيها ، وإنما يستوعب التلميذ المضمون الدينى كعناصر تراثية قادرة على التفاعل مع أكثر قضايا حياته اليومية معاصرة .

– أن تعمل المدرسة على تأسيس القدوة والمثالية من خلال القائمين على التنشئة الاجتماعية (المدرسين) .. فالمدرس الذى يهتم بالدروس الخصوصية ويوفر جهده لها ، ويهمل فى تعليم تلاميذه ، ويساعد على النجاح بالغش أو بأية وسيلة أخرى ، فإنه بذلك يطرح عادة المثال الأنانى الذى لايرى أى منطق لمصلحة عامة ، ومن ثم يساعد على انتشار ظواهر كثيرة .. كالغش والخداع والانتهازية وعدم الولاء .. إلخ .

ولذلك .. على المؤسسات التعليمية أن تعمل على ضرورة تأسيس الاتساق بين مضمون التنشئة التى تؤديها ومتطلبات البناء الاجتماعى ، حتى تؤسس مكانتها العضوية ودورها الفعال فى نطاقه .

لعل هذه النقاط السابقة الذكر من أهم مايجب أن تراعيه التنشئة الاجتماعية فى المؤسسات التعليمية ؛ على اختلاف مراحلها ، لتكون أكثر فعالية .

ثالثاً : وسائل الإعلام

تعتبر وسائل الإعلام كالإذاعة والتليفزيون ، والسينما ، والمسرح ، والكتب والمجلات ، والصحافة من أخطر المؤسسات الاجتماعية فى التنشئة الاجتماعية للطفل، بما تتضمنه من معلومات مسموعة أو مرئية أو مقروءة .. إذ يقصد من إرسالها وإذاعتها على الناس إحداث واحد أو أكثر من التأثيرات التالية :

(١) إحاطة الناس علماً بموضوعات ومعلومات متعددة فى جميع نواحى الحياة.

(٢) إغراء الناس واستمالتهم وجذب انتباههم لموضوعات وسلوكيات مرغوب فيها .

(٣) إتاحة فرصة للترفيه والترويح وقضاء وقت الفراغ (٧:١١١) .

وتبدو أهمية هذه الوسائل فيما تتصف به من خصائص عامة تلعب دوراً خاصاً فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وهى :

- أنها غير شخصية : أى إنها لاتحدث تلاقياً أو تعاملاً أو تفاعلاً بين أصحابها والأفراد كما هو الحال فى الأسرة والمدرسة .
- وهى تعكس الثقافة العامة للمجتمع بما تتميز به من تنوع وتخصص، لايتوافر فى أى مؤسسة اجتماعية من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى .
- إلى جانب جاذبيتها بحيث أصبحت تحتل جانباً كبيراً من وقت واهتمامات الإنسان.

ويتضح ذلك فيما يلى :

(١) الإذاعة :

تلعب الإذاعة دوراً مهماً بين وسائل الإعلام فى التنشئة الاجتماعية للأفراد ؛ لطبيعتها التى لاتحتاج إلى الاستقرار الكامل الذى يميز وسائل الإعلام الأخرى ، ولها تأثيرها على شخصية الأفراد وأنماط سلوكهم وإمدادهم بكثير من المعلومات والمعارف والقيم والتقاليد ومعايير السلوك السائدة فى المجتمع . وتعلم الطفل صوراً لما ينبغى أن

تكون عليه فى مواقف وعلاقات معينة حتى يمكنه أن يواجه تلك المواقف فى الواقع. وتعرض سلوكيات الناس فى صور درامية متعددة من الأبطال والأوغاد والمضحكين والمهن والسلالات والشخصيات .. إلخ ، وتلك الشخصيات والصور يتلقاها الطفل والراشد على مستويات متعددة من الأعمار ، عن طريق السماع والمتابعة المنصتة والأذن الصاغية – هذه الصور وتلك المادة التى تعرضها الإذاعة لها دورها المهم فى إكساب الطفل كثيراً من معايير السلوك ، وكثيراً من المعارف والمعلومات التى تفيده فى مجريات حياته ..

(٢) التليفزيون :

يبدأ الأطفال مشاهدة التليفزيون قبل استطاعتهم القراءة وقبل التحاقهم بالمدرسة، ويقضى الأطفال ساعات طويلة فى مشاهدة برامج التليفزيون تتراوح مابين ٤٥ دقيقة فى المتوسط كل يوم من أيام الأسبوع عند طفل الثالثة ، ويزداد هذا الرقم إلى ساعتين يومياً عند طفل الخامسة ، ثم يرتفع إلى ثلاث ساعات يومياً عند طفل الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة (١١ :٢٥٦) .

وتميل البرامج المفضلة عند الأطفال خلال سنوات ماقبل المدرسة ، لأن تكون تلك البرامج المتعلقة بالحيوانات وشخصيات الكرتون أو العرائس ، وتتسع اهتمامات الأطفال خلال السنوات الدراسية الأولى لتشمل المغامرات الموجهة للطفل ، والقصة المسلية أو العلمية ، والمواقف الكوميدية المتعلقة بالأسرة .

وربما كان تأثير التليفزيون بالذات على الأطفال أقوى وأعمق من تأثير أى وسيلة أخرى؛ نظراً لارتباط الصوت بالصورة وعدم الحاجة إلى إتقان القراءة والكتابة، كما أن البرامج التى يرسلها التليفزيون تصل إلى كل البيوت وتنقل آلياً المعلومات نفسها وصور الحياة والأخبار .. إلخ ، وبذلك تساعد بطريق قوى وفعال على توحيد الأساس الثقافى والمعرفى لدى قطاعات كبيرة جداً من أفراد المجتمع .

- وهكذا يلعب التليفزيون دوراً مهمًا فى التنشئة الاجتماعية باعتباره رسالة ناقلة للمعلومات ، ومحرضاً قوياً وجذاباً للمعرفة ، فهو ينقل للناس أشياء وأماكن ليس من السهل عليهم الوصول إليها ؛ مما يجعلهم يتابعون نهضة غيرهم من السلوك فتنشط اهتماماتهم ..
- ورغم أهمية التليفزيون هذه فى عملية التنشئة الاجتماعية ، فمازالت الآراء منقسمة ومتعارضة حول أهمية التليفزيون كوسيلة إعلامية فى تكوين الشخصية، فالمعارضون له يركزون على الصدمة التى يلقاها الطفل أثناء العروض التليفزيونية

المختلفة بما يعرضه من صور الجريمة والعنف فى صور جذابة ، ويكون الطفل إزاءها متفرجاً ومتابعاً نشطاً (٢٦٢:٨) وهنا ، فإن الأطفال يقلدون مايشاهدون من عنف وعدوان فى القصص التليفزيونية ، وماتشيعه من سلوك اللامبالاة وتشويه للقيم ؛ إذ كثيراً مانشاهد أبطال القصص يحتسون الخمر ويدمنون الشرب فى مواجهة المواقف العصبية ، وبذلك نقدم للناشئة من خلال التليفزيون القيم والمعايير والمثل السيئة ..

أما المؤيديون للتليفزيون ، فيشيرون إلى أنه يوسع آفاق الطفل ويخلق الاهتمامات لديه ، وينبه الأفكار ويثرى من الخيال والتصورات ، ويعمل على توثيق العلاقات الأسرية من خلال الرؤيا المشتركة ، ويستميل نوعاً من المشاركة فى متابعة الأحداث .. ولاشك أنه يثرى شخصية الأطفال وينمى لديهم مهارات وقدرات هم فى حاجة إليها .

وهكذا فإنه لو أحسن اختيار البرامج بحيث يكون لها دور تربوى هادف ، للعبت دوراً أساسياً فى مجال الترفية والتسلية بشرط ألا يتعارض ماتقدمه تلك البرامج مع القيم السائدة فى المجتمع ، أو مع أهداف المجتمع وتصوراته عن المستقبل .

ومهما اختلفت الآراء فى مزايا وعيوب التليفزيون كوسيلة إعلامية ، فإن الإتفاق موجود على أنه من أهم وأخطر مؤسسات أو وكالات التنشئة الاجتماعية للطفل.

(٣) السينما :

تلعب السينما دوراً مهمًا فى عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية بما تحدثه الأحداث التمثيلية من جاذبية خاصة تشد انتباه الصغار والكبار ، وتخاطب حاستى السمع والبصر والعاطفة والوجدان ، ويضفى البعد الحركى على مايعرضه من أحداث، ويشجع المشاهدين على التعاطف والتوحد مع الشخصيات بحيث يأسفون لأحزانهم ويشاركونهم انتصاراتهم ، وبذلك تعمل على تعزيز المفاهيم وامتصاص أنماط جديدة للسلوك والقيم والاتجاهات .. وبهذا تصبح السينما أيضاً من المؤسسات أو الوكلات المهمة ، التى لها دور لايمكن إهماله فى إحداث تنشئة الطفل الاجتماعية .

(٤) مسرح الطفل :

يمثل مسرح الطفل تلك البهجة المتصلة التى تملأ نفوس الأطفال عند عرض المواقف الدرامية والفكاهية عليهم ؛ بهدف تلقين الطفل قيم المجتمع سواء كانت

سلوكية أم خلقية أم دينية أم اجتماعية .. وهو وسيلة لإثارة خيال الأطفال والتحليق بهم فى عوالم غير واقعية ؛ من أجل إكسابهم خبرات تعينهم على مجابهة هذا الواقع .. وأن تغرس فى نفوس الأطفال حب العمل والإخلاص وحب الوطن والعمل من أجله ، واحترام الملكية العامة والأمانة ، وعدم الكذب والتعاون مع الآخرين ، واحترام الأكبر سناً ... إلخ . هذه القيم تقدم للطفل عن طريق النموذج الجيد فى شكل فنى يسلى الطفل ، ويعينه بالأغنية والرقصة والضحكة وإثارة المشاعر .. إلخ ، هذا إذا كانت المسرحية إيجابية ، وقد تكون على النقيض من ذلك فتصبح أداة سلبية للتنشئة الاجتماعية ؛ إذ تجعل الطفل يتفاعل مع سلبيات لانريدها كجزء من شخصيته .

ونحن كمصريين أمامنا وعاء خصب وعريض لتقديمه على مسرح الطفل، وهو التراث العربى والأسطورة والحضارة الفرعونية .. وبذلك يمكن أن نربط أطفالنا بجذورهم الثقافية والحضارية (١٠: ٧١) وننمى فيهم القيم الأصيلة ومعايير السلوك المقبولة .

ومما سبق يتضح دور المسرح فى تنشئة الطفل الاجتماعية .. وإن كان مسرح الطفل مازال فى حاجة ماسة للعمل والانتعاش ..

(٥) المطبوعات :

تلعب الكلمة المقروءة فى الصحف والكتب والمجلات والقصص دوراً مهماً فى التنشئة الاجتماعية للطفل .. بمساعدته على تعرف أكبر من ذلك الموجود فى خبرته الحالية ، وتقترح له دوراً سلوكياً ، وغالباً ماتجرى هذه الأدوار الجديدة فى الألعاب التى يؤديها بمفرده أو مع زملائه ، وتساعد على معرفة الطفل بما هو ردئ وماهو جيد ، وتسهم فى نمو القيم لديه ؛ أى إن مايقرأه الطفل أو حتى الراشد ، يؤثر فى إدراكه للعالم ويسهم فى إشباع الحياة التخيلية لديه ، ولكن على الآباء والمربين توجيه أطفالهم لما يقرأون .

وهنا يجب الإشارة إلى أن المادة المقروءة المقدمة للأطفال مازالت فى حاجة إلى تقييم علمى جاد .. ذلك أن تقديم الكتاب للطفل فى مختلف مراحل نموه يجب أن يتم بناء على دراسة علمية وخطة متكاملة ، تجعل الطفل لايمر بمرحلة من مراحل نموه إلا ويكون قد قرأ كل مايمكن أن يتلاءم مع قدراته الفنية والأدبية من ناحية ، وكل مايشبع احتياجاته النفسية ونوازع سيكولوجيته الخفية من ناحية أخرى .. وهذا يحتم علينا أن نخضع عملية تأليف الكتاب للطفل لجهاز علمى يراقب كل كتاب ، يقدم للطفل بحيث لايخرج إلا بعد أن يكون قد فحصت لغته ومادته ، فلايشعر الطفل

بالبعد بينه وبين الكتاب ، بل على العكس يشعر أن الكتاب ليس إلا امتداداً لما فى ذهنه ونفسيته .. وبذلك يمكن أن يتحقق الهدف الأسمى من وراء الكلمة المقروءة فى مشاركتها فى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل (٤-٦٢) .

وهكذا يتضح أن وسائل الإعلام أداة فعالة وقوية فى إرساء القواعد الخلقية والدينية لمجتمع فاضل وإكساب معايير السلوك السوية ، وتستطيع أيضاً أن تسم بالعقل لتخرج أحسن مابه من تفكير ، وابتكار ، وخيال خصب ، وفى تشكيل كثير من الاتجاهات ، والتفاعل مع المعارف والمعلومات التى يحتاجها الطفل فى سياق مواقف حياته اليومية . وبذلك تكون كل الوسائل الإعلامية فى خدمة الطفل من خلال تفاعله معها ، ولهذا نستطيع أن نقول بأن وسائل الإعلام تعمل على تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية بناءة مسايرة لثقافة المجتمع بكل ماتحتويه .

مايجب أن تهتم به وسائل الإعلام ، فيما يتعلق بدورها فى التنشئة الاجتماعية للطفل :

لكى تؤدى وسائل الإعلام دورها فى تنشئة الطفل.. فإنه يجب على القائمين عليها أن يراعوا الاهتمام بالمضمون الذى تقدمه وسائل الإعلام للطفل .. بأن تقوم الخطة القومية لتثقيف الأطفال على تأكيد القيم الدينية والإنسانية وتقوية الشعور بانتماء أطفالنا إلى وطن مصرى عربى ، وتقوية إحساسهم بالمسئولية نحو المجتمعات التى يعيشون فيها .. وتنمية طاقاتهم الخلاقة وتأكيد الأهمية البالغة لما يقدم للأطفال فى المجالين الثقافى والفنى وأثره العميق فى تكوين أجيال الأمة التى ستحمل عبء تشكيل الحياة فى المجتمع فى الغد القريب .. ويجب الحرص فى كل مايقدم للأطفال على التشبث بالقيم الأصيلة وتقوية الإحساس بالمسئولية ، وتنمية قدرات الأطفال على استخدام عقولهم وأيديهم وقدراتهم على البحث والخلق والابتكار، وتنمية إرادتهم واستغلالها وثقتهم بأنفسهم ، وصقل تذوقهم للفنون مع عدم التفرقة بين طفل وآخر .. إلخ .

وإن يختلف ماتقدمه وسائل الإعلام للأطفال عما تقدمه للراشدين ..

ذلك أنه قد ثبت خطورة الأثر الذى تتركه المواد الإعلامية المقدمة للراشدين على الأطفال، سواء فيما يتعلق بما تقدمه هذه الوسائل (فى وعى الكبار) من قيم واهتمامات سيعملون بوعى أو بغير وعى على غرسها فى الصغار ، أو لما تتركه المواد المقدمة للكبار فى نفوس الأطفال من انطباعات ؛ لعدم وجود مايحول بين الأطفال ومتابعة المواد الإعلامية غير الموجهة لهم .. ولذا يجب مراعاة القيم الخلقية والإنسانية العامة فيما يقدم من برامج للكبار ؛ لما يسببه هبوط مستواها من خطر على

الناشئين .. وأن تراعى الوسائل الإعلامية فى كل مايقدم للكبار أن الأطفال يتأثرون به مما يستدعى ترشيد هذه الوسائل وتوجيه العاملين فى ميادين الثقافة والإعلام الموجهة للكبار إلى الدور ، الذى يمارسونه فى التأثير على تكوين الناشئة من الأطفال.

أن تراعى وسائل الإعلام المختلفة الموجهة للأطفال سلامة اللغة التى تخاطب بها الطفل : فلكل مرحلة من مراحل النمو مجموعة من الكلمات يكون الطفل قد اكتسبها وتعلمها ، ثم تزداد حصيلته بانتقاله من مرحلة إلى أخرى ، ولن يستطيع الطفل الإقبال على مايوجه إليه من مواد إعلامية ، إلا إذا كانت مفردات لغته فى حدود الحصيلة اللغوية للطفل التى يتلقاها ، وإلا وجد الطفل المواد الإعلامية صعبة وغير مفهومة ؛ مما يؤدى إلى انصراف الطفل عن متابعة المادة الإعلامية لما يحس به من إحباط ومشقة .. ومن ثم ينتفى أثرها فى التنشئة الاجتماعية (٢٧: ٨١) .

رابعاً : المؤسسات الرياضية

- الأندية : هى تجميع لأفراد لهم ميل مشترك فى كل مكان ، تتاح لهم فيه الفرص لاكتساب الزمالة والصداقة والتعبير عن ميل الفرد للاجتماع بغيره .. وهى صيغة أفضل للجماعات فى أوضاع اجتماعية مقبولة ..

ولما كانت الميول والرغبات تلعب دوراً مهمًا فى تنظيم النادى .. لذلك فإن هناك أنواعاً مختلفة من الأندية لاحد لها ، وأن أية محاولة لتحديد أنواع الأندية يجب أن تبدأ من الجماعة أو التجميع الطبيعى للأفراد ، كما أن الجماعة ذات الميل المشترك، والتى يتركز نشاطها حول الموسيقى أو التمثيل أو الرياضة أو الهوايات أو أى ميل آخر تعتبر نقطة شائعة لبدء تكوين النادى ..

ولعل أهم مايميز الأندية هو تعدد نواحى النشاط فيها ؛ مما يجعلها قادرة على تحقيق رغبات وهوايات كل من يلتحق بها أو يتردد عليها .. فالأندية أماكن يسودها جو مشبع بالألفة ، يجد العضو فيه مكاناً للمطالعة الحرة ، أو صالة للعب ، أو جماعة من الأصدقاء تتناقش معاً ، أو ندوة من الندوات . وباختصار .. يجد كل عضو فيها مجالاً لممارسة كل ألوان النشاط الثقافى والرياضى والاجتماعى .. ومن هنا وجب توجيه النشء إلى شغل أوقات فراغهم صيفاً فى الأندية ؛ لزيادة خبراتهم

الثقافية والاجتماعية والرياضية فى جو متحرر من القيود .

– وهناك إلى جانب الأندية – توجد الساحات الشعبية : التى تقوم بالدور نفسه الذى يقوم به النادى ، ولكنها لاتحتاج فى إنشائها إلى التكاليف نفسها التى يحتاج إليها إنشاء النادى – وهى تتناول مختلف نواحى النشاط الرياضى والثقافى والترويحى بأسلوب مبسط يتناسب مع مستويات أبناء الشعب على اختلاف طبقاتهم .. ففى هذه الساحات يمارس الأعضاء باشتراكات زهيدة ألعاباً شعبية كالتحطيب ، وكرة القدم ، كما تلقى المواويل والقصص الشعبية ، وكلها وسائل وألوان من النشاط تؤدى إلى فوائد تربوية سليمة ..

دور المؤسسات الرياضية فى التنشئة الاجتماعية :

تهتم المؤسسات الرياضية أساساً بتوفير النشاط المبهج والنتائج السارة للأعضاء، ويمكن أن تحدد دور المؤسسات الرياضية فى عملية التنشئة الاجتماعية فيما يلى :

(١) اكتشاف الميول وتنميتها :

غالباً مايعرف الميل بشىء ما ، بأنه يمثل المجموع الكلى لاستجابات القبول التى تتعلق بأوجه النشاط المميزة له دون ضغط خارجى ؛ مما يجعل الفرد يجد لذة وسروراً فى مزاولته والتحدث عنه ، ويحاول برغبته أن يبذل كل جهد فيه .. مثل الأنشطة الرياضية (لعب كرة قدم ، كرة سلة التنس إلخ) والأنشطة الفنية : (الموسيقى، والرسم ، والتصوير ، والرقص .. إلخ) . وهنا .. فإن أول دور تؤديه النوادى والمؤسسات الرياضية هو اكتشاف ميول الأفراد الأعضاء فيه، ومحاولة تنميتها بتشجيعهم على مزاولة النشاط الذى يميلون إليه، وتدريبهم لتحسين مستوياتهم فى الأنشطة المختلفة ..

(٢) تنمية المهارات المختلفة للأعضاء :

تعلم المهارات أساسى فى الميادين العلمية والثقافية ، كالمهارات الحركية ومنها الجرى والقفز واللعب على العقلة ونط الحبل ورمى الجولف والقوس ... إلخ ، والمهارات اليدوية ، ومنها : أشغال الإبرة ، والرسم والحفر ، والمهارات المتعلقة بالقدرة على الضبط أو التوافق العضلى مثل ركوب الدراجة واللعب على البيانو .. إلخ . ولكى يكتسب الطفل مهارة من المهارات .. فلابد من أن يمارسها على فترات ، وينبغى على الرواد المشرفين على ذلك فى الأندية أن يركزوا على أداء الفرد للمهارة بنفسه ، وأن يقتصر توجيههم على أداء المهارة مع التغذية الراجعة من النشاط الذى يمارسه الفرد بواسطة المشرف أو المدرب .

(٣) تكوين الاتجاهات والقيم السليمة :

غالباً ماتزود الأندية والمؤسسات الرياضية أعضاءها بالاتجاهات والقيم الإيجابية .. هذه الاتجاهات نحو أنفسهم فيتقبلونها ، واتجاهات نحو الآخرين ؛ فيتجنبوا التعصب ضدها ، ونحو العمل بصفة عامة ، وأعمال معينة ، ونحو المدرسة ، ونحو أسرهم ، ونحو أسلوب الحياة الديمقراطى ، ونحو استخدام العقل والمنطق فى حل المشكلات ومحاولة تغيير الاتجاهات والقيم السلبية من خلال المشاركة الإيجابية الفعالة فى القضايا المختلفة ، ومناقشة الآراء واتخاذ قرار إزاءها ، فيتفاعلون بذلك معاً فى مناقشة جماعية أفضل من استماعهم إلى محاضرة عن القضية تحاول التأثير فيهم، لأنهم فى هذه الحالة يكونون سلبيين متقبلين .. أما فى الأولى يكونون إيجابيين..

وكذلك .. فإن المؤسسات الرياضية تساعد على غرس القيم الأصيلة التى تتفق مع مايتمسك به المجتمع .. فالحياة الاجتماعية مستحيلة بغير القيم ، فقيام النظام الاجتماعى بوظائفه لايمكن استمراره وبقاؤه بحيث يحقق أهداف الجماعة ، (ولايمكن أن يحقق مايريده الأفراد ومايحتاج إليه الآخرون على أسس شخصية وثقافية) بغير القيم .. فمثلاً .. يجب غرس القيم والاتجاهات نحو العمل اليدوى اللازم لتنمية المجتمع بعد أن ترسب لدى الشباب الاتجاه نحو العمل المكتبى ، والاتجاه نحو المرأة، والاتجاه نحو تقدير المصنوعات والأفكار وطرق المعيشة المستوردة من الخارج (مع رفض الأصيل الذى يتعلق بالمجتمع) .. كل ذلك يجب تغييره من خلال العمل الجماعى المشترك فى أثناء أنشطة النوادى والمؤسسات الرياضية .

(٤) تربية الصفات الأخلاقية الحميدة :

وهو جانب مهم يجب الاهتمام به فى المؤسسات الرياضية وغيرها ، الذى يسمح للفرد بأن يميز ماهو حق وماهو خير وماهو جميل .. وهى التربية التى تسمو بالنفس فتشعر بالرضا عن الحياة والقدرة على الشعور بالسعادة حتى فى ساعات النضال والجهاد .. تلك القدرات التى ترتفع بالحياة فوق مافيها من متاعب ومسئوليات..

وهذا الجانب أساسى إذ لاتستقيم الحياة الاجتماعية إلا إذا أخذ غالبية الشعب جانب الحق ، وهذا مانسميه بالرأى العام المستنير ، ولاتستقيم الجماعة إلا إذا اتجه كل إنسان نحو الخير ، ومن الخير : إتقان العمل ، والإنتاج ، والدقة فى أداء الواجب .. كذلك فمن الصفات الخلقية .. تنمية الروح الرياضية التى تتعلق بخروج المغلوب وتقبل الهزيمة بروح راضية .. فكما أن فى الحياة فرص النجاح ، هناك فرص الفشل ،

وبذلك يبتعد الفرد عن الأنانية .. والتعصب الأعمى .. إلخ .

(٥) تنمية الشعور بالانتماء :

وتساعد الأندية أعضاءها على الإحساس بالانتماء ، فهو عضو فى جماعة فريق ، وهو عبارة عن جزء من فرق لعبة معينة ، وهذه اللعبة تمثل إحدى أنشطة النادى ، الذى هو بدوره جزء من المؤسسات الرياضية الموجودة فى المجتمع والفرد دائماً يكون فخوراً بفوز فريقه ، وبالتالى يكون فخوراً كلما كان ناديه من الأندية الفائزة أو المعروفة .. هذا الإحساس بالانتماء يمتد ليشمل حب الوطن والانتماء إليه وتفضيله.. وهكذا .

واجبات رواد الأندية وقادتها فى تحقيق التنشئة الاجتماعية السليمة :

تختلف واجبات الرائد فى التنشئة الاجتماعية تبعاً لحجم المسئولية التى تحددها أهداف النادى .. ويمكن القول بصفة عامة ، إن الرائد مسئول عن الإشراف والتنظيم والتوجيه فى أوجه أنشطة النادى ، وفى بعض المناطق يكون الرائد مسئولاً عن البرامج مسئولية كاملة حتى عن إدارة الإعلان وضمان التعاون بين هيئات المجتمع واختيار الرواد المتطوعين ، وبصفة عامة يكون الرائد تحت إشراف المشرف بالخطوات التى يفكر الرائد فى اتخاذها ..

بالإضافة إلى ذلك .. فإن على الرائد من أجل نجاح عملية التنشئة الاجتماعية أن يقوم:

- بالعمل على الاستفادة من الإمكانات والتسهيلات إلى أقصى حد ممكن .
- بإدارة برنامج متوازن يقابل احتياجات المترددين على مكان النشاط بالنادى .
- بالاهتمام الكافى بألوان النشاط المتنوعة ، مثل : التمثيل ، الموسيقى ، الألعاب البسيطة والكبيرة ، الدورات الرياضية ، الأشغال ، الرقص ، فنون الطبيعة ، نشاط النادى ، وحفظ سجلات يدون بها الحاضرون ، وبيان المهمات الموجودة والحوادث والمناسبات الخاصة ؛ بحيث تكون هذه السجلات تحت طلب رؤسائه .
- بتنظيم برامج خاصة فى مناسبات خاصة من وقت لآخر ، بالإضافة إلى ألوان النشاط الترويحى العادى لاستثارة اهتمام زائد فى البرنامج .
- بالتفتيش اليومى على أماكن وأدوات النشاط لتجنب الحوادث، التى تنتج عن تلف أدوات ومهمات الترويح .
- بتكوين علاقات عائلية طيبة مع الجيران والبيئة المحيطة بالمنطقة ، التى غالباً

ماتؤدى إلى زيادة استجابة الآباء والأمهات ومعاونتهم إياه .

- بكونه مثلاً للأدب والاهتمام والمجاملة ، وهذ السمات وغيرها تدل على الأخلاق الحميدة التى غالباً مايحتذى عن طريق الإدراك ، ويكون لها أثر مباشر فى سلوك الأعضاء .

وهكذا .. فإن الريادة الناجحة غالباً ماتعتبر عاملاً حاسماً فى نجاح أو فشل أى نوع من أنواع النشاط الذى يمارسه النادى ، وأن البرنامج المتنوع الذى يشرف عليه يكون أكثر قدرة على اجتذاب الفرد ، وتتيح للمشتركين فيها فرص التعبير عن النفس واللعب مع الآخرين ومشاركتهم فى الخبرات والمساهمة فى أعمال ناجحة مقرونة بتقدير الزملاء ، تم تنمية الشخصية المتكاملة كنتيجة غالبة ... وبذلك يمكن أن نحكم بأن التنشئة الاجتماعية فى النادى قد تمت بطريقة فعالة وناجحة ..

خامساً : المؤسسات الدينية

تؤدى دور العبادة من مساجد وكنائس وأديرة وهياكل ومعابد وظيفة حيوية فى حياة الأفراد والجماعات بتأكيدها للقيم الخلقية والروحية ودعوتها إلى الاتصال بالله والخضوع لسنته وشرعه ، ولايخفى مالهذا من أهمية فى نمو الأفراد كضرورة من ضروريات الحياة ؛ إذ تقوم دور العبادة بدور كبير فى عملية التنشئة الاجتماعية لما تتميز به من خصائص فريدة ، أهمها إحاطتها بهالة من التقديس وثبات وإيجابية المعايير السلوكية التى تعلمها للأفراد ، وإجماع على تقديسها وتدعيمها ..

وعلى هذا .. فإن هذه المؤسسات تلعب دوراً مهمّاً فى التنشئة الاجتماعية للفرد، من حيث :

(١) تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية ، التى تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع .

(٢) إمداد الفرد بإطار سلوكى مرتضى ونابع من تعاليم دينه .

(٣) تنمية الضمير عند الفرد والجماعة .

(٤) الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية إلى سلوك عملى .

(٥) توحيد السلوك الاجتماعى والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية .

وتتبع دور العبادة الأساليب النفسية والاجتماعية فى غرس قيمها الدينية ، التى لها أثر كبير فى التنشئة الاجتماعية ، مثل :

(أ) الترغيب والترهيب والدعوة إلى السلوك السوى طمعاً فى الثواب ورضا النفس ، والابتعاد عن السلوك المنحرف تجنباً للعقاب وعدم الرضا عن النفس .

(ب) التكرار والإقناع والدعوة إلى المشاركة الجماعية .

(جـ) عرض النماذج السلوكية المثالية .

(د) الإرشاد العملى .

أضف إلى هذا ، الدور الإيجابى الذى تؤديه دور العبادة فى غرس القيم الروحية ، وتنمية معايير السلوك الأمثل .. فإن دور العبادة كثيراً ماتعدت حدود هذا الدور الروحى والدينى ، فمزجت به تدريس المواد المختلفة على نحو ماتفعله المدارس النظامية ، فاتخذت من نفسها مدارس خاصة تزاول فيها هذه المهمة ، ويتولى رجال الدين التعليم فيها .. فالمساجد فى عهود الإسلام الأولى كانت أماكن للدراسة فى شتى النواحى الدينية والدنيوية على السواء .

والجامع الأزهر أيضاً ظل فترة طويلة يؤدى دوره الكبير فى الإشعاع الدينى على مشارق الأرض ومغاربها ، وفوق ذلك كان ومازال مناراً للعلم حتى تطور أخيراً إلى جامعة دينية عصرية .. كما أن كثيراً من الكنائس اليوم ولاسيما فى الدول الأجنبية ، تضيف إلى أعبائها فى التربية الدينية أعباء التربية الدنيوية العامة فى مدارس خاصة ، تشرف هى عليها .

من هنا تتضح أهمية المؤسسات الدينية كوسيلة من وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية ، باعتبارها مؤسسات تربوية اجتماعية لها دورها الدينى والدنيوى المهم .

مما سبق .. يتضح أن عدد المؤسسات الاجتماعية التى يتعامل معها الطفل يتزايد وتزداد درجة تعاونها وتشابكها واحتياجه لها أيضاً ، كلما تدرج فى مراحل نموه الاجتماعى ، فيتعلم ماهو مشترك بين هذه المؤسسات ، كما يتعلم ماهو خاص ببعضها دون البعض الآخر .. وكلها تلعب دوراً فعالاً من أجل تحقيق التنشئة الاجتماعية المتكاملة للفرد ..

وبعد أن عرضنا للتنشئة الاجتماعية والعوامل المساعدة لها ، ومؤسساتها ، فلابد وأن نعرض بشىء من التفصيل لأحد المؤثرات القوية الواضحة فى هذا المجال ، ألا وهى أساليب المعاملة الوالدية وأثرها فى تكوين شخصية الطفل الاجتماعية .. وهذا ماسوف نفصله فى الفصل القادم .

الفصل الرابع

أساليب المعاملة الوالدية وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للطفل

الاتجاهات الوالدية وأثرها فى حياة الطفل النفسية :

(١) اتجاه التسلط .

(٢) اتجاه الحماية الزائدة .

(٣) اتجاه الإهمال .

(٤) اتجاه التدليل .

(٥) اتجاه إثارة الألم النفسى .

(٦) اتجاه القسوة .

(٧) اتجاه التذبذب .

(٨) اتجاه التفرقة .

(٩) اتجاه السواء .

الاتجاهات الوالدية وأثرها فى حياة الطفل النفسية

تعتبر الأسرة هى النواة الأساسية للمجتمع ، والتى فى أحضانها ينعم الطفل بدفء العناية والرعاية والحب والأمان ؛ حتى يشب ويستطيع الاعتماد على نفسه والانطلاق فى دروب الحياة ، وإذا كان كل فرد فريد ، فإن الأسر أيضاً تتمايز فى طرق تنشئتها لأطفالها وأساليب معاملتها لهم ، ومع هذا التمايز فإننا نلاحظ اشتراك مختلف الأسر فى المجتمع الواحد فى الإطار العام الذى يجمعها ويشكل أساليب التنشئة.

والذى نعنيه هنا بأساليب التنشئة الاجتماعية والاتجاهات الوالدية هو استمرارية أسلوب معين أو مجموعة من الأساليب المتبعة فى تربية الطفل وتنشئته، وتكون لها أثرها فى تشكيل شخصيته ، وعلى هذا فإن الاتجاهات الوالدية هى الإجراءات والأساليب التى يتبعها الوالدان فى تطبيع أو تنشئة أبنائهما اجتماعياً – أى تحويلهما من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية ، ومايعتنقاه من اتجاهات توجه سلوكهما فى هذا المجال .

وقد أصبح من المسلم به فى الوقت الحاضر لدى علماء الصحة النفسية والباحثين فى مجالها أن هذه الاتجاهات تترك آثارها سلباً أو إيجاباً فى شخصية الأبناء، ويعزى إليها مستوى الصحة النفسية ، الذى يمكن أن تكون عليه شخصيتهم كراشدين فيما بعد .

وأكثر التقسيمات شيوعاً هو تقسيم الاتجاهات الوالدية كما يلى :

(١) اتجاه التسلط . (٢) اتجاه الحماية الزائدة .
(٣) اتجاه الإهمال . (٤) اتجاه التدليل .
(٥) اتجاه إثارة الألم النفسى . (٦) اتجاه القسوة .
(٧) اتجاه التذبذب . (٨) اتجاه التفرقة . (٩) اتجاه السواء .

وسنعرض فيما يلى بشىء من التفصيل مانقصده بكل اتجاه من هذه

الاتجاهات، ومايمكن أن يترتب على اعتناق أو تبنى الأبوين أو أحدهما لهذا الاتجاه من عواقب وآثار بالنسبة لصحة الأبناء النفسية .

ولابد وأن نراعى أن هذه التقسيمات ليست مطلقة، بل قد يتلاقى بعضها ويقترب من الآخر أو يندمج معه مثل اتجاه الحماية الزائدة والتسلط .. إلخ .

(١) اتجاه التسلط «Attiude of Authoritarianism» :

ويتمثل فى فرض الأم أو الأب لرأيه على الطفل ، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغبات الطفل التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين لتحقيق رغباته التى يريدها حتى ولو كانت مشروعة (أى إنهما يتبعان الأسلوب الصارم فى التنشئة) . وقد يستخدم أحد الوالدين أو كلاهما فى سبيل ذلك أساليب تتراوح مابين الخشونة والنعومة، كأن يستخدمان ألوان التهديد أو الإلحاح أو الضرب أو الحرمان أو غير ذلك ، ولكن النتيجة هى فرض الرأى سواء تم ذلك باستخدام العنف أو اللين – ويكون تسلط الأب بالأمر والنهى أو بالتهديد أو الحرمان أو الضرب أحياناً .. أما الأم فقد تتسلط باللين والمحايلة والإلحاح ، وقد يتمثل ذلك فى أن تفرض على الطفل التعامل مع الأطفال الأغنياء مادياً دون الفقراء وارتداء ملابس معينة أو تفرض الأم على ابنها نوعية لعب معينة (ميكانو مثلاً) لأنها تريد لطفلها أن يكون مهندساً فى المستقبل ، أو تفرض عليه طريقة مذاكرة معينة ، وهى تفعل ذلك بشكل دائم حتى يسلم الطفل قيادته دوماً للآخرين . فعندما يكبر الطفل قد يفرض الوالدان عليه دخول القسم العلمى بدلاً من الأدبى أو العكس أو دخول كلية لايرغبها الابن .. إلخ .

بمعنى أن هذا الأسلوب يستمر من الطفولة إلى مابعدها ، وهذا الأسلوب يلغى رغبات وميول الطفل منذ الصغر ، كما يقف عقبة فى ممارسته لهواياته، ويحول دون تحقيقه لذاته فلايشبع حاجاته كما يحسها الطفل نفسه ، وقد يرجع هذا الأسلوب فى المعاملة إلى خبرات الآباء فى طفولتهم حيث يكون الضمير اللاشعورى (الذات العليا) لدى بعض الآباء قوياً متزمتاً نتيجة لامتصاصه معايير صارمة ، ومثل هؤلاء الآباء غالباً مايحاولون تطبيق هذه المعايير على أطفالهم ، وربما لأن الأب مدمن أو سكير ، ومن هنا يكون غير راض عن نفسه ، لذلك ينشد الكمال فى أبنائه بفرض تسلطه ، وأحياناً قد نجد الصرامة من الأم نتيجة فقدها لأمها فى طفولتها ، وتحمل مسئولية إخوتها الصغار ؛ لذلك تتخذ لنفسها اتجاهات صارمة فى معاملة أبنائها . وهذا الاتجاه غالباً مايساعد على تكوين شخصية خائفة دائماً من السلطة خجولة، حساسة ، تشعر بعدم الكفاءة والحيرة ، غير واثقة فى نفسها فى أوقات كثيرة ، خصوصاً عند مواجهة

المواقف التى فيها اختيار ... شخصية ليس لها القدرة على التمتع بالحياة .. تشعر بالخوف من الآخرين ، وبعدم الثقة فى نفسها أو فى غيرها . وحين يكبر هذا الطفل غالباً مايكون دائم الإهمال فى عمله إلا فى وجود السلطة أو الرقابة ، ومثل هذه الشخصية غالباً ماتتلف ، وتعتدى على ممتلكات الغير .. ففى المدرسة تكسر الأدراج وتتلف محتويات المدرسة ، ولاتواظب على الحضور إلا إذا ضغط عليها ، وتتلف الحدائق ، وتكتب على جدران المتاحف وترسم على محتوياتها .. وتتلف المواصلات وتزاحم الركاب .. إلخ . ومثل هذه الشخصية تصبح مصدر قلق للمجتمع ؛ لأنها لم تتعود الاستمتاع بحريتها فى الطفولة، ولم تشبع حاجاتها إلى الحرية والتمتع بثمارها . وهذه الشخصية غالباً ماترتكب أخطاءها فى غيبة السلطة .. أما أمام السلطة فإنها تكون شخصية خائفة مذعورة .

(٢) اتجاه الحماية الزائدة «Attitude of parental overprotection» :

ويتمثل فى قيام أحد الوالدين أو كلاهما نيابة عن الطفل بالواجبات أو المسئوليات التى يمكنه أن يقوم بها ، والتى يجب تدريبه عليها إذا أردنا له أن يكون شخصية استقلالية ؛ حيث يحرص الوالدان أو أحدهما على حماية الطفل والتدخل فى كل شئونه لدرجة إنجاز الواجبات والمسئوليات التى يستطيع القيام بها ، فلايتاح للطفل فرصة اتخاذ قراره بنفسه ، فالأم التى تتبنى اتجاه الحماية الزائدة نحو ابنها تعمد إلى عدم إعطائه الفرصة للتصرف فى كثير من أموره : كمصروفه ، أو اختيار ملابسه أو اختيار أطعمة يفضلها ، أو الدفاع عن نفسه إذا ما اعتدى عليه زميل له فى المدرسة أو النادى ... إلخ . بل تتحمل هى نفسها نيابة عنه كل هذه الأمور حيث تحدد له جهة صرف نقوده ، واختيار ملابسه نيابة عنه .. إلخ ، دون إشراك له فى هذه الأمور التى تعتبر من أموره الخاصة ، فهى تختار له أصدقاءه ، وإذا ما اعتدى أحدهم عليه قامت بالدفاع هى عنه .

ومن المظاهر الأخرى للإفراط فى الرعاية أن يوجد من الآباء من يساوره القلق لدرجة الفزع حول سلامة أبنائه من الخطر أو المرض، فيفرض نظاماً معيناً من الطعام عليهم خوفاً على صحتهم ويشرف على لعبهم حتى فى المنزل وسط رفاقهم ، ويتابع كل حركات أطفاله وسكناتهم خوفاً من تعرضهم للخطر .. إلى غير ذلك من مظاهر الإفراط فى الرعاية .

وقد تتبع الأسرة هذا الأسلوب لأنها ليس لديها إلا طفلاً واحداً تخاف عليه وتبالغ فى حمايته ، أو ربما يكون ولداً واحداً وسط عدد من البنات، أو لأنه الطفل

الأول للأسرة وينقص الوالدان الخبرة بتربية الطفل فيبالغان فى رعايته ، وربما ترجع هذه الرعاية المبالغ فيها إلى وصول الطفل بعد لهفة وطول انتظار للإنجاب ، أو لأن الأم عانت كثيراً فى وضع الطفل ، أو لأن الطفل ضعيف وكثير المرض ، ومثل هذه الأسرة لخوفها الشديد على هذا الطفل من أى سوء ، تريد أن يأكل مالا يحبه لأنه سيقويه ، أو يأكل كميات من الطعام أكثر مما يحتاج ، أو يلبس أكثر مما يحتمل حتى لايبرد ، وتريده ألايجرى ، أو يلعب بشكل معين حتى لايقع أو يجرح ، وعندما يذهب إلى المدرسة غالباً ماترافقه الأم إلى المدرسة الابتدائية مهما كانت سنه ، وأينما كان موقع المدرسة بالنسبة للمنزل ، وحينما يعود إلى المنزل تكتب له واجباته المدرسية حتى لايتعب ، أو تقرأ له حتى لاتتعب عيناه ، وتدافع عنه عند مدرسة فصله حتى لو أخطأ .. إلخ .

ومثل هذا الطفل حتى عندما يكبر ويصبح طالباً فى الإعدادى أو الثانوى يذهب معه الأب أو الأم أيام الامتحان ، وربما إلى الجامعة لدفع المصاريف واستلام «الكارنيه» ، وليس بغريب أن يذهب معه الأب أول يوم لاستلامه العمل بعد تخرجه من الجامعة ، ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن تختار له الأم شريكة حياته وحتى بعد زواجه تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من حياته ، وباختصار .. فإن مثل هذا الفرد حرم من إشباع حاجته للإستقلال فى طفولته ، ولذلك يظل معتمداً على الآخرين دوماً حتى بعد وصوله إلى سن يجب أن يعتمد فيها على نفسه .

ومثل هذا الطفل الذى يعيش ويتفاعل مع هذه الأساليب ينمو بشخصية ضعيفة، خانعة ، غير مستقلة ، تعتمد على الغير فى قيادتها وتوجيهها ، وغالباً مايسهل استثارتها واستمالتها للفساد حتى ضد الوطن والعمل فى الجاسوسية أو جرها إلى أوجه الفساد نتيجة ضعفها وعدم تحملها المسئولية ، وسرعان ماتصطدم بالواقع والقوانين بعد فوات الفرصة . وتتسم هذه الشخصية أيضاً بعدم الاستقرار على حال ، وانعدام التركيز وعدم النضج ، وتتسم أيضاً بانخفاض مستوى قوة الأنا ، وانخفاض الطموح وتقبل الإحباط وتظهر على صاحبها الكثير من استجابات الانسحاب وفقدان التحكم الانفعالى ، ورفض المسئولية ويبدو على هذه الشخصية الخوف من تحمل المسئولية . هذا بالإضافة إلى عدم الثقة فى قراراتها ، وما أسهل تأثرها بالجماعة التى تنتمى إليها فتعتمد على الآخرين اعتماداً كبيراً ، وغالباً ماتكون مثل هذه الشخصية حساسة بشكل مفرط للنقد .

هذا ، وقد يتداخل هذا الاتجاه أحياناً مع اتجاه التسلط ؛ لأن الطفل قد لايكون راضياً فى كل مرة عن مثل هذا التدخل فى شئونه .. فعندما يقف الطفل معارضاً فى

بعض الأحيان أو يتمنى أن يقوم بنفسه بهذه الأمور الشخصية.. عندئذ يضطر الأبوان أصحاب اتجاه الحماية الزائدة إلى فرض رأيهما عليه ، وهنا لانجد حداً فاصلاً بين الحماية الزائدة والتسلط .. ففى الوقت الذى يتحتم أن يكون فيه موقف الأبوين عند ممارسة حمايتهما الزائدة معارضاً لرغبة الطفل فى التحرر والاستقلال، يمكن أن نتحدث عن الحماية الزائدة والتسلط معاً .

(٣) اتجاه الإهمال «Attitude of negligence» :

ويتمثل فى ترك الطفل دون ماتشجيع على السلوك المرغوب فيه أو الاستجابة له ، وكذلك دون ما محاسبة على السلوك المرغوب عنه ، بالإضافة إلى ترك الطفل دون ماتوجيه إلى مايجب أن يفعله أو يقوم به ، أو إلى ماينبغى عليه أن يتجنبه . وغالباً ماينتج هذا الاتجاه عن عدم التوافق الأسرى الناتج عن العلاقات الزوجية المحطمة ، وربما لعدم رغبة الأم فى الأبناء ، حيث تشعر أن مجيئهم كان غير مرغوب فيه لأى سبب فى نفسها ، وربما لوجود أم مهملة لاتعرف واجباتها فتقضى يومها تتحدث فى التليفون مع صديقاتها أو فى مجالسة جارتها أو أمام التليفزيون .. إلخ ، وبذلك فهى دائماً فى انشغال عن أبنائها والعمل فى المساعدة على إشباع حاجاتهم .. ويتضح اتجاه الإهمال فى صورتين :

(أ) إما فى صورة لامبالاة : فحين يبكى الطفل الرضيع من الجوع أو طلباً للنظافة فتتركه الأم ولاتستجيب لبكائه ، وإذا ماكان الطفل يتحرك ويتكلم تتركه دون ضوابط لسلوكه ، فإذا ماطلب الأكل تتركه يعده لنفسه فى سن لاتسمح له بذلك ، وإذا ماكان فى عمر المدرسة وعاد من مدرسته ليطلب مساعدتها أو مشورتها فى عمل واجبه المدرسى تصرخ الأم فى وجهه دون أى توجيه ، وإذا ماجرح الطفل أثناء لعبه غير الموجه تصرخ فيه الأم وتتهمه بالإهمال .. إلخ .. هذه صورة من صور الإهمال .

(ب) والصورة الثانية من صور الإهمال تكون فى شكل عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه ، كأن يقدم الطفل لأمه نتيجة عمله ومجهوده فلاتشجعه بل قد تسخر منه وتسبب له الإحباط ، فمثلاً قد يقدم لها لوحة أو منظراً قام برسمه ، أو لعبة تلعب فى إعدادها فتنهره أو تسخر من عمله ويتكرر منها هذا الأسلوب ، وإذا نجح الطفل فى امتحان مدرسى وحصل على ثمان درجات من عشرة مثلاً، نجد الأب أو الأم بدلاً من مدحه وإشعاره بأنه من الممكن أن يحصل على درجات أعلى وتشجيعه ليحاول أن يصل إلى مستوى أفضل فى الإمتحان المقبل ، نجد الأبوين

أو أحدهما ينهره على إهماله وكسله ويؤنبه ويوبخه معيراً إياه ممن حصل على عشر درجات متناسياً مبدأ الفروق الفردية ، ضارباً عرض الحائط بأهمية الإثابة فى تقدم الطفل وتعلمه . وهذا يحرم الطفل من حاجته إلى الإحساس بالنجاح ، والتمتع بلذة النجاح مهما كان قدره ، طالما أن هذا النجاح مناسب لقدراته ، ومثل هذا الإهمال المتكرر قد يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته ويفقده الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم ، وغالباً مايترتب على هذا الاتجاه شخصية قلقة مترددة ، تتخبط فى سلوكها بلا قواعد أو حدود فاصلة واضحة ، وغالباً مايحاول مثل هذا الطفل أن ينضم إلى جماعة أو «شلة» يجد فيها مكانته ويحس بنجاحه فيها ويجد فيها العطاء والحب الذى حرم منه نتيجة إهماله فى صغره ، خصوصاً وأن الجماعة التى ينتمى إليها غالباً ماتشجعه على كل مايقوم به من عمل حتى ولو كان مخرباً ، خارجاً على القانون ، لأنه لم يعرف من صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته ، والصواب والخطأ فى سلوكه بالإضافة إلى أنه لم يشعر بالحب والانتماء والتشجيع على إنجازاته المناسبة لقدراته ، وبالتالى غالباً مايصبح من الشخصيات المتسيبة غير المنضبطة فى أى عمل يقوم به ، فلايحترم حقوق الغير ، بل يصبح فاقداً للحساسية الاجتماعية التى افتقدها فى أسرته فيسهل عليه الاعتداء ، ومخالفة القوانين والنظم التى يجب أن تحكم الفرد الذى ينتمى لمجتمع له أنظمة وقوانين يجب أن يحترمها لكنه لايستطيع ذلك .

(٤) اتجاه التدليل «Attitude of Fondling» :

ويتمثل فى تشجيع الطفل على تحقيق معظم رغباته بالشكل الذى يحلو له وعدم توجيهه لتحمل أية مسئولية تتناسب مع مرحلة النمو التى يمر بها ، وقد يتضمن هذا الاتجاه تشجيع الطفل على القيام بألوان من السلوك الذى يعتبر عادة من غير المرغوب فيها اجتماعياً ، وكذلك قد يتضمن هذا الاتجاه دفاع الوالدين عن هذه الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها ضد أى توجيه أو نقد يصدر إلى الطفل من الخارج .

وغالباً مايكون هذا الاتجاه نتيجة لوجود الطفل الذكر مع إخوة له من البنات ، أو ميلاده بعد طول انتظار ... إلخ . وتظهر ألوان التدليل فى صور متعددة ؛ فمثلاً عندما يبدأ فى تعلم الكلام ويسب أباه وأمه غالباً مانجدهما يضحكان ، وعندما يشتد عوده ويذهب إلى المدرسة يعطيانه مصروفاً زائداً يصرفه كما يهوى، دون توجيه يجعله يميز بين جهات الصرف الصحيحة والخاطئة، وإذا أخذته الأم فى زيارة لإحدى صديقاتها قد يشد منضدة فتسقط زهرية (فازة) ثمينة مثلاً ، وتكتفى الأم

بالاعتذار دون إعادة تقييم لأسلوبها التربوى الخاطئ مع ابنها ، ودون إشعار للطفل بخطئه، بل قد تحتضنه قائلة: «حدث خير.. المهم إنك بخير ..» .. إلخ ، وقد يفتح الطفل المذياع أو التليفزيون، ويبدأ يلعب فى الأزرار والمفاتيح وكأنه يلعب بلعبة خاصة به، والأم تضحك فى استهتار دون أى إشعار لابنها بسلوكه الخاطئ، ودون توجيه له للتمييز بين مايخصه ويملكه، ومايخص الجماعة أو أفراد الأسرة ككل.. إلخ، وقد تأخذه معها إلى العمل وتتركه يلعب بأدوات العمل مثلاً دون أى توجيه لسلوكه الخاطئ، بل قد تتمادى الأم ، وتقول للموظفة التى يلعب فى أدوات عهدتها : «أرجوك أتركيه يلعب قليلاً.. إلخ». وفى المنزل ربما يقذف الماء أو الورق من النافذة على المارة فى الشارع، والأم تضحك دون توجيه أو نهى، وفى المدرسة قد يضرب زملاءه.. إلخ ، ويعلق الأبوان على ذلك «بأنه لسه طفل صغير» متناسين أن فترة الطفولة هى فترة تكوين الاتجاهات الموجبة أو السالبة ، وإذا خرج الطفل مع أحد والديه غالباً مايطلب شراء أى شئ يراه فيشترونه له دون تمييز لما يفيده أو يضره .. إلخ .

ويترتب على هذا الاتجاه شخصية قلقة مترددة، تتخبط فى سلوكها بلا قواعد أو حدود ، وربما تكون شخصية متسيبة كثيراً ماتفقد ضوابط السلوك المتعارف عليها ، ومثل هذا الطفل عندما يكبر غالباً مانجده لايحافظ على مواعيده، ولايستطيع تحمل أى مسئولية يعهد بها إليه ، وغالباً مايكون غير منضبط فى سلوكه أو فى عمله ، بل يعتمد دائماً على الآخرين من ذوى المراكز من الأقارب أو المعارف (المحسوبية) للوصول إلى هدف أو مركز يريده ، ربما نجده يرمى أعقاب السجائر دون أى التزام بالنتائج والحرائق التى قد تحدثها ، ومثل هذا الشخص إذا ماتزوج غالباً مايترك لزوجته تحمل المسئولية كاملة دون أى مشاركة .. إلخ . وبذلك فإن الشخص الذى غمر بالحب فى طفولته دون توجيه ، غالباً ماينمو مستهتراً فى كبره ، ويصعب تحمله للمسئولية نتيجة تدليله المفرط دون أى توجيه أو تحمل لنتائج أخطائه فى صغره، بل غالباً ماكان أبواه يحميانه من نتائج أخطائه ففقد القدرة على التمييز بين مايجب ومالايجب ، كما فقد القدرة على تحمل أى مسئولية توكل إليه .

(٥) اتجاه إثارة الألم النفسى «Attitude of Rising Psychological Pain» :

ويتمثل فى جميع الأساليب التى تعتمد على إثارة الألم النفسى ، وقد يكون ذلك عن طريق إشعار الطفل بالذنب، كلما أتى سلوكاً غير مرغوب فيه أو كلما عبر عن رغبة محرمة ، كما قد يكون ذلك أيضاً عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه أياً كان المستوى الذى يصل إليه فى سلوكه أو أدائه ، فبعض الآباء والأمهات يبحثون عن

أخطاء الطفل ويبدون ملاحظات نقدية هدامة لسلوكه ، مما يفقد الطفل ثقته بذاته، ويجعله متردداً فى أى عمل يقدم عليه خوفاً من حرمانه من رضا الكبار وحبهم ، مع علم الكبار بأن فترة الطفولة هى فترة التعلم وبالتالى هى فترة المحاولة والأخطاء التى لايجب أن ينتقد فيها الطفل ، اللهم إلا إذا تكررت الأخطاء ، وحتى فى هذه الحالة يجب أن يحدث التوجيه برفق وحنان، وليس فى صورة تأنيب نفسى عنيف يفقد الطفل ثقته فى نفسه وفى قدراته ، ويشعره بالخجل .

وتوجد أمثلة كثيرة لهذا الأسلوب فى معاملة الآباء للأبناء، منها على سبيل المثال : طفلة تعيش مع زوج أمها .. تلقى تأنيباً مستمراً على ماتأتيه من سلوك لايتفق ومعايير زوج الأم، وماتعودته فى وجود أبيها وأمها عندما كانا يعيشان معها فى ظل أسرة متماسكة ، وربما تلقى هذا التأنيب من أمها التى تحاول إرضاء زوجها الجديد .. وطفلة أخرى إذا ماحضرت زميلاتها الصغار إليها فى المنزل تصر زوجة أبيها على جرحها بكلمات التأنيب والتوبيخ والتندد والسخرية منها ومن سلوكها معددة مساوئها .. وإذا ما أخطأت الطفلة أى خطأ ولو بسيط نتيجة لأن زوجة أبيها (أو أمها)، جعلتها تقوم بعمل فوق طاقتها سخرت منها وعيرتها أمام أطفال الجيران .. إلخ .

وغالباً مايترتب على هذا الاتجاه شخصية انسحابية منطوية غير واثقة من نفسها ، توجه عدوانها نحو ذاتها .. فى المدرسة إذا سألتها المعلمة سؤالاً فإنها تخاف من الإجابة ، رغم معرفتها بالإجابة الصحيحة ، خوفاً من الخطأ وبالتالى السخرية والتأنيب ، فقد تعودت عدم الأمان مع الكبار وعدم الثقة فى قدرتها، وهى غالباً ماتتوقع أن الأنظار تطاردها لأن بها شيئاً غير عادى فى ملبسها أو مظهرها أو سلوكها .. إلخ؛ لأنها تعودت الشك فى البيئة المحيطة بها . وعندما تكبر غالباً مانجدها بعد أن تنجز عملها تعرضه على الكثيرين من الزملاء والزميلات قبل عرضه على المدير حتى لايكون فيه خطأ ؛ حيث إن الشك يساورها دائماً منذ كانت طفلة ، ولم تمنح الثقة فى نفسها أو فى بيئتها ، ولذلك ترتبك عندما يكلمها المدير أو أى شخص كبير لاتعرفه وإذا حاولت أن تتغلب على انطوائيتها وانسحابيتها تخطئ كثيراً وقد تبكى.. ولذلك فإنها تكون غير واثقة من نفسها ، وقلما نجدها تفخر وتتباهى بما تنجزه من أعمال . بل غالباً ماتتباهى بالآخرين من أقربائها الذين تتمنى أن يكون لها قدراتهم ؛ لأن أسلوب تنشئتها حرمها من استغلال وتوظيف هذه الإمكانات الخاصة بها ، ولذلك قد نجدها فى كبرها تفخر وتتباهى بأخوتها أو زوجها أو .. إلخ .. المهم ليس بذاتها أو بقدراتها فهى فاقدة الثقة فى نفسها وقدراتها .

(٦) **اتجاه القسوة** «Attitude of cruelty» :

ويتمثل فى استخدام أساليب العقاب البدنى (الضرب) ، والتهديد به .. أى كل مايؤدى إلى إثارة الألم الجسمى كأسلوب أساسى فى عملية تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعياً ، ويتضح هذا الأسلوب عادة فى الأسر التى تفهم الرجولة على أنها الخشونة، وعدم الابتسام ، أو الضحك أو التبسط مع الطفل خاصة الأطفال الذكور . وغالباً ماتفهم هذه الفئة الرجولة أيضاً على أنها أوامر ونواهى وضرب ، وعقاب ... إلخ ، فالطفل الصغير إذا تعثر فى سيره وهو يشرب مثلاً ووقع منه الكوب يضرب ويصفع على وجهه .. وإذا نجح فى المدرسة وأخذ درجة لايرضى عنها الأب، يضرب ويعاقب لعدم حصوله على الدرجة النهائية أو الدرجة التى يريدها له الأب دون مراعاة لقدرات الطفل.. وعندما يكبر الطفل ويصبح فى سن المدرسة الابتدائية إذا حاول أن يعترض على طريقة معاملته اللاإنسانية تعاقبه الأم وتضربه فى قسوة وقد تتركه يقوم بأعمال لاتسمح سنه بتحملها – كأنه تتركه يقوم بغسل وتنظيف ملابسه . وإذا لم يتمكن من تنظيفها كما تريد الأم تضربه بشدة وقسوة ، وإذا أرسلته يشترى لها شيئاً ولم يعجبها تصر على ضربه فى وحشية ... إلخ .

ويترتب على هذا الاتجاه شخصية متمردة ، تنزع إلى الخروج على قواعد السلوك المتعارف عليها كوسيلة للتنفيس والتعويض عما تعرضت أو تتعرض له من ضروب القسوة . وعلى هذا فإن هذه الشخصية ينتج عنها السلوك العدوانى الذى يتجه نحو الغير، ومثال ذلك : التنفيس فى ممتلكات الغير كأن يتلف حاجيات رفاقه ، وممتلكات الدولة ، دون أى إحساس بالذنب أو التأنيب.. مثل هذا الشخص لم يشعر بانتمائه لأسرته ولاحبهم له ، ولابثقة فيهم ، وبالتالى ينفس عن كل هذه الأحاسيس بالتخريب فى كل مالايمتلكه ولايحس به ، فقد يلجأ إلى تعذيب الحيوانات والطيور ، فهذه قطة يربطها من رقبتها ويجذبها إلى أن تختنق ، وهذا عصفور فى قفص يشعل الورق ويقذف به إلى العصفور ليحترق .. وهذا حبل يرميه إلى القرد فى حديقة الحيوان ليجذبه بعد أن يمسك به القرد فينزع أسنانه ، وهذا ضرير يطلب مساعدته لعبور الطريق فيأخذ بيده إلى وسط العربات ويتركه ليلقى حتفه، دون أى شعور بألم أو مرارة أو تأنيب ضمير لنتائج أفعاله الشريرة . مثل هذا الإنسان اللاإنسانى شخص لم يجد الحب بل واجه القسوة من أقرب الناس إليه.. فأصبح لايعرف الرحمة ، وليس لديه حساسية اجتماعية، كما أنه لايشعر بإنسانية البشر الذين لم يرحموا إنسانيته فى طفولته.. وغالباً مايسعده أن يجعل الناس غير سعداء ، لأن رؤية السعادة والحب الذى حرمها فى طفولته تضايقه ، وتقلقه .

هذا ويشترك اتجاه القسوة واتجاه إثارة الألم النفسى فى أنهما يعتمدان على العقاب كمحور أساسى فى تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعياً – بيد أن العقاب فى الحالة الثانية (القسوة) هو من نوع العقاب البدني المادى، الذى تنعكس آثاره على الغير وممتلكاتهم ، بينما يعد العقاب فى الحالة الأولى – إثارة الأم النفسى – عقاباً نفسيًّا تنعكس آثاره على ذات الفرد .

وقد أثبتت البحوث والدراسات التى أجريت فى مجال التنشئة الاجتماعية أن كل نمط من هذين النمطين يترتب عليه آثار فى سلوك الفرد وشخصيته، تختلف عما يمكن أن يترتب على النمط الآخر .. كما أوضحنا .

(٧) **اتجاه التذبذب** «Attitude of Hesition» :

ويتمثل فى عدم استقرار الأب أو الأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، وهذا يعنى أن سلوكاً معيناً يثاب عليه الطفل مرة ويعاقب عليه مرة أخرى .. كذلك قد يتضمن هذا الاتجاه حيرة الأم نفسها إزاء بعض مايمكن أن يصدر عن الطفل من سلوك؛ بحيث لاتدرى متى تثيب الطفل ومتى تعاقبه .. كما يتضمن هذا الاتجاه التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم فى تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعياً .

وهناك أمثلة كثيرة لأساليب المعاملة الوالدية للأبناء تعبر عن هذا الاتجاه، منها على سبيل المثال .. أن الطفل عندما يبدأ فى تعلم الكلام ويسب أباه أو أمه فإنهما لاينبهانه إلى أن ذلك خطأ وعيب ، بل قد يضحكان لذلك السلوك ، ولكن إذا كرر الطفل ذلك السلوك في وجود زوار.. فإن الأبوين أو أحدهما غالباً مايعاقب الطفل أو ينهره على ذلك السلوك .. وهنا نجد الطفل فى حيرة من أمره لأنه لايعرف السبب فى ضحكهما مرة ومعاقبته مرة أخرى على السلوك نفسه ، ومثال آخر : الأم فى حالة انهماكها فى عمل ما بالمنزل تترك طفلها بل قد تأمره بأن يخرج ويلعب مع أبناء الجيران الذين نهته عن اللعب معهم من قبل .. فالأم باختصار تمتدح السلوك من الطفل فى موقف، وتذم السلوك نفسه فى موقف آخر بحيث لايستطيع الطفل التمييز ، لم امتدح على هذا السلوك مرة وعوقب على السلوك نفسه مرة أخرى، وقد يكون هذا التذبذب نتيجة اختلاف الأب والأم فى معاملة الطفل . مثال ذلك أن الأم تعامل طفلها بحنان وحب زائد باعتبارها مصدر الحنان والحب .. كما توصف دائماً فى أدبنا وثقافتنا – وكأن الأب لايجب أن يكون كذلك أى مصدراً للحب والحنان – فالأب يقسو ويكون عنيفاً ومصدراً للعقاب والشدة والقسوة فى معاملة الطفل، وكثيراً مانسمع الرجال يقولون لزوجاتهم فى هذا الشأن : «أنا أكسر وانت تصلحى» ؛ لأن مفهوم

الرجولة عند الغالبية من الجنسين هو القسوة والشدة والعقاب دون أى التفات للآثار السيئة لمثل هذا الاختلاف فى المعاملة من الأم والأب على شخصية الطفل الصغير .

وغالباً مايترتب على هذا الاتجاه شخصية متقلبة ازدواجية منقسمة على نفسها وهى موجودة فى حياتنا اليومية ، ونصادفها كثيراً ؛ حيث إن الطفل الذى عانى من التذبذب فى معاملته يكبر وغالباً مايصبح مذبذباً مزدوج الشخصية هو الآخر فى معاملته مع الناس ، فمثلاً عندما يتزوج تكون معاملته لزوجته متقلبة متذبذبة . فنجده يعاملها برفق وحنان مرة ، وأخرى ينقلب فى معاملتها على النقيض، دون وجود أى أسباب أو مبررات لهذا التذبذب ، وقد يكون مع أسرته فى غاية البخل والتدقيق فى حساباته ، ودائم التكشير ، ولكنه مع أصدقائه شخص آخر كريم متسامح ضاحك باسم.. إلخ.. يسمح لأولاده بسلوك وتصرفات معينة، ثم فى مرات أخرى يعاقبهم ويؤنبهم ويمنعهم عما سمح لهم به من قبل دون مبررات لتناقض سلوكه معهم، وهو مع رئيسه فى العمل متملق ناعم فى حين أنه مع مرؤسيه قاسى وخشن ، وقد يكون مع بناته يفضل جنساً على جنس .. وغالباً مايكون هذا التفضيل فى جانب الجنس الذى منحه الحب والحنان فى طفولته (الأب أو الأم)، ثم هو على النقيض من ذلك مع أبنائه من الجنس الذى حرمه الحب والحنان .. إلخ وهكذا يظل التذبذب والازدواجية سمة مميزة لهذه الشخصية .

(٨) اتجاه التفرقة «Attitud of discrimination» :

يتمثل فى تعمد عدم المساواة بين الأبناء جميعاً والتفضيل بينهم بسبب الجنس أو ترتيب المولد أو السن أو أى سبب آخر .. إلخ ؛ فبالنسبة للجنس نجد الأسرة التى تحب الذكور (وبها ابن وابنة) أو بها ابن بين أخوات بنات، وأن لكل من الولد والبنت لعبه الخاصة .. فإذا قامت البنت باللعب بعروستها يأتى أخوها ويأخذها منها تقول لها الأم : «سيبى أخوك يلعب بها شوية ..» وعندما تأخذ البنت حصان أخيها تقول لها الأم «هو أنت مش لك لعبتك .. مالك ومال لعب أخيك ..» .. إلخ .

وعندما يكبر الأبناء ، فإن الولد يسمح له بمقابلة أصدقائه بالمنزل ، فى حين لايسمح للبنت بذلك .. ويعطى الولد مصروفاً أكثر من البنت ، وعندما تجلس البنت للمذاكرة تطلب الأم منها أن تعد الطعام لأخيها أو تعمل له الشاى ، أو تنظم له غرفته.. إلخ، حتى ولو تركت مذاكرتها .. إلخ .

كذلك.. فإن التفرقة على أساس ترتيب الولد : قد يكون لأن الطفل هو أصغر إخوته ، وبالتالى فهو يتميز عنهم فى الملبس والمصروف والامتيازات الأخرى باعتباره الطفل الأصغر ، ويظل الطفل صغيراً فى نظر أمه حتى بعد تخرجه من

الجامعة وتصر على تفضيله عن إخوته، كما تعمل على أن يقدموا له الامتيازات التي كان يتمتع بها وهو صغير .. فهذا طفل بعد أن كبر وتخرج وأصبح موظفاً، تصر الأم على تدليله والإغداق عليه مادياً حتى ولو من جيوب الآخرين من إخوته الكبار ، فمثلاً عند زواجه تصر على أن يعتمد فى تأسيس بيته على مساعدة إخوته الكبار .. إلخ .

والنتيجة أنه يترتب على هذا الاتجاه شخصية أنانية حاقدة، تعودت أن تأخذ دون أن تعطى ، تحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها، أو على أفضل الأشياء لنفسها حتى ولو على حساب الآخرين .. شخصية تصر على عدم انتهاء واجبات الآخرين نحوها فهى دائماً لاترى إلا ذاتها واحتياجاتها دون اعتبار أو انتباه لواجباتها هى نحو هؤلاء الآخرين .. شخصية تعرف مالها ولاتعرف ماعليها .. تعرف حقوقها ولاتعرف واجباتها .

(٩) اتجاه السواء «Attitude of normality» :

يتمثل هذا الاتجاه فى ممارسة الأساليب السوية من وجهة نظر الحقائق التربوية النفسية ، كما أنه يتضمن الابتعاد قدر الإمكان عن ممارسة الاتجاهات السابق ذكرها.. أى إن هذا الاتجاه السوى يتضمن جانبين :

- جانب إيجابى : ويتمثل فى ممارسة فعلية لأساليب سوية ..
- وجانب سلبى : ويتمثل فى عدم ممارسة الأساليب غير السوية السابقة الذكر .

وعلى هذا .. فإن هذا الاتجاه يعد الاتجاه الأمثل .. حيث يترتب عليه غالباً شخصية متزنة سوية ، تستمتع بحظ كبير من متطلبات الصحة النفسية السليمة وخصائصها .

وبعد أن فصلنا الجانب السلبى الذى يتمثل فى الممارسات غير السوية ، سوف نتناول فى موضع آخر من هذا الكتاب الجانب الذى يمثل الاتجاه الإيجابى الأمثل ، والذى يترتب عليه فى الغالب الأعم شخصية متزنة سوية ، تستطيع أن تتوافق مع نفسها ومع الآخرين من الأفراد .

والآن.. وبعد أن استعرضنا أهم النماذج لبعض التقسيمات الخاصة بالاتجاهات الوالدية فى تربية الأبناء ، والتى غالباً ماتؤدى إلى شخصيات غير سوية تسهل استثارتها ويظهر عدم سوائها نتيجة تنشئتها الاجتماعية الخاطئة فى فترات الطفولة؛ حيث إنها تتمتع بقدر لابأس به من انعدام الأمن ، نبدأ فى عرض بعض النقاط المهمة فى عملية التنشئة ، التى غالباً ماتؤدى إلى التمتع بقدر لابأس به من السواء .

الباب الثانى

حَاجَاتُ الطفل
ودور التنشئة الاجتماعية فى إشباعها

- مقدمة :

الفصل الخامس: حاجات النمو الجسمى .

الفصل السادس: حاجات النمو العقلى .

الفصل السابع: حاجات النمو الانفعالى الاجتماعى.

- تعليق :

مقدمة

أثناء الحديث عن التنشئة الاجتماعية لايمكن أن نغفل الطفل وحاجاته المتعددة، سواء أكانت حاجات جسمية عضوية ، أم حاجات عقلية معرفية ، أم حاجات نفسية اجتماعية ، حيث إنه من خلال إشباع حاجات الطفل الجسمية العضوية الأولية تتم عملية التنشئة . فالأم حين تقوم بمساعدة الطفل على إشباع هذه الحاجات، إنما تكون بصدد وضع بذور التنشئة الاجتماعية الأولى للطفل التى تساعد على نموه.. ثم تأتى المؤسسات المختلفة الموجودة فى المجتمع لتشارك فى إشباع حاجاته الأُخرى، والتى من خلالها تستكمل وتتكامل عملية التنشئة الاجتماعية ونمو الطفل .

وتتولى الصفحات التالية من الكتاب فى بابه الثانى الاهتمام بطرف أساسى من أطراف التنشئة الاجتماعية ، ألا وهو الطفل الذى يمر بالعملية ذاتها . فالطفل ككائن بشرى له احتياجاته الأساسية التى لايمكن إغفالها، وترتكز عملية التنشئة الاجتماعية على إشباع هذه الحاجات ، وتبعاً لطريقة وأساليب الإشباع يكون سواء شخصية الطفل أو اعتلالها .

فالسلوك الإنسانى من التعقيد بحيث تتداخل فيه العوامل الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية التى تكمن وراء السلوك الإنسانى، والتى بعرقلتها أو الوقوف فى طريقها يثور الانفعال .. وحصر دوافع وحاجات هذا السلوك فى قائمة شاملة شيء مستحيل ، وهناك تصنيفات كثيرة لدوافع الإنسان – والوليد الإنسانى منذ خروجه إلى الحياة لديه كثير من الحاجات .

ويصنف جيرسلد Jersild الحاجات من حيث إثارتها للانفعال أكثر فأقل قوة ، ويرى أن أكثر الحاجات وضوحاً هى تلك التى تنطوى على المحافظة على البقاء .. بقاء الجسم ورفاهيته (وهى الحاجات الجسمية) ، وتلى ذلك الحاجات التى تكشف عنها المقدرات التى تشترك فيها الكائنات الإنسانية عموماً ، والميول التى تنشأ فى حياة الفرد ذاته وتكون خاصة به .. ويرى جولدشتين Goldstein أن الطفل يجاهد منذ السن المبكرة جداً وبشتى أنواع المحاولات ؛ ليجعل من نفسه الشخص الذى سيكونه فى المستقبل ، من أجل هذا لايكفيه إشباع مطالب الجسم المادية التى تكفل له البقاء ، بل أهم من هذا هو يعمل على أن تتفتح مواهبه وقدراته ، وأن تنمى ميوله واستعداداته، بل ويريد أن يعمل وينتج ويجرب بنفسه ويغامر فى المجهول ويستطيع

مالايعرف ، ليتمكن من النمو المتكامل الانفعالى، والاجتماعى .. وكل هذا له أهميته فى تكوين شخصيته وعلاقاته مع الناس (١٦-١٢٥).

وسوف نحاول هنا أن نقدم عرضاً لأهم الحاجات المؤثرة فى النمو الجسمى والعقلى ، والانفعالى - الاجتماعى للطفل ، كما نقدم تفصيلاً للوسائل التى يمكن أن يتبعها المربون والآباء فى أثناء تنشئتهم الاجتماعية للطفل ومساهمتهم فى نموه الجسمى والعقلى والانفعالى الاجتماعى .. وليس هناك مرب يمكنه أن يستخدم كل هذه الوسائل ، وإنما كل مربٍ يمكنه أن يبتكر وسائل أخرى للوفاء باحتياجات الأطفال.

ومن واقع التجارب الميدانية ونتائج الخبرات الشخصية ، وفى ضوء الدراسة النظرية ، ثم تقسيم احتياجات الطفل إلى مجموعات ثلاث هى :

(أ) حاجات النمو الجسمى .

(ب) حاجات النمو العقلى .

(جـ) حاجات النمو الانفعالى الاجتماعى (الحاجات العاطفية) .

تلك الحاجات التى يحتاجها الطفل من أجل نموه وتكوين شخصيته، والتى ولد مزوداً ببعضها واكتسب الكثير منها نتيجة وسائل تربيته وتنشئته الاجتماعية .

وفى محاولة لتحديد نظرية للحاجات، ذكر البعض أنه فى حالة إحباط حاجات الطفل يبدأ حدوث المشكلات السلوكية .. ومن هنا وجب على الآباء والمربين فى أثناء تنشئتهم الاجتماعية للطفل أن يتعرفوا الحاجات النفسية الإنسانية لأطفالهم ، وخاصة الحاجات الأكثر إلحاحاً لديهم ، وإرشادهم إلى طرق تعرف هذه الحاجات . كما يجب أن يتعرفوا السلوكيات التى تشير إلى هذه الحاجات ، وإلى نتائج عدم إشباعها وماقد يؤدى إليه من إحباط ، وعليهم أيضاً أن يتعرفوا طريقة التصرف حيال عدم إشباع حاجات الأطفال بالقدر الكافى ..

ولذلك ركزنا اهتمامنا على حاجات النمو الجسمى ، وحاجات النمو العقلى ، وحاجات النمو الانفعالى الاجتماعى (الحاجات العاطفية) وأعراضها فى السلوك والوسائل التى تساعد على الوفاء بها والتخفيف من إحباطها .. ونحن نعتقد أن هناك احتياجات أخرى كثيرة للأطفال ، ولكننا نعتقد أن هذه الحاجات التى استغرقت اهتمامنا على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للآباء والمربين ؛ من أجل تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية إيجابية .

ولذا فقد تناولنا فى هذا الباب :

الفصل الخامس : حاجات النمو الجسمى

Needs of physical growth

الفصل السادس : حاجات النمو العقلى

Needs of mental growth

الفصل السابع : حاجات النمو الانفعالى الاجتماعى

Needs of socio-emotional growth

الفصل الخامس

حاجات النمو الجسمى

(١) حاجة الطفل للغذاء والشراب .

(٢) حاجة الطفل للإخراج والتخلص من الفضلات.

(٣) حاجة الطفل للنوم والراحة .

(٤) حاجة الطفل للحركة والنشاط واللعب .

لاشك أن الطفل يتغير فى كل مرحلة من مراحل نموه ، ولكنه يحتفظ رغم هذا التغير باحتياجات جسمية أساسية ، ومن خلال هذه الاحتياجات الجسمية يستطيع الآباء والمربون أن يقوموا بتنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة ، وتزويده بألوان من السلوكيات والأنشطة التى تساعد على نموه ، والتى تمده بأنماط من القيم والعادات الصحية التى تصاحب سلوكه فى كل مراحل نموه . واحتياج الطفل لهذه الأساسيات الفسيولوجية الجسمية التى لايمكن الاستغناء عنها فى أى مرحلة ، يختلف فى درجته من فرد لآخر ، ولكن توفير هذه الاحتياجات بأسلوب معين مدروس محدد يضع الأساس لبرنامج تربوى يتسم بالبناء والإنشاء .

ونستطيع أن نفهم الأطفال فهماً واضحاً إذا مانظرنا إليهم على أنهم أناس يعتريهم التغير ، وأن لديهم القدرة على اكتساب الخبرات الواسعة ، وأنهم يتأثرون ببيئاتهم تأثراً سريعاً رغم اختلافهم فى مدى استجاباتهم؛ تبعاً لمراحل نموهم ولقدراتهم الفردية ..

ويمكن أن نجمل احتياجات الطفل الجسمية فى :

(١) الحاجة للغذاء والشراب .

(٢) الحاجة للإخراج والتخلص من الفضلات .

(٣) الحاجة للنوم والراحة .

(٤) الحاجة للحركة والنشاط واللعب .

وسوف نتناول فيما يلى كل حاجة من هذه الحاجات بشىء من التفصيل، موضحين دور التنشئة الاجتماعية فى إشباع هذه الحاجات وأثرها فى بناء الشخصية الاجتماعية للطفل .

(١) حاجة الطفل للغذاء والشراب :

يلعب الغذاء دوراً مهمّاً فى نمو الطفل ، فهو يزود الجسم بالطاقة التى يحتاج إليها للقيام بنشاطه ، سواء كان هذا النشاط بدنياً أم عقلياً .. كما يلعب الغذاء أيضاً دوراً

مهمًا فى إصلاح الخلايا التالفة وإعادة بنائها ، وفى تكوين خلايا جديدة ، فى زيادة مناعة الجسم ضد بعض الأمراض ووقايته منه .

ولاشك أن غذاء الطفل من حيث كميته ، ونوعه ، وطريقة تقديمه ، والعادات الصحية التى يجب أن تتبع فى تناوله – يختلف من مرحلة عمرية إلى أخرى (من مراحل نمو الطفل) ، كما تختلف أساليب الأداء من بيئة إلى أخرى (من حيث نوع الغذاء ، وطريقة تقديمه ، والعادات الصحية إلخ) .. فبعض البيئات مثلاً لاتعرف مدى تأثير أيادى الأطفال غير النظيفة عند لمسها لطعامها عند تناوله .. إلخ ، وبيئات أخرى قد تعرف ذلك ولكن لاتتبع مايجب من أجل صحة أطفالها ، فلاترشد الطفل لما يجب أن يكون بحجة مشغولية الأم ، أو بحجة قلة الإمكانات .. إلخ ، وهناك فئة أخيرة هى البيئة التى تعرف وتنفذ العادات الصحية فى تغذية الطفل حتى فى ظل الإمكانيات المادية البسيطة ..

وقد تكون بعض أساليب التغذية أفضل من بعضها الآخر فى ضمان حصول الطفل على أوجه الاستمتاع المرتبطة بخبرات التغذية .. ولذا سوف نتحدث فيما يلى عما يجب اتباعه من أجل تحقيق الصحة النفسية للطفل فيما يتعلق بالنواحى الغذائية ، وتزويده بعادات صحيحة وأساليب سلوكية صحية منذ نعومة أظافره؛ لتكون رائد الطفل ومثله فى كل تصرفاته عند بلوغه ونضجه ..

وسوف يتم هذا من خلال التعرض لأساليب تغذية الطفل ومايرتبط بها :

(أ) إرضاع الطفل :

تشير البيانات التى جمعت عن المواليد الجدد الذين يتم تغذيتهم بحسب الطلب ، أن الطفل يتناول فى المتوسط ٧–٨رضعات فى اليوم ، ويتناقص هذا العدد إلى ٥–٦ رضعات عند بلوغ الأسبوع الرابع .. عندئذ يكون متوسط مايتناوله الطفل العادى مابين ١٨–٢٥ أوقية ، ويزداد إلى ٣٥ أوقية حين يصل عمره إلى ٦–٨ أسابيع ، وفى خلال الأسابيع القليلة التالية يزداد تناقص عدد الرضعات، على الرغم من أن كمية مايتناوله من الطعام لاتتغير تغيراً ذا دلالة .. (٥:١٢٣) .

ويعتمد الطفل فى شهوره الأولى فى الرضاعة على لبن الأم أو بديله .. وتختلف الأمهات بالنسبة لرضاعة الطفل .

– فهناك أمهات قد شغلهن صراع الحياة .. فاضطررن إلى ترك أطفالهن الصغار فى سن الرضاعة إلى المربية ، التى تزود الطفل بلبن صناعى أو ماشابه ذلك .

– وأمهات اضطررن صحياً إلى الاستعانة بأساليب الرضاعة الصناعية حتى لاتتأثر صحتهن برضاعة الطفل ... أو حرصن على الاحتفاظ برونق أجسادهن .

– وأمهات بين هؤلاء وأولئك يرضعن الطفل فى غير مانظام أو أسلوب واضح – فتارة لايدعن الطفل يتمتع بالثدى إلا إذا علا صراخه واحتقنت الدماء فى وجهه ، وتارة أخرى يتركن الثدى للطفل تحت إمرته وطوع إشارته ..

وبالنسبة للأمهات من النوعين الأولين ، لاشك أن هناك خطأ واضحاً فى تغذيتهن للطفل – فالرضاعة الطبيعية أى لبن الأم له أهميته القصوى فى النمو الجسمى للطفل ، وفى بناء شخصيته وإشباع حاجاته الانفعالية ..

فمن ناحية : نجد أن لبن الأم يعتبر أفضل غذاء للطفل منذ لحظة الميلاد، كما يؤكد العلماء المتخصصون .. ففى اليومين الأوليين قبل أن تزود الأم باللبن الطبيعى.. يعطى الطفل من خلال الرضاعة الطبيعية مادة «الكولستروم»، التى تعد بمثابة طعام مهضوم قريب جداً من مصل الأم، الذى كان يتغذى به الطفل قبل ولادته ، وهى التى تعطى الطفل قوة ليقاوم العدوى فى الأشهر المبكرة الأولى .. كما أن الرضاعة الطبيعية بلبن الأم أفضل غذاء للطفل فى عامه الأول .. فلبن الأم مكيف تكيفاً خاصاً للطفل كإنسان بما يحتوى عليه من مكونات غذائية بنسب أكثر ملاءمة للطفل من اللبن الحليب أو الألبان الأخرى الصناعية ، كما أن له خواصاً معينة ثابتة من حيث درجة الحلاوة والسيولة والحرارة ..

أضف إلى ذلك : أن الرضاعة الطبيعية هى الأداة التى توفر للطفل أولى الحاجات النفسية والشعور بالطمأنينة والأمن .. وحرمان الطفل من ثدى أمه هو حرمان له من لذة الحياة بمعناها العميق .. ولذا كانت الرضاعة الطبيعية ضرورية لشعور الطفل بالثقة والتغلب على الإحساس بالشك منذ أيامه الأولى.. فإحساس الوليد بالثقة يتطلب شعوراً بالراحة الجسمية والحد الأدنى من تجربة الخوف أو عدم التأكد.. وفى هذا تفضل الرضاعة الطبيعية الرضاعة الصناعية؛ لأنها تضاعف من الجوانب الممتعة فى مواقف التغذية ؛ لأنها تساعد على تقوية الارتباط بين الأم والطفل ، وفى الرضاعة الطبيعية تتاح للأم فرصة ممتازة لحمل الطفل، أقرب مايكون إليها ، وبذلك تمنحه مشاعر السند والاسترخاء والتنبيه اللمسى والراحة .. صحيح أن هذه المشاعر قد تصحب الرضاعة الصناعية، لو أن الطفل حملته أمه واحتضنته إلى صدرها ثم جعلت تتحدث إليه أو تلاعبه ، ولكنها تنعدم إذا اقتصر الأمر على «وضع» الزجاجة فى فمه، دون أن يصاحب ذلك مشاعر أخرى .

فقد ذهبت «ريبل» إلى أن تناول الرضيع وتدليله وهزه يمده بقدر كبير من المتعة الحشوية واللمسية ، ويسهم فى إيجاد تعلق إيجابى بين الأم والطفل، وأن هناك حاجة فطرية للالتصاق بالأم ، والأم التى تتيح لطفلها فرص هذا الالتصاق تعينه على النمو السليم .. وأن الأمومة غير السليمة هى نوع من الحرمان الذى قد يؤدى إلى أضرار بيولوجية ونفسية بالرضيع (١٩٩:٥-٢٠٠) ففى البدء يشعر الطفل بوخز الجوع فيستجيب لهذه الحاجة بالبكاء والصراخ ، وعندئذ تمسك الأم بالطفل وترضعه ، وهنا يكون الطفل محاطاً بكل المنبهات أو المثيرات البصرية والشمية والسمعية، التى هى جزء لاينفصل عن موقف التغذية أثناء تلقيه الإثابات (الطعام والالتصاق اللمسى) - ووفقاً لقوانين التعلم فإن المثير أو المنبه الجديد المقترن بالطعام والالتصاق يصبح هو نفسه ذا قيمة إثابية ، لهذا فإن الأم بوصفتها منبهاً أو مثيراً يتحول معناها عن طريق التعلم؛ فتصبح دليلاً على المتعة والرضا واللذة والإمتاع (٥ : ٢٠-٢٠١) .

وهكذا : فإذا ماتوافر للطفل الشعور بالثقة والطمأنينة فى أيامه الأولى.. فإنه سيبسط ثقته إلى تجارب جديدة . ومن ناحية أخرى ينشأ الإحساس بالشك من الخبرات الجسمية والنفسية غير المرضية ، وتؤدى إلى الخوف من توقع المواقف المستقبلة .. وإذا كان الواجب النمائى الأول فى هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل هى المحافظة على الوظائف العضوية الخاصة بتغذية الطفل : فإن الإحساسات العضوية تصبح هى الخبرة الاجتماعية، التى تعم فى عقل الطفل، وتحدد ما إذا كان الطفل سيصبح شخصاً واثقاً سهل الإرضاء للمجتمع أو متشككاً كثير الطلبات (٢٤ :٣٩).

كذلك.. فإن طبيعة الاتصالات الاجتماعية تصبح هى الأساس فى إرساء الإحساس بالثقة فى نفس الطفل، من خلال الطريقة التى تحمل بها الأم طفلها ، وحين تضمه إليها فيشعر بدفئها المريح ، ويستمتع بابتسامتها العذبة ، وبالطريقة التى تناجيه بها .. كل ذلك له أهميته البالغة فى تنمية الإحساس بالثقة .. بمعنى : أن نوعية الإحساس بالثقة أو بالشك إنما يرتبط بالشكل الاجتماعى الأول ، وتتوقف الخبرة الانفعالية على تبادل الأخذ والعطاء ودرجة الاسترخاء والأمان التى تتصل بهذه الأفعال من الأم حيال إرضاع طفلها .. فإذا كانت خبرة التغذية الأولى خبرة غير مثيبة يمكن أن ترتبط بالألم مما يثير الشك فى نفسه :

- فالأم القلقة المتوترة قد تمسك بطفلها بطريقة غير سليمة، تؤدى إلى شعور الطفل بانعدام الراحة .

.. والأم التى لم تكن تريد لنفسها طفلاً قد تكره ماتنطوى عليه العناية بالطفل من مشقة ومضايقات .. وقد تظهر هذه الكراهية فى تناول الطفل بخشونة وغلظة ، أو فى إيقاف عملية الإرضاع قبل أن يحصل الطفل على الإشباع، أو فى أن يترك الطفل للبكاء لفترة طويلة قبل أن يقدم له الغذاء .

وفى مثل هذه الحالات يخبر الطفل شيئاً من الألم وشيئاً من اللذة مرتبطين بمنبه الجوع ، فإذا تكررت منبهات الألم لفترة طويلة الزمن.. ترتب على هذا أن تصبح الأم ذات قيمة سلبية ورمزاً للألم لا اللذة .. وهنا يتعلم الطفل الابتعاد عن الأم لا التوجه لها ، ومن ثم يصعب عليه التوجه إلى الناس والاقتراب منهم ، كذلك فإن الاتجاهات النفسية والاجتماعية من ثقة بالناس وميل إليهم أو عدم الثقة بهم والشعور بالعداوة نحوهم تنشأ من علاقة الطفل بالآخرين، خلال السنة الأولى من العمر (٢٤: ٤٠-٤٣) .

أما ناحية الانتظام فى إرضاع الطفل : فإنها من الأساسيات المهمة فى تغذية الطفل .. فلاشك أن نظام الأم فى إرضاع الطفل يعتبر خبرة يمر بها، تعوده سلوكاً معيناً .. فالأم التى تتبع نظاماً خاصاً فى إرضاع الطفل فى فترات تتناسب مع تطور نموه وأحواله الخاصة به كطفل له فرديته وصفاته الخاصة .. فإنها تعمل بهذا على تكوين شخصية تحب وتحترم النظام منذ الشهور الأولى من الحياة ويتعود الطفل بالتدريج مواعيد معينة لإطعامه ، وبالتالى يصبح النظام سلوكاً خاصاً وسمة أساسية فى شخصيته .. ولكن يجب التنبيه إلى أنه من الخطأ الالتزام بجدول زمنى صارم لإرضاع الطفل .. بل إن الانتظام معناه عدم الاضطراب فى مواعيد الرضاعة؛ لأنها من الأشياء المهمة المؤثرة على الصحة النفسية للطفل .. فالتأخر عن ميعاد الرضعة ينقل الطفل إلى الشعور بالجوع ، والجوع هو الشعور المؤلم الناتج عن عدم إشباع حاجة أساسية لايستطيع الطفل تأجيلها ولايقوى على احتمال آلامها .. فنراه فجأة قد انزعج انزعاجاً شديداً كما لو كان مشرفاً على الهلاك ولأن تأجيل حاجة أساسية أو إهمالها يعد تهديداً لحياته .. حيث إن الحاجات الأساسية الضرورية للطفل تتطلب الإشباع المطلق العاجل ، وبمجرد إشباعه نراه يفيض شعوراً باللذة والارتياح ، ومن هنا كان شعوره بالرضا والاستقرار الذاتى والثقة بالنفس – وكل هذه العوامل الخفية تقف وراء نجاح الفرد فى المستقبل وفيما بعد لبلوغه آماله، وهى تنمو أول ماتنمو فى الفترة المبكرة من الطفولة كما يراها علماء التحليل النفسى ..

ومن هنا : يتضح أن الانتظام فى تغذية الطفل هو إرضاعه، حينما يطلب

التغذية لأنه يمنع من تكوّن توترات الجوع الأليمة وتراكمها ، على حين أن التغذية الموقوتة بجدول منتظم فى فترات الرضاعة المبكرة قد يترتب عليه أن يقدم الغذاء للرضيع ، قبل أن يشتهى فى بعض الأحيان ، أو تركه لايحصل على غذائه إلا بعد أن تشتد عنده إحساسات الجوع .

وهكذا .. يكون للرضاعة أهمية طبيعية مادية ورمزية على السواء ، فالجهاز الهضمى للطفل يعتبر مركز الإشباعات الأولى ، وهو فى الوقت نفسه العامل الأول للعلاقات مع المحيطين به .. ومتى أشبع الطفل نام فى هدوء ، وفى هذا الاسترخاء معنى مزدوج : عن انقطاع الحاجة الفسيولوجية وعن الأمن النفسى – فالنوم معناه الكف عن الاحتياج إلى مراقبة البيئة أو السيطرة عليها أو الفعل فيها ، والنوم الحقيقى تتويج لنشاط وصل إلى أهدافه .. فإذا أحس الطفل أنه منعزل يناضل ضد البيئة المحيطة به ، لم يتخل عن يقظته ولم يغلبه النوم إلا وقد أنهك ، وهو عندئذ نوم هابط النوعية ، مضطرب ، غير تام . وعندما يكبر قليلاً قد يكون أشد ميلاً إلى عدم الاستسلام للنوم إلاّ فى ساعة متأخرة ، أو أثر إجهاد وتعب ..

وإذا كانت التغذية رديئة أو غير كافية أو غير منتظمة لاتكفى للطفل، فهو يعرب عن طريق الجهاز الهضمى عن استيائه وكربه ، وعندئذ يغدو الفم العضو القائم بالرفض والإنكار ، فقد يرجع الطفل ما يدخل فى فمه أو يقئ ، فيكون الشعور بعدم الأمن مرتبطاً عندئذ بسلوك الرفض .. وهذا الاقتران إذا ماظل حتى سن البلوغ ، يفسر السلوك المتناقض لبعض من يتخذون اتجاهاً عدائيًا أو سلبيًا بإزاء من يقدمون له يد المساعدة فى محنة قد تعتريه .

(ب) فطام الطفل :

من الخطأ استخدام الرضاعة الطبيعية لفترة طويلة ؛ حيث إن هذا يؤدى إلى زيادة اعتماد الطفل على أمه ، وكذلك يكون له أسوأ الأثر على صحته العامة ، ومن هنا : فإن فطام الطفل يجب أن يبدأ متدرجاً مع الطفل .. إذ يجب أن تتضمن تغذية الطفل فى نهاية الشهر الثالث أو الرابع تقديم أنواع خاصة من الأطعمة والسوائل إلى جانب الرضاعة، مثل : الماء الممزوج بالفيتامينات أو عصير الفواكه ، والشوربة ، والخضروات ، والفواكه المطهوة المهروسة – ويكون تقديمها بطريقة تدريجية يوماً بعد يوم بالزجاجة ثم بالكوب ، ثم بالملعقة ، كما تتدرج من الأطعمة السائلة إلى النصف سائلة إلى الصلبة بعض الشيء مثل «البسكويت» ، وكلما زاد إقبال الطفل على هذه الأطعمة اختصرت مرات رضاعته، حتى إذا ماوصل إلى نهاية عامه الأول كانت

هذه الأطعمة من المكونات الأساسية والمنتظمة فى غذائه وخير ممهد للفطام .. حيث يعد فطام الطفل تحويلاً له فى التغذية من الرضاعة إلى أنواع وطرق أخرى، فبظهور الأسنان يصبح أقدر على تناول الأطعمة الصلبة ومضغها وهضمها، كما أن نمو قدرته على المشي والحركة تجعله فى حاجة إلى مزيد من المواد الغذائية المولدة للطاقة والنشاط .

وينبغي الإشارة إلى أن نظام الفطام والطريقة التى يتم بها تعتبر من أهم النواحي، التى ترسى الثقة فى نفس الطفل أو تولد الشك فى نفسه . وفى بيئته التى يشعر فيها بالحرمان مما ينعكس على بناء شخصيته فى المستقبل .

فالتدرج فى فطام الطفل أمر غاية فى الأهمية ، ويجب أن تتبعه الأم حتى لاتعرض طفلها لهزات انفعالية تترك أثراً سيئاً فى بناء شخصيته ، ذلك أن الفطام المفاجئ – (وفقد الطفل قربه وملامسته لصدر الأم وثديها – لا كتعبير للإشباع المادى فقط ، بل للإشباع النفسى المتمثل فى حنانها ودفء صدرها أثناء عملية الرضاعة) يسبب للطفل قدراً كبيراً من القلق النفسى وينتابه الشعور بالحرمان والاضطراب ، وغالباً مايصبح الأطفال الذين يتم فطامهم فى مرحلة متأخرة وبشكل مفاجئ ذوى شخصيات مضطربة ، وإن كان ذلك يتوقف على مدى حدوث القسوة فى الفطام .. ومن الملاحظ أن الطفل الذى يفطم بشكل مفاجئ غالباً ماتستمر معه بعض العادات غير الصحية من قضم الأظافر ومص الأصابع وهى عادات تعتبر من أمراض الاضطراب النفسى؛ إذ تعتبر بديلاً عن ثدى أمه وسوف تحدث اضطراباً أكثر شدة .. ولمساعدة الطفل على التخلص من هذه العادة.. يجب أن تمده الأم أو المربية بوسائل أخرى بديلة تسترعى انتباهه مع منحه الغذاء المناسب من الحب والحنان والعطف اللازمين ، ومن الأصوب أن يرفع بلطف الأصبع من فمه أثناء نومه؛ حتى لايصبح عادة لديه .. ولاتعتبر هذه المشكلة ذات أهمية فى مرحلة الرضاعة والفطام ، ولكن تعتبر علامة توتر نفسى، إذا استمرت مدة أطول من مرحلة الطفولة ..

(جـ) تناول الغذاء :

وعندما يصل الطفل إلى سن ٣-٦ سنوات ، يجب على الأم والمربين (فى رياض الأطفال) أن يبثوا فى الطفل من خلال مواقف التغذية روح النظام ، والنظافة ، والاعتماد على النفس ، والعادات الصحية ، من خلال تزويدهم بالغذاء المادى المتكامل العناصر كماً وكيفاً ..

– فمن ناحية النظام : نجد أن طريقة تقديم الطعام تعتبر لوناً من ألوان الثقافة يجب أن

يتعودها الطفل من صغره .. ويتوقف هذا على بيئة الطفل، فالطفل الذى قد تعود أن يقدم له الطعام بطريقة منظمة فيها تنسيق فى الأوقات وتجميل بالزهور وتنسيق جميل للمائدة فيه نظام ونظافة ورقة ، بالإضافة إلى موسيقى هادئة مثلاً ، غالباً مايكون هذا النظام يساعد على فتح شهيته ، وإفراز العصارات الهاضمة .. إلخ.

وتستطيع الأم أو المربية أن تعود الطفل النظام عندما ترشده إلى أن يضع فى طبقه مايكفى حاجته بطريقة مهذبة ، وأن يتعود كيف يتناول طعامه بالملعقة وأن يمضغ طعامه جيداً ودون صوت، وألاَّ يتحدث وفمه مملوء بالطعام .. إلخ .. وهكذا يتعود الطفل اتخاذ سلوك مرغوب فيه تجاه النظام وحب الجمال لأنه سيتعود ذلك من صغره أثناء ممارسته للحياة ، وفى ساعات لايستغنى عنها أى إنسان وهى ساعات تناوله لطعامه اليومى .. وهكذا يكون الاستمتاع بالجمال والهدوء أثناء تناول الطفل لطعامه عاملاً مساعداً على مضغ الطعام جيداً ، والأكل بشهية ، وغالباً مايستطيع أيضاً التمييز بين الجمال والنظام ، والقبح والفوضى ، وهذا التمييز يدفعه للسلوك الحسن المرغوب فيه .

- **ومن حيث النظافة** : يمكن من خلال تغذية الطفل وإشباع حاجته للغذاء أن يتعود من صغره النظافة فيتشربها من صغره ، وتصبح النظافة سلوكاً خاصاً يتبعه دائماً.. وذلك مثل غسل اليدين قبل الأكل وبعده ، وطريقة الجلوس الصحيحة على المائدة ، وعدم شرب الماء بصوت ، وعدم فتح الفم عند مضغ الطعام .. إلخ . كذلك يتعود الطفل النظافة بتعليمه ضرورة وضع «فوطة» أو «مريلة» أثناء تناول الطعام لتمنع تلوث ملابسه ، ويتعود استعمال الأدوات الخاصة به أثناء تناوله لطعامه، ويتعود الطفل النظافة من خلال «المفرش» النظيف، الذى يوضع بعناية على مائدة الطعام، والأدوات النظيفة التى يستعملها الطفل فى طعامه .. كذلك يجب أن يتعود الطفل عدم القيام للتخلص من الفضلات أثناء تناوله لطعامه، ثم يعود ليكمل طعامه .. ذلك اللون من ألوان الثقافة غير المستحب بين الجميع» ، والذى قد يكتسبه الطفل أثناء تنشئته ..

- **أما عن تعويد الطفل الاعتماد على نفسه** : من خلال تناوله لطعامه بنفسه ، فيجب على الأم أو المربية أن تتيح له الفرصة لذلك، مع مراعاة أن تكون ألوان الطعام جافة فى بداية تعويد الطفل الاعتماد على نفسه فى تناول طعامه ، على أن يتدرج ترك الطفل ليأكل كل شيء سائلاً كان أم جافاً - فتستطيع الأم أو المربية أن تعاون الطفل فى تناول طعامه السائل فى البداية ، ثم تعلمه كيف يتلافى سقوط الطعام على ملابسه ، ويعرف أن ذلك أمر غير مستحب .. ولكن هذا لايعنى أن

الطفل لن يخطئ ، بل لابد وأن نتوقع منه الخطأ ، وعلى الأم أو المربية أن تتقبل خطأه ، وتعتبره شيئاً طبيعياً لأن الطفل كثيراً مايتعلم من أخطائه .. المهم ألانجعله يغالى فى تكرار الخطأ ، ونرشده ليتعلم من أخطائه دون استعجال فيما تطلبه منه ، ودون تأنيب جارح ..

- **أما عن عادات الطعام الصحية :** فعلى جميع القائمين بتربية الطفل مراعاته منذ بدء تناوله لطعامه .. بعد استقلاله عن ثدى الأم أو اللبن البديل يجب أن تعود الأم طفلها أن يتناول طعامه، وهو جالس بطريقة صحية لاتساعد على تقوس ظهره فتعرقل نموه الجسمى والصحى السليم ، وأن يبتعد عن العادات السيئة غير المرغوب فيها أثناء تناوله لطعامه مثل : اللعب فى الأنف ، أو الحديث والفم مملوء بالطعام .. إلخ .. على أن تكون الأم أو المربية نموذجاً يحتذى به ويقلده ، وأن يتعود الطفل ألايتعجل فى بلع طعامه، دون مضغه مضغاً تاماً؛ حتى لايتسبب له فى عسر الهضم .

وهكذا : فإن الطفل عند وصوله إلى سن السادسة يكون قد تعود سلوكاً مقبولاً فيما يتعلق بتناوله لطعامه باستقلال عن الأم ، وتعود ومارس كل العادات الصحية أثناء تناوله لطعامه ، وخبر الجمال والنظافة ، والنظام ، واستمتع به فى أسلوب تناوله لطعامه . وعليه فى هذه السن أن يعرف نوعية الطعام الضرورى للجسم بصورة متدرجة مع سنه ومستوى إدراكه ، ولابد قبل أن تنتهى المرحلة الابتدائية أن يكون الطفل قد اكتسب ثقافة صحية، يعرف فيها الطعام المفيد لجسمه وصحته من أجل بناء ونمو جسمه ، واحتياجاته من البروتينات والفيتامينات والدهنيات والنشويات .. إلخ ، واحتياجات جسمه للطاقة الحرارية اللازمة له من أجل نشاطه ، وأنواع المأكولات ومايتوافر فى كل منها من فيتامينات .. إلخ ، ومايتوافر من هذه المأكولات فى كل فصل من فصول السنة .

ومن المفروض أن الطفل يتلقى هذه المعارف والمعلومات الصحية من خلال منهج دراسى منظم فى حصص العلوم والتربية الصحية بالمدرسة الابتدائية ، وبالطبع لو تلقى هذا المنهج من خلال ممارسته لمحتواه، لكان ذلك أجدى نفعاً للطفل- على أن يكون المنزل مساعداً ومثبتاً لكل مايحصل عليه الطفل من خبرات بناءة فى المدرسة .

ونقطة أخيرة يجب مراعاتها عند تناول الطفل لطعامه : وهى عدم إجبار الطفل على تناول طعام معين أو عدم إكراهه على تناول قدر أكبر منه . فإذا لم يأكل الطفل جميع ماوضع له من الطعام ينوه له بملاحظة بسيطة من ذلك ، وينبغى أن نعلم جيداً

أن الطفل سوف لايصاب بأى سوء إذا لم يأكل لمدة يوم أو اثنين – وعلى الآباء ألا يصيبهم الخوف إذا رفض الطفل وجبة كاملة ، وإذا كانت صحة الطفل جيدة .. فإن شعوره بالجوع الطبيعى سوف يتغلب على أى مشاعر أخرى . أما إذا استخدم الضغط ، فى تغذيته فسوف يعانى الطفل من سوء الهضم؛ حيث إن الطعام لم يهضم جيداً .. والقاعدة المهمة بخصوص تغذية الطفل هى الاحتفاظ بالهدوء ، وعدم الاهتمام ، وندع الوجبات تستمر فى وقتها الروتينى الطبيعى، دون إظهار أى اهتمام لاداعى له طالما أن الطفل غير مريض .

وهكذا يتضح : أن الحاجة للغذاء من الحاجات الفسيولوجية الجسمية الضرورية لنمو الطفل الجسمى ، وإكسابه كثيراً من السلوكيات والأنشطة المهمة فى حياته ، وأن إشباع هذه الحاجة بطريقة ناجحة وفعالة من أهم الضروريات لتحقيق الصحة النفسية السوية للطفل وإشعاره بالأمان والثقة وتكوين الشخصية المتكاملة ..

(٢) حاجة الطفل إلى الإخراج والتخلص من الفضلات :

الحاجة للإخراج Need for elimenation من تبول urination وتبرز defe-cation من الحاجات الجسمية العضوية المهمة لحياة الإنسان ..

والطفل فى الشهور المبكرة الأولى يفرغ فضلاته عن طريق فعل منعكس لاإرادى – فحين تمتلئ أمعاء الطفل تنفتح العضلات العاصرة فى الشرج انفتاحاً معكوساً وتنطرد المحتويات إلى الخارج ، وكذلك حين تمتلئ المثانة تنفرج العضلة العاصرة أتوماتيكياً .. وهذه العمليات تكون غير إرادية تماماً فى الطفولة المبكرة بسبب أن الجهاز العصبى العضلى اللازم للسيطرة الإرادية لايكون قد اكتمل نموه (٥:١٢٢) .

وتعلم كف الإخراج وضبطه إلى أن يتم التخلص من الفضلات بالطريقة المناسبة ، وفى المكان المناسب اللذين تقبلهما الجماعة .. هذا التعلم يتطلب كف أو قمع استجابات من شأنها أنها كانت تحدث بصفة أوتوماتيكية فى بادئ الأمر .. وهناك اختلاف فى وقت وكيفية ضبط وظائف الإخراج لدى الطفل ، وقد تحصل الأمهات الصغيرات على نصائح متعارضة فى هذه الناحية .. وقد تكون أهمية التزام الطفل بضبط وظائف الإخراج فى مرحلة مبكرة؛ نتيجة التدرب الدقيق القاسى غالباً ماتعرضه إلى نكسة العودة إلى فقد القدرة على الضبط فيما بعد .

والسن الطبيعية التى يتمكن فيها الطفل من ضبط الأمعاء هو سن ١٢ شهراً والمثانة بعد أن يبلغ السنتين من العمر .. ومعظم الأمهات يبدأن التدريب على ضبط وظائف الأمعاء فيما بين الشهر التاسع والشهر الرابع عشر ، وأنهن يكملنه عند انتهاء

الشهر الثامن عشر إلى العشرين تقريباً .. ويلاحظ أن الأمهات اللاتى يبدأنه متأخراً يكن بحاجة إلى زمن أقل فى تدريب الطفل ممن بدأنه مبكراً؛ أعنى أن التدريب يكون كما هو متوقع أكثر مايكون سهولة حين تبلغ قدرات الطفل العصبية والعضلية والإدراكية حداً كافياً من النضج، تسمح له بأن يحبس الإخراج حتى يحين الوقت المناسب (٥:٢٦١) – وعموماً : فيجب لكى يستطيع التحكم فى عملية الإخراج أن تتوافر له الشروط الآتية :

- أن يصبح قادراً على الجلوس على الإناء الخاص دون أى مجهود ، ويكون قد اكتسب قدرة التحكم الفعلى الكافى اللازم لذلك .
- أن يكون قادراً على التعبير عن حاجته بطريقة معينة ، وأن يفهم مايطلب منه ، وبذلك يستطيع أن يتجاوب بذكاء وليس بطريقة آلية .
- أن يكون قادراً على تكوين علاقة ثابتة مع مَن تقوم برعايته ويشعر نحوها بالاطمئنان حتى يكون قادراً على كسب رضاها ، وبذلك يستطيع أن يفهم المديح عند أى محاولة ناجحة .

وفى أثناء حديثنا عن التحكم فى عملية الإخراج وضبطها، يجب أن تراعى الأم أو المربية مايلى من أجل الصحة النفسية للطفل :

(١) تعويد الطفل عملية الإخراج دون إحداث ألم نفسى .

(٢) إكسابه العادات والسلوكيات المرغوبة مثل النظام ، والنظافة ، والعادات الصحية أثناء تدريبه على التخلص من الفضلات .

(٣) بناء شخصيته وتعويده الاستقلال والثقة والاعتماد على النفس أثناء التدريب على التخلص من الفضلات .

ويمكن أن يتم ذلك كما يلى :

(١) ضبط الإخراج دون إحداث ألم نفسى :

يجب على الأم أو المربية أن تتيح الفرصة للطفل على التدريب على ضبط عملية التبول والتبرز بطريقة سليمة، تتفق مع قوانين علم النفس، فيما يتعلق بأى نوع من التعلم ، ومع تعاليم الصحة النفسية التى تركز على عدم إحداث ألم نفسى للطفل أثناء تدريبه على التحكم فى ضبط عملية الإخراج .

- فمن ناحية : يجب أن ترتكز عملية التدريبية على قوانين التعليم الخاصة بالثواب والعقاب ، والممارسة .

فالطفل قد يتعلم كف الاستجابة لأنه يلقى فى كل مرة ينجح فيها من كف دافعه للإخراج شيئاً من الإثابة من الوالدين ، ومن الممكن أن يتدرب الطفل خلال الإثابة المنتظمة على السلوك الصحيح .. كذلك فإن استخدام أسلوب العقاب باللفظ أو الفعل حين يخالف ، قد يكون له تأثيره نتيجة خوف الطفل من العقاب المحتمل أو الحرمان من حب الوالدين، إن هو لم يقم بكف استجابة التخلص من الفضلات بالطريقة السليمة التى تعلمها .. وهنا يضطر الآباء إلى استخدام العمليتين معاً ، ولكن دون الالتجاء إلى العقاب البدنى؛ ذلك أن الطفل إذا كان يرغب فى الحصول على المودة التى يحتاجها ويستمتع بها مقابل أدائه فعل الإخراج، فإن ذلك يدفعه إلى تكرار هذا الفعل الذى يلقى عليه الاستحسان .. ويحدث العكس إذا ماكانت الأم لاتحنو على الطفل أو ترعاه (فالطفل لايحصل على إثابة كافية جزاء مايقوم به من كف أو تعطيل للأفعال التى تراها الأم سيئة)، ثم إن الأم إذا التجأت فى هذا الموقف الأخير إلى العقاب البدنى من أجل أن تحقق عملية التدريب ، أصبح من المحتمل أن يعدها الطفل شيئاً ينبغى الخوف منه وتجنبه .

أما ناحية الممارسة ، فإن الوالدين حين يقومان بمراقبة الطفل لملاحظة ماقد يشير إلى أنه بحاجة إلى التبول أو التبرز ثم باصطحابه مباشرة إلى الحمام ، يتيحان للطفل فرصة النجاح فى ضبط عملية الإخراج .. ولو أن هذا تكرر بدرجة كافية لترتب على هذا أن تقوى الارتباطات بين نمط الأمارات الداخلية (من توترات فى الأمعاء أو المثانة) ، والأمارات الخارجية (الحمام) وبين استجابات الإخراج من ناحية أخرى . وهذا يجعل من المحتمل فى المناسبات المقبلة أن يمتنع الطفل عن الإخراج؛ حتى يصل إلى الحمام ، ولو أن الطفل كان قادراً على الكلام أو التعبير بالإشارة عن حاجته، لأصبحت عملية التعلم والتدريب أكثر سهولة (٥:٢٥٣-٢٥٤) .

- ومن ناحية أخرى : تشير تعاليم الصحة النفسية إلى أن التدريب المفرط فى القسوة والإيلام يحدث قلقاً شديداً عند الطفل، وقد يؤدى إلى مشاعر العدوان نحو الأبوين واستعداداً لظهور عدة أعراض مرضية (أى نوعاً من سوء التوافق) فى الطفولة المتأخرة والمراهقة .. فالأم شديدة العقاب قد تكتسب قيمة سلبية أو مثيرة للقلق على أساس أنها أصبحت مصدراً للألم والخوف عند الطفل ، وقد تكون خبرة التدرب على ضبط عملية الإخراج بالنسبة لبعض الأطفال المرة الأولى التى يرتبط فيها القلق الشديد بالأم .. وإذا كانت الأم قد التزمت البرود ونبذ الطفل إذا ما أخطأ فقد يؤدى أسلوبها الصارم فى تعويد الطفل ضبط الإخراج إلى آثار ضارة بالطفل وإلى

قيام مشاعر السلبية عنده .. وهذه الآثار السلبية غالباً ماتتمثل في الاستجابة العدوانية التى لاتكون من قبيل نوبات الغيظ غير الموجهة نحو هدف معين ، ويبدأ الطفل يصرخ أو يعض أو يرفس أو يقوم بهجوم لفظى على الأبوين .. كذلك فإن القابلية للتهيج عند الطفل تؤدى إلى انتكاسات مؤقتة فى ضبط وظائف الأمعاء والمثانة (٥:٢٥٥—٢٥٦) .

بمعنى : أن اتخاذ التدريب صورة عنيفة من الضغط الشديد على الطفل؛ حتى يسرع فى تكوين هذه العادات ، على الرغم من أن جهازه العضلى لم ينضج بعد النضج الكافى ، ولم يصل إلى درجة من التكامل مع سائر الأجهزة الأخرى فهذا يعنى تولد الكراهية والحقد فى نفس الطفل الصغير ، كما يستشعر أحاسيس الفشل والعجز البدنى ، وقد تشتد لديه النزعات السادية كرد فعل للضبط الشديد الذى يفرض عليه .. وأن تدريب الطفل على التخلص من الفضلات بطريقة لاتقوم على التفاهم والتسامح والرفض ويمكن أن يؤدى الصبر إلى مظاهر قوية من الاضطراب فى الشخصية، عندما يصل الطفل فيما بعد إلى مراحل البلوغ (٥:٢٥٦) .

(ب) إكساب الطفل عادات سلوكية فيما يتعلق بالتخلص من الفضلات :

يعد النظام ، والنظافة ، والعادات الصحية من أهم المبادئ التى يجب أن تعود الأم أو المربية طفلها عليها من خلال تعويده ضبط الإخراج، والتخلص من الفضلات.

- إذ تستطيع الأم أو المربية أن تعوّد طفلها النظام منذ الصغر، بأن تنظم المواعيد التى تدربه عليها لقضاء حاجته ، ويحسن أن يكون ذلك فى الصباح الباكر عند استيقاظ الطفل من نومه، فتأخذه ليجلس على وعاء قضاء حاجته أو الكرسى ذى الوعاء المخصص لذلك ، ويمكن أى يتم ذلك ابتداءً من الشهر السادس أو قبل ذلك بقليل حسب صحة الطفل وقدرته الجسمية ، على ألا تتوقع الأم استجابة طفلها السريع لذلك؛ خصوصاً وأن الطفل فى هذه السِن لم يكتمل نموه أو تنضج أجهزته الخاصة بذلك النضج الكافى . وحتى وإن تعوّد تنظيم عملية الإخراج ، فقد ترتبك هذه المواعيد بسبب التسنين أو الإصابة بإسهال .. إلخ ، كذلك يجب عدم الضغط على الطفل وإطالة بقائه جالساً على وعاء قضاء الحاجة فى هذه السن الصغير؛ة حتى لاتتكون عنده عادة المقاومة .. المهم أن تضع الأم أو المربية فى اعتبارها أن الهدف من هذا التدريب هو تعويد الطفل بالتدريج قضاء حاجته فى أوقات منظمة دون توتر أو ضغط أو تأنيب أو عقاب ، ويحسن أيضاً أن يدرب الطفل على العملية نفسها (فى هذا السن) بعد وجبة الظهر ، وقبل نومه فترة الظهيرة، ثم بعد استيقاظه

من النوم ظهراً ، ثم قبل نومه مساءً .. إلخ .

- وعلى الأم أن تعود طفلها النظافة باستمرار عقب أدائه لحاجته وتبعد عن تركه مبتلاً أو متسخاً ببرازه لأى فترة مهما كانت مشاغلها، وإلاّ تعوده القذارة بصفة عامة - فالنظافة والقذارة سلوك مكتسب يتعوده الطفل منذ صغره فيشب على سلوكه المتعوّد سواء كان سلوكاً متسماً بالنظافة أو متسماً بالقذارة، فيشب الطفل على ممارسة السلوك الذى تعوده سواء مع نفسه أو مع البيئة المحيطة به .. كذلك فإن البيئة النظيفة تكسب الطفل عادات النظافة من خلال ممارسته لحاجاته اليومية الملحة فيعمم سلوكه النظيف بعد ذلك على كل ماحوله - والعكس صحيح بالطبع - فبيئة الطفل الأولى هى التى تعوده أساليب وعادات السلوكِ التى سوف يسلكها فى المستقبل ، ومن هنا يكون تشديدنا على الأم والمنزل بكل من فيه باعتباره المنبع الأول الذى يتشرب منه الطفل كل الأساليب والعادات المرغوب فيها أو غير المرغوب فيها ..

- ويجب على الأم أن تحرص على تكوين السلوك الصحى المبنى على النظافة، بشرط أن يكون حمام المنزل صحياً ونظيفاً تقوم بتنظيفه وتطهيره دوماً حسب عدد أفراد الأسرة واستعمالهم لهذا المكان ، على أن تكون حريصة أن تكون للطفل احتياجاته التى يمارس من خلالها عاداته اليومية ، والتى يتعود نتيجة هذه الممارسة النظافة والنظام ؛ بمعنى : أن يكون للطفل مرحاضه الخاص (الصغير) أو كرسيه الخاص بقضاء حاجته ، وأن يكون نظيفاً مطهراً باستمرار ، وأن يكون بالحمام حوض صغير أو صنبور صغير منخفض يسهل على الطفل استعماله ، ومرآة صغيرة منخفضة مثبتة على الحائط يسهل على الطفل استعمالها ليتعود العناية بهندامه وتنظيم ملابسه ونظافتها بعد قضاء حاجته، معتمداً فى ذلك على نفسه بقدر إمكاناته ونموه ، وأن يكون فى الحمام «شماعة» يسهل على الطفل وضع ملابسه عليها إن احتاج لذلك ، وأن يكون بالحمام منشفة «فوطة» خاصة بالطفل لتجفيف يديه مع إرشاده وتوجيهه إلى عدم استعمال مناشف الغير ومابنتج عن استعمالها من أضرار .

(جـ) تكوين السمات المرغوبة فى شخصية الطفل من خلال التخلص من الفضلات:

إذ تستطيع الأم أو المربية أن تستغل حاجة الطفل للإخراج والتخلص من الفضلات فى تكوين شخصية الطفل، مثل: تعويده الاستقلال والاعتماد على نفسه قدر استطاعته وإمكانات نموه ، بأن تعوده الاعتماد على نفسه فى قضاء حاجته ، على أن

يكون وصول الطفل إلى دورة المياه سهلاً وميسوراً للطفل دون أية معوقات ، وأن تكون ملابسه سهلة الفك والربط ، وأن يكون بحمام المنزل (أو الحضانة) مرحاض صغير منخفض « ذو سيفون» يسهل على الطفل تشغيله ، ويحسن أن يكون من النوع الذى له سلسلة مناسبة الطول فيسهل على الطفل شدها ، أما السيموفونات التى تعمل بالضغط غير مرغوبة لمن سنهم صغيرة ؛ حيث يكون تحكمهم بالضغط غير كاف لدفع الماء الضرورى لإزالة بقاياهم .

كما يجب أن يزود المرحاض بورق صحى ووعاء مغطى لوضع الورق «المتسخ» فيه إن لم يتيسر وضعه فى المرحاض نفسه ، وعلى الأم أو المربية أن ترشد الطفل بالتدريج ليعتمد على نفسه فى قضاء حاجته وتعلمه كيفية الجلوس على مرحاضه الصغير ، ثم كيفية اغتساله بعد قضاء حاجته ، ثم كيفية تجفيفه لنفسه ، ثم كيفية لبس ملابسه ، ثم كيف يشد السيفون ليتخلص من بقاياه التى لو تركت لتسببت فى نشر الأمراض له وللآخرين ، كما تتسبب أيضاً فى قبح المكان وقذارته ورائحته الكريهة .. إلخ ، ثم تعوّده بعد ذلك ضرورة غسل يديه بالماء والصابون وترشده إلى ضرر التهاون فى نظافة نفسه أو نظافة المكان الذى يقضى فيه حاجته ، وتلفت نظره إلى ضرورة تهوية المكان أو رشه ببعض المطهرات ثم غسل يديه .. إلخ .

هذا التدريب للطفل على نظام دورة المياه يؤدى به إلى زيادة استقلاله الذاتى، كما يؤدى إلى امتثاله لتوجيه الكبار فى مجال سلوكى مهم فى حياته ، فحسن التحكم فى تصريف الفضلات يحمل قدراً كبيراً من الأهمية فى الثقافات المختلفة لتعويد الطفل الاستقلال الذاتى ...

ومن ناحية أخرى : فإن مشاعر الطفل التى تكونت مرتبطة بتدريبه على التخلص من الفضلات لها أهميتها فى تكوين شخصيته فيما بعد - فالطفل الذى يدرب على أساس من التفاهم والتعاون ، غير ذلك الذى كان تدريبه يقوم على الخوف والعقاب وعدم الطمأنينة .. وسوف تتلون اتجاهاتهما نحو المجتمع فيما بعد تبعاً لهذه المشاعر - فتكون علاقة الأول مع أفراد المجتمع قائمة على الثقة والحب ، بينما تتخذ اتجاهات الآخر شكل الشك وعدم الثقة والعدوان ، حتى ولو كانت اتجاهات الغير من أفراد المجتمع نحوه لاتبرز هذه الاتجاهات .

وهكذا .. يمكن أن تنمو فى هذه المرحلة - مشاعر التعاون والثقة وحرية التعبير والاعتماد على النفس والاستقلال ، أو نقيض هذه المشاعر من التمرد والكبت والخجل...

وبوصول الطفل إلى سن السادسة نجد أن العادات الصحية والسلوكية الخاصة بعملية الإخراج تكون قد تكونت عنده بالفعل ، ويجب أن تثبت لديه فى هذا السن لتصبح سلوكاً من الصعب تركه أو استبداله بسلوك غير صحى ، وعلى الأم فى المنزل أو المربية فى المدرسة أن يعلموا الطفل كيف يتصرف فى الأماكن العامة الخاصة بقضاء هذه الحاجة ليعممها ؛ بعد ذلك عندما يحتاج لقضاء حاجته فى أى مكان عام يذهب إليه، فيتعود من الأم أو المربية كيف يتعامل مع هذه الأماكن العامة بأسلوب صحى منظم ونظيف وبذوق وآداب لاتخدش حياء الآخرين ؛ بمعنى : أننا لانعتمد فقط على تعويده نظافة المكان العام الذى يقضى فيه حاجته ، بل إننا نعوده الحرص على ألايلوثه ببقاياه أو يكتب على جدرانه أو ... إلخ ..

على المدرسة أن تحرص على نظافة المكان العام الذى يقضى فيه الطفل حاجته وتطهيره باستمرار ، وفى فترات متقاربة على أن تخصص الأماكن المناسبة لنمو الطفل والمناسبة لقدراته وإمكاناته .. المهم أن يخرج الطفل من المدرسة الابتدائية وقد تمكن من السلوك الصحى وعادات النظافة، ولايستطيع الطفل غير هذا السلوك الصحى بديلاً .. وهكذا تنضج البذرة الأولى التى وضعتها الأم لعادات صحية وسلوك نظيف مهذب يتعلق بإخراج الفضلات ، وتجد لها مجالاً للترعرع فى الحضانة ، والمدرسة الابتدائية.

وهكذا يتضح :

إن الحاجة للإخراج والتخلص من الفضلات من الحاجات الجسمية المهمة التى تؤثر تأثيراً كبيراً فى نمو الطفل الجسمى ، ومن خلال أسلوب تعليم الطفل وتدريبه على التخلص من فضلاته تتكون شخصيته، ويكتسب أساليب سلوكية وعادات صحية تظل مؤثرة وموجهة لسلوكه طوال حياته .

(٣) الحاجة إلى النوم والراحة :

ليست هناك فى الوقت الحاضر نظرية فسيولوجية كافية تماماً لتفسير الحاجة إلى الراحة (٥:١٢١) . والحاجة إلى النوم والراحة من الحاجات البيولوجية الجوهرية اللازمة لنمو الطفل ؛ فنمو الطفل يكون سريعاً مما يستلزم مجهوداً كبيراً فى عملية هدم الأنسجة وبنائها ، تلك العملية التى تحدث بسرعة وبشدة أثناء بذل النشاط على اختلاف أنواعه .. والنوم من أهم العوامل لتعويض ما أنفق فى هذا المجهود لأنه يريح الطفل راحة تكاد تكون تامة – ففى النوم يقل النشاط إلى أدنى حد ، ويبطئ التنفس والدورة الدموية ، كما ينخفض معدل الأيض ، وبذلك تحفظ الطاقة اللازمة للنمو ،

كما يتم إصلاح مايصيب الأنسجة من تلف .. وبذلك يساعد الجسم على الاحتفاظ بالتوازن من حيث التكوين الكيميائى والعمليات الفسيولوجية .

والزمن الذى ينقضى فى النوم يتناقص كلما تقدم الطفل فى العمر .. فالمواليد الجدد يقضون فى المتوسط ٨٠٪ من أوقاتهم فى النوم ، ٢٠٪ فى اليقظة . وفى الشهور الأولى يقضى الطفل فى النوم فترة مساوية فى المتوسط لفترات اليقظة .. وإن كانت تقل قليلاً فى سنوات الطفولة التالية – ويمكن للأم أو المربية أن تتيح للطفل نوماً هادئاً مريحاً فى ساعات منتظمة، يأخذ فيها كفايته من الراحة التى سوف تساعده على النمو ، وإلا فسوف تضطرب صحته ويشحب لونه ، ويصبح غير قادر على الإفادة مما يقدم له من احتياجات أخرى ..

والفروق الفردية كبيرة من حيث حاجات النوم ، كما أن احتياجات الطفل الواحد قد تتفاوت من وقت إلى آخر ، والواقع أن هناك عوامل كثيرة تؤثر فى خاصية النوم وكميته – ففى الشهور الأولى نجد أن الاضطرابات المعدية أو البلل أو عدم الراحة الجسمية أو الضوضاء قد تعرقل النوم العميق ، وفى السنة الثانية يبدأ الطفل فى النوم بمقدار مايحتاج ، ولايستيقظ إلا بعد أن يشعر بالراحة . ثم يتعلم بعد ذلك النمط السائد فى بيئته المنزلية، فيما يتعلق بأوقات النوم واليقظة .

ولكى تشبع حاجة الطفل إلى النوم والراحة.. فإن على الأم أو المربية أن تراعى مايلى :

(١) بالنسبة لمكان نوم الطفل :

يجب أن يكون متسقاً نظيفاً هادئاً بعيداً قدر الإمكان عن الضوضاء أو الضرر ، وأن تتوافر فيه الشروط الصحية بأن يكون جيد التهوية يدخله الشمس والهواء الطلق ، وألا يتعرض الطفل أثناء نومه لتيارات هوائية ، وأن تكون درجة حرارة الغرفة معتدلة، وأن تحرص الأم أو المربية على أن يكون سرير الطفل جيد الصنع مشدوداً شداً يضمن الوضع الصحى للعمود الفقرى من حيث استقامته وراحته التامة ، وعدم تعرضه للتقوس أثناء نوم الطفل ، وأن يكون خالياً من الرءوس الحادة التى قد تؤدى إلى تمزق أغطية الطفل أو تؤذيه .. وأن تراعى الأم أن يكون ارتفاع سرير الطفل متناسباً مع قامته ، ومن الأفضل أن يبلغ ارتفاع سرير الطفل من ٣–٦ من حوالى عشر بوصات عن أرض الحجرة؛ ليتمكن الطفل من صعوده بسهولة والنزول منه دون مساعدة ، كما يتمكن من تنظيفه وترتيبه .

(٢) بالنسبة لفراش الطفل وملابسه :

يتوقف فراش السرير على إمكانات المنزل ، ولكن يراعى فيه تناسبه مع فصول السنة ، وأن تكون الأغطية نظيفة متينة جيدة تضمن راحة الطفل وتدفئته .. وأن تكون ملابس نوم الطفل مريحة غير ضيقة سهلة الحل والربط.. فإذا ما احتاج الذهاب للحمام تمكن من فكها بسرعة وسهولة ، فلا يتبول دون إرادته أثناء محاولة فكها ..

(٣) مظهر حجرة النوم :

يجب أن يكون المظهر العام لحجرة النوم نظيفاً منظماً منسقاً ، وأن تراعى فيه الشروط الصحية للإضاءة ، ويحسن أن يكون طلاء جدران غرفة نوم الطفل قابلاً للغسيل ليظل نظيفاً أمام عينيه ، ويجب مراعاة رونق الحجرة العام مثل تزيين جدران الغرفة بالصور الجميلة المحببة للطفل ، وتزيين النوافذ بالستائر، التى علاوة على قيمتها الجمالية.. فإنها عندما تسدل تضفى على الحجرة جواً من الهدوء والنعومة، التى تساعد الطفل على النوم الهادئ والاسترسال فيه .

(٤) إعداد الطفل للنوم :

تستطيع الأم أو المربية أن تعود طفلها بعض العادات، التى تساعد على نموه الثقافى كما تساعد على دخوله فى النوم . فبعض الأمهات يدرن للطفل الموسيقى الهادئة عند وضعه على السرير حتى وهو رضيع ليتعود النغم الهادئ المريح الذى كثيراً مايساعد على راحة أعصابه فتيسر له نوماً هادئاً وأحلاماً سعيدة .. وكثيراً من الأمهات يغنين لأطفهالن الرضع قبل النوم . فى صوت هادئ رخيم مع هز هادئ وريت خفيف يساعد الطفل على النوم . وليس هذا فى واقع الأمر سوى سلوكاً يتعوده الطفل ليشب على حب النغم والرغبة فى سماعه ، أو أنه يكون البذور الأولى للثقافة التى تريدها للطفل .. كذلك فإن الطفل الأكبر غالباً ماتحكى له الأم القصص قبل النوم .. هذه القصص التى تدور حول الحيوانات والطيور لتبث قيم المجتمع ، والتى يحتل الخيال فيها مكاناً كبيراً يجعل الطفل يحلق بخياله فى عوالم كثيرة تفتح مدركاته وتنمى ثقافته .

(٥) بالنسبة لعادات النوم :

إن الصعوبات التى تتعلق بالنوم أكثر شيوعاً فى السنة الثانية والثالثة ، وفى أغلب الأحيان تكون هذه الصعوبات نتيجة ظروف النوم أثناء السنة الأولى ، وعادات النوم التى اكتسبها الطفل فى هذه الفترة ..

وينبغى أن تشجع الأم طفلها على الاستقلال فى النوم فى فترة مبكرة ما أمكن ذلك .. فمن الأفضل أن يتعود الطفل النوم فى غرفته الخاصة مع أخ له أو مع مربيته بعد مرور الأسابيع الأولى ، وتكون الأم فى رعايته ، فإذا استيقظ الطفل أثناء الليل بعد آخر رضعة ، ينبغى على الأم أن تلبى نداءه فتحاول أن ترضعه وتخفف عنه وتمنحه الحب والحنان؛ حتى يشعر بالراحة والاطمئنان ولاتتركه لنفسه يصرخ حتى ينام . وفى أغلب الأحيان يبكى الطفل لفترة إذا ترك ، ويستحسن أن ينظم وقت نوم واستيقاظ الطفل ؛ لأن ذلك يساعده على اكتساب عادات النوم الصحيحة ، وكذلك لاينبغى إيقاظ الطفل بصورة مفاجئة ليلاً بالأصوات المفاجئة المزعجة والاضطرابات المختلفة .. وإذا كان الطفل مريضاً أو فى حالة غير طبيعية بسبب التسنين مثلاً : فمن الحكمة أن تذهب الأم فتنام فى غرفة طفلها نفسها لفترة قصيرة ، وبعد أن يستعيد حالته الطبيعية تبدأ فى مساعدته على اكتساب عادة النوم دونها تدريجياً ..

(٦) وفوق ذلك فعلى الأم أن تراعى عدم تعرض الطفل لبلل أو برد أو جوع أو مغص حتى يستطيع أن ينعم بنومه .. فمتى اكتفى الطفل نام على الفور .. وفى هذا الاسترخاء معنى مزدوج ؛ أى تعبير مزدوج عن انقطاع الحاجة الفسيولوجية ، وتعبير عن الأمن النفسى .. فالنوم معناه الكف عن الاحتياج إلى مراقبة البيئة أو السيطرة عليها أو الفعل فيها .. والنوم الحقيقى تتويج لنشاط وصل إلى أهدافه – فإذا أحس الطفل أنه منعزل يناضل ضد البيئة المحيطة به ، لم يتخل عن يقظته ، ولم يغلبه النوم إلا وقد أنهك ، وهو عندئذ نوم هابط النوعية مضطرب غير تام .

وعلى هذا يتضح :

إن الحاجة إلى النوم والراحة تعتبر من أهم الحاجات لنمو الطفل الجسمى ، والتى تساعد على تفتح إمكانات الطفل ، ومن خلال اهتمام الأم أو المربية بهذه الحاجة واهتمامها بساعات نوم الطفل، وبمكان نومه وبتعويده العادات الصحية والصحيحة النوم.. فإنها تكسبه من صغره وتغرس فيه عادات النظام والنظافة والعادات الصحية ، والاستمتاع بالثقافة والجمال .. كما تغرس فيه الاستقلال والثقة بالنفس وعدم الخوف فيشب قوى الشخصية قادراً على الإقدام والمبادأة دون خوف أو هيبة..

(٤) الحاجة للعب والنشاط والحركة :

يلى الحاجات العضوية السابقة الحاجة إلى النشاط والحركة واللعب ، تلك الحاجة التى تنطوى فى إشباعها على لذة للطفل وتجلب له النتائج السارة فى الحاضر

المباشر، ولكن قيمتها له فى المدى الطويل تفوق بكثير هذه القيمة الظاهرة ..

وتنطوى الحاجة للحركة واللعب على فوائد مهمة لنمو الطفل الجسمى ، والعقلى، والانفعالى ، والاجتماعى :

(١) حيث يفيد اللعب والحركة الحساسية الباطنة ممثلة فى أعضاء الحس من حيث العضلات أو الأوتار والمفاصل ، وهى مايسمى بالرياضة الوظيفية لأعضاء الجسم، وهو يبعث الرضا والارتياح فى نفس الطفل لأنه يجعله فى نشاط وفاعلية، كما ينمى الجهاز العضلى ، ويمتد النمو من المجموعات العضلية الكبيرة إلى الصغيرة ، وتساعد اللعب اليدوية على توفير السهولة التى تؤكد التوافق العضلى والعصبى للعضلات الصغيرة ..

(٢) وللعب والحركة والنشاط آثار جسمية تنشأ عن رياضة أعضاء الحس من عينين وذوق وحرارة ولمس وأجهزة الاستقبال السمعية والشمية والإدراكية الحسية .. فكل أثر على أجهزة الجسم يكون جديداً أو غير متوقع – ولكنه ليس شديداً أو مؤذياً للطفل – يعود عليه بمتعة وظيفية وسرور ؛ لكونه خبرة جديدة تضاف إلى سابق معرفتهم وشيئاً طريفاً فى الوقت ذاته .. وتساعد على تنمية مهاراته وإمكاناته ..

(٣) كما أن للنتائج الذهنية التى تأتى من اللعب بالأشياء إلى التلاعب بالأفكار وإدراك العلاقات ما يسهم فى النمو العقلى والذهنى للطفل .

(٤) أضف إلى ذلك أن اللعب والنشاط والحركة الموجهة تشبع حاجة الطفل للاستطلاع والمعرفة والفهم للعالم المحيط به ، وتساعد فى بناء شخصيته الإنسانية بما تؤدى إليه من تنمية روح الإقدام والمشاركة والمبادأة ، وتشبع حاجته إلى الإنجاز والتعبير عن الذات . وذلك له أهميته فى مستقبل حياة الطفل.

(٥) ثم إن اللعب مع الأطفال الآخرين أقدر على إفادة الطفل فى نموه الاجتماعى من اللعب الانفرادى .. وقد يكون تعرض الطفل للخبرات الاجتماعية أثناء سنوات عمره أكثر نفعاً فى تكوينه الاجتماعى والنفسى ، وتغلبه على سلوكه الأنانى .

(٦) ومن الناحية الانفعالية ، فإن هناك نظريات متعددة تحاول أن تفسر اللعب بأشكال متعددة ، مثل : التنفيس عن الطاقة الزائدة ووسيلة من وسائل الاستجمام ، والتعبير عن النفس والتجديد ، وتمثيلها للأنماط المختلفة للعب التى توفر فرصاً عظيمة فى إفادة الطفل الأنانى إلى المشاركة والتعاون أثناء اللعب الجماعى ، ويحتاج الطفل الخجول إلى لعب تنمى مقدرته على خلق الشعور بالثقة .

وسوف نوضح هذه الأهمية للعب والنشاط والحركة ودور الأم أو المربية في إشباع هذه الحاجة العضوية من خلال الاهتمام. ببث روح البحث والاستطلاع والمبادأة، والإنجاز في الطفل عن طريق اللعب وأثناء ممارسته للنشط .

أولاً : إشباع حاجة الطفل للعب وتنمية الرغبة للاستطلاع والمعرفة :

- يمكن للأم أو المربية من خلال النشاط الحر في الشهور الأولى أن تغير للطفل اللعب التي يلعب بها ، أو ينظر إليها من فترة لأخرى لتعوده التمييز والإدراك وتعرف اللعب المختلفة وأشكالها وألوانها ، ويمكن أن تغير مكان الطفل عند إرضاعه فتخرج الأم أو المربية بالطفل إلى الفراندة أو الحديقة، أو إلى غرفة أخرى لتتسع رؤيته وتتعدد خبراته حين يرى ويسمع هذا أو ذاك ..

- وعندما يبدى الطفل استعداداً للمشي يمكن تركه يستخدم «المشاية» فتتيح له فرصة التحرك وهو في وضع آمن نسبياً ، والهدف من «المشاية» ليس مجرد مساعدة الطفل على المشي فقط، بل سوف تساعده على المشي إلى أماكن أكثر ومساحات أوسع ،وبالتالي تزداد حصيلة رؤيته واكتشافاته وخبراته. وتستطيع الأم أن تعطى الطفل بعض اللعب حينما تسمح سنه بالجلوس مع الحبو، على أن تكون هذه اللعب ذات ألوان جذابة وثابتة خالية من النتوءات والأسطح الخشنة، التي يمكن أن تجرح الطفل أو تحدث له أي ضرر ؛ خصوصاً وأن الطفل في هذه المرحلة غالباً مايلجأ إلى وضع كل مايقع تحت يديه في فمه – حيث إن فمه هو المركز الأساسي لاستطلاعه .

- وعندما يتعلم الطفل المشي يتميز نشاط الطفل وحركته بالاندفاع نحو الشيء الذى يجذب انتباهه، غير عابئ بما يبذله من مجهود في حركته المندفعة الدائمة ، فهو لايمكث في مكان واحد فترة طويلة ، كما أن الطفل يكون سريع الجرى ، مخاطراً ، كثير الوقوع لأنه لم ينضج بالدرجة التي تيسر له السير أو الجرى . ويجب على الأم أو المربية أن توفر للطفل لعباً متنوعة وبيئة مثيرة تحتوى على العرائس ، واللعب اللينة المصنوعة من البلاستيك أو القطن داخل المنزل ، على أن تراعى تنوع ألوانها وأشكالها ، وأحجامها ، وأنواعها ، وعليها أن توفر لطفلها أيضاً المكعبات الخشبية المختلفة الأحجام والألوان، وأن توفر له أيضاً بكرات الخيط الفارغة والحلقات ذات الأحجام المختلفة؛ التي يمكن أن يجسها ويمسك بها ويتعرف خواصها ..

والأطفال في فترة ماقبل المدرسة منذ سن الثالثة يظهرون حاجتهم إلى اللعب وتعطشهم إلى النشاط وحب الاستطلاع ، فالطفل لايمل النشاط والحركة المستمرة؛

حيث إن حواسه فى نموها وعضلاته فى ضبطها واتساقها لم تصل بعد إلى درجة الجمال .. لذلك : فإن عمليات رمى الكرة أثناء اللعب والتقاطها أو التقاط أكياس الرمل الصغيرة .. إلخ ، كل ذلك يساعد على تقوية العضلات الدقيقة والأصابع وقبضة اليد .. ويمكن للمربية أن تتيح للطفل الفرصة للمرور بعديد من الخبرات، التى تمكنه من ممارسة السيطرة على الأشياء المادية حوله وكسب المعرفة ، كما تمنحه هذه الخبرات واكتساب القدر المناسب من ضبط النفس والحركة على أن تراعى أن تكون أدوات اللعب مما يجذب انتباهه ويشحذ حبه للاستطلاع ، من ذلك تزويد حجرة الطفل بالكتب المصورة ، وبعض الآلات الموسيقية المناسبة لسن الطفل كالطبلة والرق والبيانو الصغير والأكسليفون .. إلخ .

كذلك تحاول الأم أو مربية الروضة أن تستغل حب استطلاع الطفل وحاجته للنشاط فتدربه على تنمية قدراته من خلال لعبه وتهيئته للمرور بالخبرات المتعددة بتقديم المواد الخام كالصلصال والعلب الفارغة؛ ليصنع منها احتياجاته الخاصة ويشكلها ويستغلها فى رسم خاص به أو زخرفة يريدها للعبه. وفى الروضة توفر للطفل أحواض الرمل والجرادل والرشاشات الصغيرة ، والجاروف ، والأشكال الهندسية المزخرفة ، والماء للزراعة ... إلخ ، وبذلك يستطيع الطفل أن يعبر عن أفكاره ويجسدها ويكتسب المعرفة والمعلومات المفيدة (٢٥:٥٠-٥٢) .

- وفى سن المدرسة الابتدائية، نجد أن الأطفال فى هذا السن مازالوا فى حاجة إلى الحركة المستمرة ؛ حيث إن حواسهم فى نموها وعضلاتهم فى اتساقها لم تصل بعد إلى درجة الكمال . وتستطيع المربية أن تعمل على تنمية عضلات الصغير وتشبع حاجته للاستطلاع والاكتشاف فى إمداده بالكثير من المثيرات الممتعة .. وإذا كان للهواء الطلق والشمس المشرقة أهمية خاصة فى نمو الطفل.. فإن صحة الطفل كثيراً ماتتحسن كلما زدنا أوقات وجوده فى الهواء الطلق، يلعب لعباً حراً سواء كان ذلك فى المتنزهات مستمتعاً بالشمس المشرقة والهواء الطلق أو فى رحلة إلى الريف يكتسب الطفل صحة جيدة ، ويتيح للطفل الوقوف على كثير من المثيرات المتعددة وغير المتوافرة فى بيئة المدينة .. فالطفل يعرف فى دروس العلوم بعض الحيوانات التى تساعد الفلاح مثل البقرة والحمار والجاموسة ، والجمل ، ويرى صور هذه الحيوانات فى كتابه ، ويعرف فوائد لبنها ولحومها وغطاء جسمها .. إلخ ، ولكن كم من أطفال المدينة رأى الجمل على طبيعته ، وقارن بين الجمل ذى السنام والجمل ذى السنامين، وكذلك الطيور صديقة الفلاح التى تلتقط له الديدان من الحقل مثل الهدهد و«أبو فصادة» ، و«أبو قردان» ، وغالباً مايرى الطفل صورتها ويحفظ

بالتلقين فوائدها – وقد يراها فى حديقة الحيوان محجوزة فى أقفاصها .. ولكن لو مر الطفل بخبرة رؤيتها فى الحقل طليقة تقوم بعملها لتساعد الفلاح ، فلاشك أن ذلك المنظر أجدى لتعلم الطفل .. وهذه المثيرات الحية التى يمارس الطفل الحياة معها فى تجواله ورحلاته تزيد معارف الطفل وتثبتها .. ولذلك فعلى الآباء والمربين فى المدرسة أن يتيحوا للطفل الفرصة للتنقل، والخروج إلى رحلات متنوعة إلى الحدائق العامة؛ لاستنشاق الهواء واللعب والجرى الحر أو إلى شاطئ البحر لاستنشاق اليود والتمتع بالجرى والقفز والاستحمام .. إلخ، أو إلى المتاحف أو إلى بعض المصانع أو المعارض لزيادة ثقافته ومعلوماته .

– وتستطيع الأم أو المربية أو معلمو ومعلمات المدرسة استغلال ميول الطفل وهواياته لتزود الطفل بألوان من الثقافة .. مثل هواية جمع الطوابع أو العملات المتنوعة فيجب مساعدته على طريقة الجمع المنظمة وكيفية تبويبها ، وتقدم له الكتب التى تفيده فى هذه الهوايات (٢٥ :٥٣–٥٥) .

ثانياً : إشباع حاجة الطفل للعب والنشاط وتنمية روح الإقدام والمبادأة عنده :

وإذا كان الطفل فى حاجة دائبة للنشاط والحركة، فيجب على الآباء والمربين أن يغرسوا فيه روح المشاركة والإقدام والمبادأة منذ الصغر (٢٤ :٥٠–٥٥) .

– فمنذ الشهور الأولى للطفل يجب على الأم أو المربية أن تهيئ مهد الرضيع بشكل يتيح له اللعب والحركة ، وهو راقد أو وهو واقف ، بمد حبل من طرف السرير إلى طرفه الآخر وتعليق بعض اللعب التى تتدلى من الحبل على أن تكون من المطاط أو البلاستيك اللين ، وأن تكون ذات ألوان زاهية وأحجامها مختلفة وأشكالها متنوعة ، ويا حبذا لو كانت تصدر أصواتاً مختلفة عند هزها أو تحريكها – فيسهل على الطفل تناولها واللعب بها ، وعندما تحرك الأم إحدى هذه اللعب لطفلها غالباً مايستجيب بابتسامة أو ضحكة ، وعندما يسمح نموه بالحركة فسوف يقلد أمه فى هز أو تحريك لعبته بنفسه . وهذه الاستجابة بالتقليد أو بالابتسام أو الضحك من جانب الطفل سوف تدفعه إلى ملاحظة الفروق بين اللعب فى شكلها أو حجمها أو ألوانها أو أصواتها .. وهنا ننبه الطفل إلى التمييز، ونعوده الاستجابة للمثيرات المتعددة ومزاولة التمييز بين المثيرات .

وعلى الأم أثناء تعويد الطفل الإقدام والمبادأة ألا تكثر من اللعب التى تضعها أمامه؛ حتى لاتختلط عليه الأمور ويعجز عن التمييز بل يحسن الاكتفاء بوضع لعبتين أو ثلاث فقط حتى لايعجز عن التمييز بينها ، حيث إن هذا العدد المحدود

من اللعب يتيح له أن يدرك أوجه التشابه والاختلاف بينها .

- وكلما تقدم الطفل فى العمر وبدأ فى النطق نجد أنه فى أثناء لعبه يبدأ فى عرض الأشياء على الكبار ويشعر بلذة كشوفه ويلح فى عرضها على الآخرين ، وعلى أمه أو مربيته أن تشجعه على ذلك ولاتهمل الالتفات إلى كشوفه مهما كانت بسيطة أو تفاهة بالنسبة لها ، بل لابد أن تعطيه اهتمامها وتشعره بأهمية كشوفه مهما كانت بساطتها من وجهة نظرها هى وتنمى لديه الإقدام والمبادأة على كشوف جديدة ، فالطفل قد يطير فرحاً حين يضغط على لعبته لتحدث صوتاً أو يخرج عصور أو كتكوت من صندوق لعبته عند ضغطه عليها .. وعلى الأم أن تشاركه دهشته ومتعته باكتشافه فهى بذلك تساعده على أن يثق بقدرته وإمكاناته وتساعده على زيادة معارفه حين تولى اكتشافاته الانتباه والإدراك والاهتمام - ويجب أن تصحح له أفعاله واستنتاجاته عند الضرورة إذا لاحظت حاجته للمساعدة على ألا تحبط اكتشافاته ..

- ويتميز الطفل أيضاً فى هذه السن بانبهاره بنشاط الكبار ويلح فى الاشتراك معهم رغم عدم اكتمال نضجه - ويمكن للأم أن تستغل هذه الخاصية فى تنمية روح الإقدام والمبادأة فى ذات الطفل إذ تستطيع أن تشركه معها قدر الإمكان .. فإذا كانت فى نزهة يجب أن يتنازل الكبار لمشاركة الطفل لهم فى لعبهم لبعض الوقت، فإن كانوا يلعبون الكرة أو الشطرنج أو الدومينو .. إلخ فلابأس من إشراك الطفل معهم على أن تستغل هذه الرغبة فى تعليمه التحصيل اللغوى بأن تعلمه أسماء الأشياء التى يلعب بها أو يعرف ألوانها وطريقة مسكها إلخ .

ثالثاً : إشباع حاجة الطفل للعب وتنمية حاجته للإنجاز والنجاح :

- مادام الطفل قد أبدى روح المبادأة والإقدام ، وأظهر رغبته فى المشاركة الفعالة فى البيئة المحيطة به ، فيمكن للأم أن توفر للطفل المثيرات البيئية المتنوعة التى تجعل الطفل يستمتع بلعبه ذات الأشكال والأحجام المختلفة فتوفير المكعبات الخشبية ، وبكرات الخيط الفارغة ، والحلقات ذات الأحجام المختلفة .. إلخ ، كل ذلك يساعد الطفل على ابتكارات للعب يحتاجها ، وتوفير بعض الخامات من الورق الملون والأبيض وغيره يساعد على نمو خبرات الطفل حتى إن لم يصنعها فيمزقها - المهم ألا نثور لتمزيقه إياها ، وأن نوفر له بعض الأقلام الملونة وأن تجلس معه وتشاركه فى لعبه بعض الوقت .. وقد يلاحظ الطفل أمه أو مربيته وهى تثنى الورق لتصنع له مركباً أو طائرة .. وقد يلاحظها ويتعلم منها ، وقد تنبهه إليها ..

المهم أن يمر من خلال لعبه الحر المستقل أو لعبه الذى يقلد به من حوله من الكبار بخبرات تساعد على نموه، حتى وإن لم يحسن استعمال الخامات فإنه قد يخطئ، ثم ينجح بعدها وهكذا يجد قدراً كبيراً من اللعب التى تستهويه .. وقد ينجذب الطفل إلى المكعبات الخشبية فيأخذ فى رصها متجاورة أو قذفها بعضها ببعض أو فى تكوينها أو إرجاعها إلى مكانها ثم إعادة رصها .. إلخ ، وهنا يجب على الأم أن تشجع طفلها على اللعب بلعبه، وأن تجذب انتباهه لمزاياها وتظهر له مدى نجاحه فى كل مايقوم به من أعمال (٢٤ :٥٩-٦١) .

- والطفل الأكبر فى سن الثالثة : يكون أكثر قدرة على ضبط نشاطه الحركى الدقيق. ومن مظاهر ذلك : قدرته على تناول الكوب بيديه والإمساك بالملعقة واستعمالها بسيطرة أكبر ، كما يستطيع الإسهام فى لبس بعض ملابسه وخلعها بنفسه ، وفى أثناء لعب الطفل تشاركه الأم فى بعض الأنشطة الحركية التى تشعره باللذة، وتتيح له مزيداً من النضج وقدراً من المهارة، وتولد لديه الرغبة فى الإنجاز والعمل كأن تشركه فى جمع ورق الشجر من الفراندة أو من حديقة المنزل (إن وجدت) ، كما تستطيع أن تجعله يسقى الزرع الموجود فى قصارى الزرع بمنزله بواسطة رشاش صغير ، وأن ترشده كيف يخدم الزرع ويحافظ عليه ويتعود النظام فى عمله - وذلك كله ليس إلا لوناً من ألوان السلوك المرغوب، لو تعودها الطفل من صغره لشب عليها ..

كذلك يجب أن يراعى لإظهار الرغبة فى الإنجاز لدى الطفل فى هذه المرحلة أن يكون تصميم حجرته الخاصة وبعض أدواته ولعبه من إنتاجه الخاص بالمشاركة مع أمه ؛ حتى يشب قادراً على العمل والإنتاج والخلق والابتكار، ومن الأشياء التى يستطيع الطفل صنعها وتنظيمها أو المحافظة على نظافتها: أدوات لعبه ، دولاب ملابسه ، المنضدة التى يأكل عليها ويلعب عليها .. إلخ، بحيث تتيح للطفل المشاركة الفعلية فى العمل والتنظيم، حب النظام والنظافة ..

- ويمكن للأم أو المربية أن تساعد الطفل على الإنجاز بتعويده استخدام الصلصال فى صنع بعض أدوات لعبه ، فتقوم الأم بصنع برتقالة أو كرة أمامه، وتطلب منه أن يستخدم الصلصال ليصنع الشكل الذى أمامه ، أو يحدد بنفسه الشكل الذى يريد صنعه .. ويمكن إرشاده إلى زخرفة الشكل، الذى صنعه بنفسه أو تركه يزخرفه حسب رؤيته وخياله ، فلو صنع من الصلصال برتقالة مثلاً يمكن إرشاده إلى عود الثقاب ليصنع به مسام قشرة البرتقالة ، ثم يستغل عود الثقاب كعنق للبرتقالة ،

المهم أن تتركه يفعل مايشاء فى حرية، ثم تلفت نظره فى النهاية إلى الأشياء الصغيرة التى لم ينتبه إليها لتعوده الملاحظة .

- ويمكن للأم أو المعلمة فى المدرسة الابتدائية أن تساعد الطفل على الإنجاز والإحساس بالنجاح مستغلة حبه للحركة واللعب وحاجته للنشاط ، فتدفعه إلى التمثيل الحر التلقائى الذى يميز هذه السن ، وتستطيع أن تجعل الطفل يقوم بتدريبات بدنية مختلفة عن طريق اللعب الحر والتمثيل الحر المعبر، الذى كثيراً مايجد فيه الطفل لذة كبيرة وتسلية عظيمة ؛ حين يقوم بتمثيل أدوار مختلفة كرجل شرطة يمسك لصاً . ومن هنا يمكن تزويد الطفل بثقافة حول دور الشرطى وواجبات المواطن وعقاب من يخالف النظام وآثار ذلك على الفرد والمجتمع ، وحين يقوم بدور الأب تستطيع المربية أن توجهه إلى واجب الصغير نحو الأب واحترام الصغير للكبير .. إلخ ، أما حين يمثل الطفل دور المعلم فيمكن للمربية أن تزود الطفل بدور المعلم وواجبات التلميذ .. وهكذا ، وحصيلة ذلك كله بناء شخصية الطفل ، وتعرف أدوار من يتعامل معهم فى البيئة فتزداد معرفة الطفل بأساليب التعامل مع الآخرين، من خلال تمثيل مكاناتهم وأدوارهم فى الحياة الاجتماعية العامة .

- كذلك .. فإن المربية تستطيع أن تستغل حاجة الطفل للحركة ، وميله الطبيعى للموسيقى فى مساعدته على الشعور بالإنجاز والنجاح .. فتشجع الأطفال على الرقص الإيقاعى المصحوب بالموسيقى ، وهذا النوع من النشاط يساعدهم على إزالة التوتر ، ويساعد على النمو الحركى بصفة عامة، وتناسق الحركات وتكوين الأذن الموسيقية ، وتعويده عادات وآداب الاستماع للموسيقى واحترام العمل الفنى الموسيقى والانتباه له ، فى ظل مراعاة الآداب الاجتماعية فى الأماكن العامة .. ولاشك أن هذا سوف يخلق مواطناً يذهب إلى السينما أو المسرح أو دار الأوبرا أو الباليه ، ويجيد الاستماع والرؤيا للأعمال الفنية .

وهكذا يتضح ..

أن الحاجة للنشاط والحركة واللعب تعتبر من الحاجات العضوية المهمة، التى تساعد على النمو الجسمى للطفل، وتؤدى إلى إشباع حاجات أخرى ترتبط باللعب والحركة والنشاط المختلف، مثل: الحاجة إلى البحث والمعرفة والاستطلاع، والحاجة إلى الإنجاز والنجاح ، وبناء الشخصية التى تتميز بالمشاركة والمبادأة والإقدام .. تلك الشخصية المطلوبة فى جيل الصغار الذين هم كل المستقبل .

الفصل السادس

حاجات النمو العقلى

(١) الحاجة إلى البحث والاستطلاع :

(أ) تنويع المثيرات أمام الطفل .

(ب) توسيع بيئة الطفل .

(جـ) استخدام خامات البيئة فى أدوات ولعب الطفل .

(د) تشجيع هوايات الطفل .

(٢) الحاجة إلى تنمية المهارات العقلية :

(أ) الإدراك .

(ب) التذكر .

(جـ) التفكير .

(٣) الحاجة إلى اكتساب المهارة اللغوية :

(أ) تدريب الطفل على الاهتمام بما يعرض عليه من أحاديث .

(ب) مناقشة الطفل للوصول إلى المفاهيم والحقائق العلمية .

حاجات النمو العقلى

يقاس النمو العقلى عادة باختبارات الذكاء .. باعتباره قدرة عقلية عامة لها مظاهر تمر فى مدارج ومستويات ، وعلى الرغم من تقارب وتداخل مظاهر نموها فإنها تنطوى على استعدادات ومهارات خاصة : كاستخدام اللغة والرموز المجردة الأخرى بتفهم وإبداع ، وإدراك العلاقات بين الأشياء وتعلم المفاهيم الجديدة مع الاحتفاظ بما تعلمه المرء وتذكره ، وفى هذا كله من المعرفة كمعلومات : المهارة كموهبة وتدرب ، والذاكرة كتخزين وتعلم مايمكن أن يكون فى مجموعه هو الذكاء (١٥:١٦٩) .

ويمكن أن نقول إن الطفل الصغير يتعرف العالم الخارجى وبيئته فى أولى مراحل عمره من خلال حواسه باعتبارها منافذه إلى المعرفة والثقافة . ويطلق على هذا المظهر المستوى الحاس الإدراكى ؛ أى إن الطفل يدرك ويعرف الأشياء من خلال حواسه .. ثم يأتى بعد ذلك مستوى العمليات الارتباطية ويقصد بها قدرة الطفل على التذكر واسترجاع الصور الذهنية التى مرت به، سواء كانت هذه الصور سمعية أو بصرية أو غيرها من الصور الأخرى التى مرت به فى ماضيه إلى حاضره الراهن الذى يعيش فيه .. أى إن التذكر عملية تربط وتصل ماضى الطفل بحاضره ويقيم منهما علاقات مختلفة تساعد الطفل على النمو .. ثم يأتى بعد ذلك المستوى الأخير وهو مستوى العلاقات : الذى ينطوى على مهارات التفكير وعملياته والوصول إلى حلول للمشكلات مروراً بسلسلة متتابعة لمفاهيم رمزية أو معانٍ محددة ..

لذلك : فعند قياس النمو العقلى إنما يقاس باختبارات الذكاء كقدرة عقلية عامة، ويشمل ذلك خمسة أنواع من الاختبارات ، هى :

(١) اختبارات ذاكرة : وتشمل القدرة على تذكر الأعداد ، والجمل والمقام .

(٢) مستويات تحصيل دراسى : قراءة ، تلخيص ، حساب .. إلخ .

(٣) قدرة لفظية : اختبارات مفردات وفهم ، وتعبير ، ووصف ، وتعريف ، واستدلال، وتداعى ألفاظ ، وتصنيف كلمات .

(٤) معلومات عامة وفهم مواقف عقلية : متشابهات ، تفسير ، مشاكل واقعية ،

مقارنات جمالية وتذوقية .

(٥) أحكام عملية : مهارات يدوية ، استقراء ، ابتكار . (١٦: ٤٢١) ومن هنا :

فإن مساهمات الطفل الفعالة وعدم حفظ نتائج وحلول جاهزة يساعد على نموه العقلى .. ويتم ذلك من خلال مشاكله اليومية .. ولذلك فعند الحديث عن حاجات الطفل الخاصة بالنمو العقلى ، سوف نركز على ثلاث حاجات، هى :

(١) الحاجة إلى البحث والاستطلاع .

(٢) الحاجة إلى تنمية المهارات العقلية .

(٣) الحاجة إلى اكتساب المهارة اللغوية .

من خلال الأنشطة التى يمكن عن طريقها تثقيف الطفل ومساعدته على النمو العقلى ..

وفيما يلى سوف نعرض هذه الحاجات ..

(١) الحاجة إلى البحث والاستطلاع :

ينمو حب الاستطلاع عند الطفل منذ الشهر السابع تقريباً ويزداد مع تقدمه فى العمر .. ويبدو ذلك فى محاولات الطفل لاختبار كل مايقع تحت يديه ، فكثيراً مانلاحظ الطفل يحاول أن يقبض على أشياء بيديه ويتفحصها ، وكثيراً مانراه يتطلع إلى الأشياء بعينيه ويتتبعها.. والواقع أن الطفل يحاول بهذا السلوك أن يتعرف كل شىء جديد فى بيئته ويحاول أن يختبره (٢١: ٢٠) كما أن لعب الطفل المبكر ، وتناوله لكل ماحوله ومايقع تحت بصره ويديه وبحثه هنا وهناك ، وتنقيبه فيما تحت يديه أو حوله ... إلخ ليس إلا إشباعاً لحاجته إلى المعرفة والبحث والاستطلاع ، وليس إلا رغبة فى وجود معنى لما حوله ، واكتساب المعارف والمهارات الأساسية لحياته . ويرى «مكدوجل» أن الذى يجعل الطفل يعبث فيما حوله من أشياء هو حب الاستطلاع (٦: ١٧٢) ، كما أن الطفل يكتسب معلوماته ، وتنمو معارفه عن طريق خبراته التى يمارسها بنفسه؛ نتيجة استعماله لعضلاته أو عن طريق حواسه المختلفة التى تعتبر أبواب المعرفة للأطفال (١٣: ١٧٢) .

هذا .. وتستطيع المربية أن تستغل الحاجة إلى البحث والاستطلاع عند الطفل من أجل نموه العقلى والمعرفى ، وأن توجه رغبته فى استكشاف ألوان متعددة من الثقافة ، وأن تشجعه على الاستفسار ، وأن تتركه يسمع ويرى ويتذوق ويشم ويحس ويفك لعبه ويركبها ويختبرها ... إلخ .

ويتم ذلك من خلال :

(أ) تنويع المثيرات أمام الطفل .

(ب) توسيع بيئة الطفل .

(جـ) استخدام خامات البيئة فى أدوات ولعب الطفل .

(د) تشجيع هوايات الطفل .

وسوف نتناول كل جانب من هذه الجوانب بشىء من التفصيل ..

(أ) تنويع المثيرات :

وهذا يعنى ضرورة توفير مثيرات متنوعة واسعة للطفل؛ حتى تتيح له إمكانات التعجب والتساؤل والفحص والتجريب والتفكير والبحث والاختبار والملاحظة .. إلخ .

ويتم ذلك من خلال :

- توجيه أنشطة الطفل إلى المواد والأدوات التى يستخدمها والمتوافرة له مثل اللعب ، والعرائس ، والكتب ، والخرائط ، والكرات الأرضية ، والجداول الرياضية ، وسلاسل ألعاب تعليمية ، وأدوات المهن المختلفة كأدوات الطبيب والمهندس والنجار ... إلخ، كذلك يعتبر اللعب الحر من أفضل الطرق لإكساب الطفل ثقافة مجتمعه وخبراته .

وتستطيع المربية أيضاً أن توجه الطفل إلى المثيرات الطبيعية التى تعتبر كتاباً مفتوحاً للطفل ، وفيها مادة غزيرة يمكن أن تأخذ منها المربية كأن تلفت نظر الطفل إلى اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الفصول ، وتقلب الجو ، وتنوع النباتات والطيور والحيوانات والحشرات والأرض والسماء .. ومابينهما ... إلخ .. كل هذه مصادر مثيرة لتزويد الطفل بخبرات لاحصر لها، يمكن أن تساعد على النمو العقلى المتكامل .

- كما أن المجتمع نفسه بمختلف مؤسساته يمكن أن يكون مجالاً للمثيرات والخبرات اللازمة لنمو الطفل وإشباع حاجته إلى البحث والاستطلاع والمعرفة : فالمسجد والكنيسة ، والأعياد الدينية ، والملاعب ، والنوادى والسينما ، والإذاعة ، والتليفزيون، ومسرح العرائس ، والصحف والمجلات .. إلخ ، يمكن أن تكون مجالاً لخبرات لاحصر لها تساعد على نمو الطفل ..

هذا .. وبقدر مايقدم للطفل من مثيرات، بقدر مايتمكن من عمل استجابات صحيحة بعد توجيهها فتتكون ثقافته وتتحدد معالم شخصيته .. ولذلك فالطفل يحتاج

إلى المثيرات التى تشبع حاجته إلى المعرفة وتزوده بالخبرات الاجتماعية والتاريخية، وتعمل على تثقيفه ونموه ، ولاشك أن حرمان الطفل من المثيرات فى سن مبكرة يعتبر حرماناً من العوامل المساعدة على النمو ، وحرماناً لأعضائه وحواسه من أداء وظائفها.. وعلى هذا .. فإن تشكيلة المثيرات التى تحتويها بيئة الطفل تساعده على النمو من خلال استطلاعه وبحثه فيها، وقد أثبت أغلب الدراسات أن بيئة الطفل الغنية بالمثيرات المتنوعة تساعد على نموه وإثراء ثقافته (٢٥ :٧-٩) .

(ب) **توسيع بيئة الطفل :**

وتستطيع الأم أو المربية أن توجه نزعة الطفل وحاجته إلى البحث والمعرفة والاستطلاع فى تعليمه وإكسابه ثقافة مجتمعه وتنمية خبراته ، من خلال توسيع بيئته التى يعايشها، ويتم ذلك عن طريق :

(أ) اصطحاب الطفل فى نزهات وجولات ورحلات ، من هذه الجولات مثلاً نجد :

- أن نزهة إلى بعض الحدائق يجرى فيها الطفل وينط ويقفز ويتسلق فى حرية – يكون الهدف منها زيادة حصيلته بالخبرات الجديدة والمفاهيم العلمية الصحيحة وتصحيح معلوماته القديمة أثناء استفساره عن الأشياء ، وفى تعبيره عن ذاته ، ويمكن أن تكون هذه الجولات أداة لتعويد الطفل العادات الصحية والاجتماعية السليمة كعدم قطف الزهور أو قطع الشجيرات أو إتلاف الأحواض والمزروعات .. إلخ . وتستطيع المربية كذلك أن تصطحب الطفل إلى أحواض الزراعة فيرى بعض المزروعات والحبوب وكيفية بذرها وسقيها .

وإن لم تتوافر رحلة إلى الحديقة .. فيمكن أن تتم عملية الزراعة فى المنزل فى طبق مغطى بقطعة من القطن المبلل، على أن تجعل الطفل يكتشف بنفسه من خلال رعايته للزرع : أهمية الهواء والحرارة والماء – بالنسبة لنمو النباتات إلخ .

- وكذلك اصطحاب الطفل إلى حظائر الطيور والحيوانات المنزلية ، وتقديم الحبوب لها وجمع البعض منها (الدجاج والبط ..إلخ) وتنظيف الحظيرة .. إلخ .

- كذلك.. فإن اصطحاب الطفل إلى الشاطئ حيث يلعب ويجرى ، ويحفر فى الرمال بالجاروف ، ويبنى من الرمال بيوتاً وهو فرح مسرور .. كل هذا يساعد تفتح الطفل على خبرات جديدة ، ويمكن توجيه الطفل من خلال هذه الخبرات إلى الفرق بين ماء البحر وماء النهر – أو لماذا لاتثبت مبانيه على شاطئ البحر كما تثبت المنازل الحقيقية فى الشوارع ... إلخ .

- ثم إن زيارة إلى حديقة الحيوان : لو أُحسن توجيه الطفل فيها.. فإنه يكتسب خبرات جديدة ، ويتعلم بعض المعارف عن الحيوانات المختلفة وأنواعها وغطاء جسمها وألوانها ، وأين تعيش ، وماذا تأكل .. إلخ ، كما يتعرف الطيور وأنواعها وأشكالها وألوانها .. إلخ .

- كما أن مشاهدة رواية بالسينما ، أو رواية مسرحية .. كل ذلك ينشط رغبة الطفل ويشبع حاجته إلى البحث والمعرفة ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال أسئلته والإجابة عنها ، أو من خلال توجيه أسئلة إليه ليقارن ويميز ويدرك ويفهم ..

- ثم إن الرحلات المتعددة إلى المتاحف والآثار يمكن أن يتعلم الطفل من خلالها الكثير من المعارف ، ويمر بعديد من الخبرات فيعرف تاريخ بلده وحضارتها التى سبقت العالم كله ، ومالها من أمجاد تجذب إليها السائحين من جميع بلدان العالم ، ويتعلم القيم الفنية والجمالية والقومية، من خلال تعويده المحافظة على آثار بلده، فينمو الطفل عاشقاً لتراث بلده محافظاً على الآثار فلا يتلفها أو يرسم عليها أو يخربها لما لها من قيمة فى نظره ..

(ب) ومن ناحية أخرى .. فإنه يمكن توسيع بيئة الطفل أيضاً عن طرق تعريفه بمظاهر الحياة الاجتماعية ، ومافيها من علاقات ومراسيم من خلال مشاركته فى أكبر قدر ممكن من الأحداث الاجتماعية ، وتعريفه بنظم وتاريخ وحياة الناس والعلاقة بينهم عن طريق مشاركته لهم فى الأحداث والمراسيم الاجتماعية الخاصة بالزواج ، والمآتم ، وأعياد الميلاد ، وسبوع المولود ، والأربعين ، والمولد النبوى الشريف ، وليلة رأس السنة الهجرية والميلادية ، وعيد الأضحى وعيد الفطر – ويمكن أن يعرف مانوع كل احتفال ومايصاحبه من مشاعر ، وكيفية الاحتفال بكل مناسبة ، وماذا يلبس الناس فى كل مناسبة ، وماذا يأكلون ، وكيف يعبرون عن مشاعرهم فى كل مناسبة .. إلخ . كل هذه الأحداث الهدف منها توسيع بيئة الطفل ، وتوسيع كمية المعارف من خلال مروره بخبرات الأحداث اجتماعية أو تاريخية أو قومية ...

وهكذا يمكن استغلال كل ذلك من أجل تنمية حب المعرفة لدى الطفل .. تلك المعرفة التى تساعد على نموه ونضجه وانفتاحه على ثقافة مجتمعه وتشربها .

(جـ) استخدام خامات البيئة فى أدوات الطفل :

تستطيع الأم أو المربية أن تستغل كثيراً من خامات البيئة فى أوجه نشاط الطفل المختلفة وألعابه المتنوعة بما يثرى ثقافته ويشبع حاجته للبحث والمعرفة والاستطلاع.. من هذه الخامات :

- متخلفات البيئة : وهذه يمكن الحصول عليها بثمن زهيد جداً، أو ربما دون ثمن على الإطلاق مثل المستهلكات ، والفوارغ ، وربما بقايا الجلود وريش الطيور .. وغيرها من متخلفات المنزل .. هذه الخامات يمكن أن يستغلها الطفل ويستفيد منها وينمو من خلالها ، ويشبع حاجته إلى المعرفة والاستطلاع : فلو تركنا بعض هذه الخامات للطفل لقام باستغلالها خير استغلال، وصنع منها كل احتياجاته من اللعب التى قد لاتخطر على بال الكبار.. فهذا كوب زبادى يستغله مرة لعمل تليفون وأخرى كحوض سباحة ، وثالثة كحوض لإنبات الزرع ، ورابعة ... إلخ .

- ويجب على الأم أو المربية أن تقوم بتقديم خامات البيئة للطفل من الصلصال ، والورق ، والألوان ، والحبال ، وحبات الخرز ، والخيط ، والقطن ، والريش ، والقواقع، والمسامير ، وتذاكر السفر المقواة ، وعلب الكرتون الفارغة مختلفة الأشكال والأحجام والألوان ، صمغ ، أقمشة ، علب بلاستيك فارغة ونظيفة ، حبوب ، مكرونة لها ثقوب ، طلاء ، صابون ، حيوانات محشوة ، كتب وقصص مصورة ، ملابس تمثيل للبنين والبنات ذات ألوان مختلفة، وتمثل أزياءً قومية لشعوب مختلفة (أو لمحافظات مختلفة) ، عرائس متحركة ، دمى فى مختلف الأحجام والأشكال والألوان تمثل الأجناس المختلفة ، ملابس للدمى ، أثاثات منازل صغيرة ، صندوق يحتوى على أدوات مهن مختلفة مثل أدوت نجار (منشار - فارة - قدوم - مسامير) ، أدوات تاجر (موازين - مكاييل) ، أدوات بقال ، حداد ، ساعى بريد ، طبيب ... إلخ ، ألعاب تمثل محلات تجارية كمحل الفكهانى (فواكه وخضروات من البلاستيك) ، مجسمات خشبية ، أدوات قياس (كالمتر والمسطرة .. إلخ) ، حبوب للزرع والإنبات ، أوانٍ لإنبات الحبوب.. إلخ.

هذه الأدوات والألعاب المصنعة من خامات البيئة ، والتى تمثل جزءاً من حياة المجتمع تساعد الطفل على اللعب بها ، أو تصنيعها لسد احتياجاته من اللعب بدلاً من شرائها ، كما أنها تساعده على نمو عضلاته ومهاراته اليدوية من ناحية أخرى، وتساعده على التنفيس عن مشاعره ومعايشة حياة المجتمع الذى يحيا فى وسطه ، كما تساعده على المشاركة فى الخبرات والتعبير عن نفسه وتقمص الأدوار

الاجتماعية المختلفة من خلال اللعب ... إلخ . وكل ذلك يثرى ثقافة الطفل ويشبع حاجته للمعرفة والاستطلاع .

- كذلك يمكن للأم أو المربية أن تعطى للطفل مجموعة من صور الحيوانات المرسومة على الورق الملون ، ثم مجموعة من خامات البيئة، وتطلب من الطفل استغلالها لتغطية جسم الحيوان الذى بين يديه ، وذلك سوف يطلق خيال الطفل لابتكار وصنع غطاء لجسم الحيوان من الخامات التى بين يديه .. فغطاء جسم القط يختلف عن غطاء جسم الخروف ، وعن غطاء جسم الأرنب .. إلخ . فنجد الطفل يستخدم القطن لغطاء جسم الأرنب ، وربما بعض الورق الملون فى دوائر صغيرة ليغطى السمك ، وقد يستخدم الريش لغطاء جسم الدجاجة .. وهكذا .

كل ذلك له أثره الفعال فى تنمية ثقافة الطفل، وإشباع حاجته للبحث والاستطلاع وتزويده بالمعرفة .

(د) تنمية هوايات الطفل :

تستطيع الأم أو المربية كذلك إشباع حاجة الطفل إلى البحث والمعرفة والاستطلاع بتشجيع هواياته المختلفة، مثل :

- هواية جمع الطوابع المختلفة : وتقوم الأم بتفسير الصورة ، أو الرسم التذكارى الموجود على الطابع ، أو الحدث المصاحب لصدوره .

- وهواية جمع النقود من نوعيات مختلفة ومن أقطار متعددة : ويمكن من خلال ذلك أن يعرف الطفل نبذة عن القطر الذى يجمع نقوده، والعملة الرئيسية لهذا القطر وتاريخ العملة .. إلخ .

- كذلك هواية جمع الصور النادرة وماتدل عليه ، وهواية جمع الأجسام النباتية (أوراق شجر ، جذوع نباتات ، زهور .. إلخ) .. فإن كل جسم نباتى يختلف عن الآخر .. المهم أن نساعده على التمييز وإدراك التشابه والاختلاف بين مايجمعه ..

- كذلك جمع صور وأجسام حيوانية (ريش ، فراء ، جلد ، وتحنيط مايتمكن من جمعه من طيور أو حيوانات .. إلخ) وجمع الفراشات الملونة وتحنيطها .. كل ذلك له أهميته فى معرفة الطفل شيئاً عن كل مايجمعه : كيف يعيش ؟ وأين يعيش ؟ وماذا يأكل ؟ ومافوائده ؟ وما مضاره ؟ ... إلخ .

- ويمكن أيضاً للأم أو المربية أن تنمى هوايات الطفل الأخرى : كالتصوير والرسم ، والزخرفة ، والعزف .. وتناقشه فى هواياته وتشجعه وتعلمه وتستمتع معه بعض

الوقت وقد تشاركه فى هواياته ، وبذلك تنمى فيه حب الجمال والتذوق الفنى، وفى الوقت نفسه تشبع حاجته إلى البحث والاستطلاع والمعرفة وتثرى ثقافته الفنية .

ولاشك فى أن مرور الطفل بكل هذه الخبرات الموجهة سوف يساعده على تذكر ولو بعض الحوادث ، والتمييز بين المواد ، وإدراك الفروق بين كل مابين يديه من أدوات ، ومايمر به من خبرات ، وسوف يساعده على الاستنتاج من خلال تكرار الأحداث ونتائجها .. باختصار سوف تعمل هذه الخبرات على مساعدة الطفل على النمو المعرفى والعقلى ..

(٢) الحاجة إلى تنمية المهارات العقلية :

تستطيع الأم أو المربية أن تستغل مشكلات الطفل اليومية فى تعلم الطفل وتزويده بخبرات متعددة، تساعد على نموه العقلى وتنمية مهاراته العقلية فى مجال :

(أ) الإدراك .

(ب) التذكر .

(جـ) التفكير .

وذلك بترك الطفل يحل مايقع فيه من مشكلات ، وأن يستخدم النتائج التى وصل إليها بنفسه فى مواقف أخرى مماثلة .. ويتضح ذلك فى عرضنا للعمليات العقلية السابقة ..

(أ) الإدراك «Conception» :

الإدراك هو وسيلة الكائن للاتصال بالبيئة المحيطة به وتعرف حقائقها، وهو عملية طبيعية يقوم بها الكائن عن طريق ماهو مزود به من إمكانات فطرية .. فالطفل يولد وهو مزود بخلايا عصبية مختلفة مرتبطة بحواسه، تقوم باستقبال مثيرات العالم الخارجى بمجرد خروج الطفل إلى العالم، وتستمر هذه العملية مدى الحياة مادام الفرد يعيش ويتحرك فى البيئة المحيطة به فتنقل الخلايا الخاصة عند الإنسان صوراً وإحساسات مختلفة هى المادة الخام للنشاط العقلى البشرى – ولهذا يقال : إن الحواس هى أبواب المعرفة الأولى ...

وإذا كان من المعروف أن الخلايا الحاسة تتركز فى حواس خمسة ، فإنه قد ثبت أن الخلايا الحاسة أكثر انتشاراً من هذا، فيمكن على سبيل المثال أن نذكر بعض الإحساسات التى تنقل إلى الفرد بواسطة الخلايا الحسية ، من ذلك :

(١) إحساسات ضوئية وتنقل عن طريق البصر .

(٢) إحساسات صوتية، وتنقل عن طريق السمع .

(٣) إحساسات توازنية ، وتنقل عن طريق الأذن الوسطى، ومابها من سائل يتأثر بتحريك الرأس .

(٤) إحساسات كيميائية ، وتنقل عن طريق أطرف الخلايا العصبية المنتشرة فى الفم والأنف .

(٥) إحساسات اللمس والضغط، وتنقل عن طريق أطراف الخلايا العصبية المنتشرة فى الجلد .

(٦) إحساسات حرارية، وتنقل عن طريق سطح الجلد .

(٧) إحساسات عضلية، وتنقل عن طريق أطراف الأعصاب فى العضلات .

فالإدراك إذاً عملية نفسية يفسر بها العقل الإحساسات التى ترد إليه من تنبيهات أجهزة الحس ؛ إذ تقتصر عملية الإحساس على مجرد تلقى عضو الحس للتنبيه ، ولكن الإحساس كانطباع بالصورة الحسية يلزمه بعد ذلك التفسير وإعطاء معنى للمحسوسات كى تصبح مدركات .. أى تجاوز الآليات الفيزيولوجية (التى هى أداء أجهزة الحس لوظائفها) إلى عملية الإدراك النفسية التى تحول التنبيه لفكرة أو تصور ثم إلى مفهوم «Concept» يدرك عقلياً (١٥:١١١) .

لذلك.. يجب على الأم أو المربية أن تتيح للطفل الحرية ليلعب ، ويلمس ، ويمسك، ويتذوق ، ويقذف ، ويختبر كل مايقع تحت يديه من الأشياء ، مادام لن يصاب بأذى فى اختباراته وتجاربه لمثيرات البيئة ، وأن تضع فى محيط الطفل كل مايساعد على تنمية إدراكه من خلال مثيرات البيئة البصرية والسمعية ، واللمسية ، والشمية ، والتذوقية .. إلخ .

- فبالنسبة لحاسة البصر : تطلب الأم أو المربية من الطفل أن يميز بين الأشكال والألوان ، والأحجام الخاصة بالأشياء المختلفة ومواد صنعها حتى يدرك خواصها ، ويستطيع بذلك أن يميز بينها ويعرف الفروق بين الأشياء، ويكون لكل شىء صورة ذهنية مدركة يستطيع أن يستدعيها عندما يرى هذا الشىء فيما بعد ..

- وبالنسبة لحاسة السمع : تستطيع الأم أو المربية أن تجعله يميز بين الأصوات المختلفة فيكون لكل صوت معنى خاص به «إدراك»، فيعرف صوت إغلاق الباب والشباك ، ويميز بين صوت البيانو والأكسليفون .. يميز بين الصوت الجميل

والصوت القبيح ويميز بين صوت صرير الماء ، وغيره من أصوات .. يميز بين أصوات الأفراد المختلفين ، وأصوات الحيوانات المختلفة بحيث يكون صورة ذهنية مرتبطة بكل شيء من ذلك .

- وعن طريق حاسة اللمس : يستطيع أن يكون صورة ذهنية لما يلمسه من أشياء فيعرف أن بعضها له ملمس ناعم أو خشن ، ويفرق بين الأشياء المستديرة أو المستطيلة حتى دون أن ينظر إليها .. وتستطيع المربية أن تساعد الطفل فى تكوين صورة ذهنية للأشياء من خلال إثارة الطفل للتمييز بين الأشياء كأن تصنع للطفل مثلاً مجموعة من الحبوب فى أكياس مغلقة، وتطلب منه أن يلمس كل كيس ويحاول أن يتعرف مابداخله ، فهذا فول ، وهذا أرز وهذه مكرونة ، وذاك لوبيا .. إلخ . وهو يستطيع أن يسمى كل شيء بالكيس باسمه، بعدما تكونت لديه صورة عقلية تمكنه من إدراك مابداخل الكيس ..

- وعن طريق حاسة الشم : يستطيع الطفل أن يميز المأكولات فيعرفها من رائحتها دون أن يراها .. فهذه رائحة كعكة وضعتها الأم فى الفرن ، وهذه رائحة شواء على النار .. إلخ ، ويميز الروائح الذكية من الروائح الكريهة ، وحتى الروائح الذكية يستطيع التمييز بينها - فهذه رائحة فل ، وتلك رائحة ياسمين ، وهذه رائحة قرنفل .. إلخ ، ويعرف أن هذه رائحة خل وهذه رائحة حامض، وهذه رائحة ثوم أو بصل .. إلخ . وذلك التمييز للروائح المختلفة وإطلاق اسم لكل رائحة إنما لأن هذه الرائحة قد تكون لها معنى عقلى مدرك، يستطيع أن يتذكره عندما يشم الرائحة .

- وعن طريق حاسة التذوق : يستطيع الطفل تمييز المالح من العذب من الحامض من حلو المذاق .. إلخ .

معنى ذلك : أن الإدراك الحاسى يتكون عند الطفل فى البداية عن طريق حواسه، ثم تنتقل هذه الإحساسات إلى مركز الإدراك فى المخ الذى يميز هذه الأشياء ويعطيها معنى . ومن هنا يجب على المربين أن يتركوا الطفل يجرب كل شيء بنفسه فى حرية كاملة ، ولايتدخل الكبار بالمنع أو الأمر أو النهى أو العقاب أو التخويف ، وأن يوجهوا الطفل للتمييز بين مايقع تحت يديه أو أمام بصره أو سمعه أو تذوقه أو شمه ، وأن يوجهوه للتمييز بين الأشياء المختلفة ، ويحاولوا إدراكها وفهم كنهها ..

(ب) التذكر «Recall» :

التذكر عملية عقلية تمكن الطفل من استرجاع الصور الذهنية البصرية والسمعية أو غيرها من الصور الأخرى، التى مرت بالفرد من ماضيه إلى حاضره الراهن ،

وهكذا تصبح عملية التذكر ارتباطية؛ لأنها تصل الحاضر بالماضى وتقيم بينهما علاقات مختلفة ترقى بالنشاط المعرفى العقلى للفرد ..

والتذكر بمعناه الضيق يقتصر على تذكر واسترجاع الفرد لتاريخ حياته وماحفل به من تجارب وخبرات ومعلومات ، وهو بهذا المعنى شخصى ذاتى يعكس دائماً ماضى الفرد .. والتذكر بمعناه العام يتسع ليشمل كل ماضى : ماضى الفرد ، أو ماضى غيره ، أو أحداث التاريخ .. إلخ .

ويتوقف وصل الماضى بالحاضر بعد مرور فترة زمنية على مدى وضوح الصور وغموضها ، وهذا يخضع للفاصل الزمنى .. كذلك يتوقف على ارتباطه بالألوان الانفعالية العاطفية للفرد أثناء مروره بالخبرات الماضية .

إن اتصال الطفل المباشر بالأشياء وبالناس وتفاعله معهم يمده بذخيرة من الخبرات العملية والشخصية المباشرة .. تلك الخبرات التى توقفه على فهم المعانى، وتساعده على صب هذه المعانى فى الألفاظ التى يسمعها من الكبار ، فالطفل كثيراً مايعرف معنى الشيء واستخداماته، قبل أن يعرف اللفظ الذى يرمز إليه ويدل عليه .. وعندما يعرف كيف يطلق الألفاظ على الأشياء.. فإنه يسهل عليه تذكرها واسترجاعها مع الصور الذهنية لخبراته ، ويسهل عليه استخدامها فى التفكير والمقارنات ، والتوازنات ، وإدراك العلاقات بين الأشياء ..

وتستطيع الأم أن تساعد على تنمية ذاكرة الطفل، من خلال مواقف الحياة اليومية :

- فعند اصطحاب الطفل فى زيارة من الزيارات لأحد الأصدقاء أو الأقارب أو لزيارة نادى ؛ أو المشاركة فى المناسبات المختلفة كأعياد الميلاد وحفلات الزواج ، والسبوع ، والمآتم ، والأربعين .. إلخ .. فإن الأم يجب أن تسأل طفلها بعد كل زيارة عن كيفية الوصول إلى مكان الزيارة ، وماذا حدث فيها ، ومن قابله هناك ، ويحكى عما أعجبه فيها ، ومالفت نظره .. إلخ .. المهم أن تكثر من التساؤلات التى تساعده على التذكر .

- وبعد زيارة لحديقة الحيوان يمكن أن تسأل الأم طفلها عما رآه فى الحديقة ، وماذا أعجبه عند قفص القرود مثلاً ، وماذا كانت تفعل النسانيس ، وهل يعرف أين تعيش القرود ؟ وما الذى أزعجه عند سماع صوت الأسد مع أنه محبوس فى قفصه ؟ ، وتسأله عن الفيل الذى ركبه ، وعن الزرافة التى أعجبته .. إلخ .

- وعن طريق ترديد الأغانى الجميلة والأناشيد التى تعلمها فى المدرسة أو سمعها فى المذياع أو رآها فى التليفزيون، يكتسب الطفل القدرة على تذكر ماسمعه وردده ..

- وفى المنزل عندما تقوم الأم بعمل شيء (كعكة مثلاً) تسأله : هل يتذكر كيف صنعتها فى المرة السابقة ؟ وتعد له الأدوات اللازمة لذلك من اللبن ، والسكر ، والدقيق ، والزبد ، والبيض - وتسأله عما ينقص ذلك ؟ وما الذى يجعل رائحة الكعك زكية ؟ .. بشرط أن تكون الأم متأكدة عند سؤالها للطفل أنه قد رأى أمه تصنع هذه الأشياء قبل ذلك؛ حتى يسهل عليه الاسترجاع، ويتمكن من تذكر الأشياء وطريقة صنعها ، خصوصاً الأشياء التى يحبها ويستعذب أكلها .

- كذلك .. على الأم أن تعطى للطفل صوراً لأشخاص يكون قد رآهم من قبل ، وتسأله «مين فى الصورة دى .. ومين ده ؟» ، كذلك تقدم للطفل رسوماً لطيور وحيوانات يعرفها ولكنها ناقصة فى جزء من أجزائها كالذيل أو الرأس .. إلخ ، وتسأله عن الشىء الناقص وتعطيه أقلامها وتطلب منه أن يكملها - وهكذا تختبر تذكره لهذه الأشياء .

وهكذا .. فإن العادات والخبرات والمهارات التى يتعلمها الطفل ويكتسبها من الوسط الذى يعيش فيه تترك أثراً ، يعمل على استمرار الماضى فى الحاضر، فالطفل الذى يتعلم جدول الضرب فى صغره يستطيع أن يتذكره ويستعمله فى حل أعقد المسائل الرياضية فى المستقبل .. كما أن التجارب الجديدة تعمل على إعادة تشكيل الآثار والعادات القديمة؛ بحيث تصبح أكثر قدرة على مساعدة الطفل فى التكيف الأفضل للمواقف الجديدة .

(جـ) التفكير «Thinking» :

التفكير هو كل سلوك عقلى يستخدم الأفكار ؛ أى الصور الذهنية ، والعمليات الرمزية .. بمعنى أن التفكير تمثل ذهنى وتأمل عقلى لأنه يتناول الأشياء والأحداث المتذكرة أو المتخيلة بل المتوهمة حتى أثناء غيابها .

والتفكير سلوك يعمل على الأفكار المجردة تمثيلية أو رمزية، ويتميز بحل المشكلات ذهنيًا ، وتداول المعانى بطريقة تتجاوز الحاضر أو الموجود من الأفكار والأفعال .

وإذا كان الإنسان يتميز عن الحيوان بالتفكير فذلك لأنه :

- أكثر مرونة وأكثر قدرة على التكيف بالمواقف الجديدة فى بيئته .
- ويمتلك قدرته الفائقة على تبديل وتعديل سلوكه وتعلم أنماط سلوك جديدة .
- وباستطاعته أن يستجيب للتنبيهات التى لاوجود لها فى الحاضر ؛ فهو يسترجع

الماضى ويتأمل الحاضر ويخطط للمستقبل ، ويستنتج المجهول من المعلوم ، ويقيس الغائب على الشاهد ، ويتعلم بالخبرة ، ويتخيل مالم يحدث ، ويتوقع ماسوف يحدث، بل يحلم ويصمم ويخترع . (١٥ : ١٥١-١٥٢) .

والتفكير على هذا : يعنى التعريف بالطرق التى يحل بها الناس مشكلاتهم، وينمون مفاهيم عقلية عن العالم الذى يعيشون فيه .

وعلى هذا .. فمن الضرورى فى عالم سريع التغير أن ينمى الأفراد قدرتهم على التوافق مع المواقف الجديدة ، وأن تنمو قدرتهم على التمييز والتفكير الناقد والابتكار وإصدار الأحكام السليمة .. ولقد أصبحت القدرة على تعرف المشكلات العلمية وحلها هدفاً أساسياً من الأهداف، التى يجب أن يربى عليها الأطفال منذ الصغر..

ولذا يجب على المربين أن ينموا فى الطفل الأنواع المختلفة من التفكير، التى تمكنهم من التوافق مع المواقف الجديدة .. من ذلك :

(١) التفكير غير المقيد :

أى التفكير الواسع غير المتمايز «Devergent» وهو عكس التفكير المقيد «Gonvergent» ، الذى يهتم بإيجاد حل واحد أو جواب واحد فقط ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إشراك الطفل وتفاعله مع الآخرين عن طريق الأسئلة المفتوحة غير المقيدة بإجابة واحدة (نعم أو لا) : بل إجابات فيها تعليلات واستنتاجات .. إلخ . وهذا الاتجاه يساعد الطفل فى المستقبل على حل مشكلاته؛ حيث يساعده على تلمس الدلائل التى تسند تفكيره دون أن يقيد بحل واحد فقط . وتستطيع المربية ذلك من خلال قص القصص والحكايات التى يحبها الأطفال ، وعندما تصل إلى عقدة القصة يمكن أن تطلب حلاً من الطفل ، وأن تقدم هى حلاً آخر ، وأن تفكر مع الطفل فى حل ثالث .. إلخ .

(٢) تعويد الطفل التفكير المستقل غير المقلد :

ويتم تشجيعه على ذلك من خلال توجيهه ليعرف أجوبة أسئلته من مصادرها ، كاصطحابه فى رحلة إلى أحضان الطبيعة أو متحف أو زيارة لمكتبة عامة .. إلخ ، يبحث ويستقصى ويختبر ويشاهد إلى أن يصل إلى إجابة سؤاله ، وعلى الأم أو المربية ألاتستعجله مهما طال الزمن ، بل تصبر عليه حتى وإن ضل الطريق ، وتتركه حتى يستكشف الخطأ بنفسه؛ لأن كل مانريده هو أن يتعلم أساليب التفكير السليمة ، ويتعلم كيف تكون له وجهة نظر خاصة ، وكيف يستطيع الدفاع عنها .

(٣) تعويد الطفل التفكير الاقتصادى :

وهو مانسميه بالتفكير المختصر الذى يعنى إعطاء تصورات بسيطة عن بعض الحقائق العلمية سواء كانت تتعلق بالظواهر الطبيعية المحيطة بالطفل أو بالمشاكل الموجودة فى بيئته .. ويمكن تعويد الطفل ذلك من صغره – فعندما تقع لعبته منه أو تتدحرج تتركه الأم أو المربية يحاول التقاطها بنفسه ، على أن تراعى اختصاره للخطوات المتبعة فى التقاطها ، وتلفت نظره أن استدعى الأمر لتعوده التفكير الموجه عندما تتقدم به السن من خلال العمل المختصر الخطوات فى التغلب على مشاكله .. والطفل الذى تدخل إحدى لعبه فى الأخرى أو أن تشبك قدمه فى ملابسه – من الأفضل أن تتركه الأم أو المربية يتغلب على مشكلته بنفسه فإنه بلا شك سوف يحاول أن يصل إلى الاستجابة الصحيحة .. وهذا الأسلوب سوف يعوده الاعتماد على النفس والاستقلال فى التفكير ، على ألاتتركه يواجه المشاكل التى تفوق إمكاناته وطاقاته ، أما المشاكل التى فى مستوى قدراته .. فإنها تتركه ليحلها وحده على أن تراعى إرشاده إلى اختصار خطوات حل المشكلة قدر المستطاع .

(٤) ضرورة الاهتمام بأسلوب حل المشكلات :

لو أن الحياة ذات طبيعة ثابتة، لما أصبحت هناك ضرورة لتعلم أسلوب حل المشكلات ضرورة ملحة . وليس هناك بديل عن الخبرة الفعلية فى حل المشكلات ومواجهة الصعوبات وارتكاب الأخطاء ، وفى النهاية اكتشاف الحل الذى يؤدى إلى الفعل الحاسم .. والمشكلة دافع جيد للتفكير ، وعند وصول الطفل إلى حلها تساعده على بناء ثقته فى قدرته على تصريف شئونه بنفسه ، ولهذا قيمة مؤكدة بالنسبة لصحة الطفل النفسية ؛ لأن من المبادئ الأساسية للصحة النفسية وجوب النظر إلى الصعوبات باعتبارها مشكلات يجب حلها ، وليس باعتبارها مفاجآت وأموراً طارئة يجب تجنبها ، ولذلك فعلى الأم أو المربية أن تترك الطفل يواجه مشكلات حقيقية فى أحداث حياته اليومية، وأن يواجه العوائق التى تحول دون إشباع رغباته ويفكر فى وسائل تخطى هذه العوائق والوصول إلى الهدف، مع مساعدته وتوجيهه للطرق التى توصله إلى الحل الصحيح والتزام الطريق الأمثل فى الوصول إلى الحل .

(٥) تعويد الطفل التفكير الناقد والأسلوب المنطقى فى التفكير :

ويمكن أن يتم ذلك من خلال مناقشة الطفل فى أبسط المسائل والأشياء التى يهتم بها والتى تقع فى محيطه ، على أن يعطى تبريرات لكل مايقوله أو يفعله سواء كان مايقوله صحيحاً أم خاطئاً .. ففى ذلك مجال لأن يقف الطفل على أسلوب التفكير

المتفحص من خلال النماذج الأدبية، التى تقدم له فى صورة قصة أو مسرحية أو حدوته ..

(٦) تعويد الطفل التفكير الابتكارى :

ويتم ذلك عن طريق اكتشاف إمكانات الطفل الإبداعية والتعبير عن ذاته وذلك فى وقت مبكر من خلال لعب الطفل التى يجب أن تشتمل على مجموعة من القوالب، والصناديق ، والمناضد ، والأدوات التى تحتاج إلى الفك والتركيب ، وإبراز المهارات والقدرات الفنية فى الرسم ، وتفتح آفاقاً جديدة للإبداع ، وكذلك الأدوات الموسيقية، التى تمكن الطفل من التعبير عن نفسه من خلال عمله الفنى والتذوق الجمالى ..

وإذا كانت الابتكارية يقصد بها القدرة على الإنتاج الممتاز اجتماعياً فى مجال الموسيقى أو الرسم أو الدراما أو النظريات العملية أو الكشوف فى الرياضيات ؛ أى إنتاج شيء جديد بالنسبة للمجتمع أو بالنسبة للفرد .. فإن الآباء والمربين يجب أن يشجعوا الطفل على التفكير الابتكارى منذ الصغر، فقد أثبتت معظم الدراسات العلمية فى هذا المجال :

- أن آباء المبتكرين كانوا يشجعونهم أثناء طفولتهم على حل مايواجههم من مشكلات معتمدين على إمكانات الأبناء الذاتية .. وأن هؤلاء الآباء أعطوا أبناءهم حرية أكبر وعرضوهم لعقاب أقل ؛مما ساعدهم على تشكيل أسلوب حياتهم بأنفسهم ، كما أن مدرسيهم والمربين كانوا يتركونهم يجربون ويحاولون فى المعمل للوصول إلى الحلول بأنفسهم، مع تأكيد أهمية إتقان العمل .
- أن الآباء والمدرسين والمربين قد رسخوا لدى هؤلاء المبتكرين منذ طفولتهم الأولى بعض المعايير ، والتى خلاصتها : أن المعرفة قيمة فى ذاتها وأن الحرية فى متابعة الاهتمامات والميول أمر حسن مرغوب فيه ، وقد أدى هذا إلى استجابتهم للمواقف بطرق متنوعة واختبار أفكارهم والانتهاء إلى الإنتاج الفريد .
- كما أنه مما يساعد على تنمية الابتكار عند الأطفال وضعهم فى مواقف غير مألوفة، لاتتوافر لديهم استجابات جاهزة لمواجهتها .

(٣) الحاجة إلى اكتساب المهارة اللغوية :

تعتبر حاجة الطفل إلى اكتساب المهارة اللغوية من الحاجات الرئيسية فى مرحلة الطفولة التى تتعلق بالنمو العقلى .. فقد أثبتت البحوث السيكولوجية الخاصة بالنمو العقلى : أن التفكير السليم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو اللغوى ، ويحسن استخدام

الطفل للغة فى التعبير عن أفكاره .. فاللغة تسهل تكوين المفاهيم الحسية والمفاهيم المجردة ، وتضع الحدود لتعميمات المثيرات ونتائجها ..

وبذلك .. فإن اللغة بصورتها اللفظية مظهر قوى من مظاهر النمو العقلى والحاسى والحركى ، ووسيلة من وسائل التفكير والتخيل والتذكر .. فعلى الرغم من أن الذاكرة تعيش دون لغة ، إلا أن اللغة تيسر الذاكرة بدرجة واضحة .. وكلما كثرت تداعيات كلمة، كانت أكثر احتمالاً للتذكر ؛ حيث إن عدد ونوع التداعيات يتغير مع العمر ومع النمو اللغوى .

وبذلك كانت الحاجة إلى اكتساب المهارة اللغوية ذات أهمية بالغة بالنسبة للنمو العقلى .. وإذا كانت اللغة مظهراً من مظاهر الثقافة البشرية فإن النمو اللغوى للطفل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة الطفل . والطفل حينما يعبر باللغة إنما يعبر عن مظهر ثقافى خاص بالمجتمع .. وبذلك فإن نمو ثقافة الطفل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنموه اللغوى واكتسابه المهارة اللغوية .

والأطفال فى سن سنتين يكونون مهرة فى استخدام اللغة ، ويحب معظمهم التحدث والكلام أمام الجماعة ، ولو زودت الأم أو المربية أطفالها بأوقات يشاركون فيها بأحاديثهم.. فإنها تتيح لهم فرصاً طبيعية لاكتساب المهارة اللغوية ..

ويتم اكتساب المهارة اللغوية عن طريق :

(أ) تدريب الطفل على الاهتمام بما يعرض عليه من أحاديث .

(ب) مناقشته للوصول إلى المفاهيم والحقائق العلمية .

(جـ) تعويده الانطلاق فى الحديث .

(د) تصحيح أخطائه دون تخويف .

(هـ) الاهتمام بأدب الطفل ...

وسوف نوضح كل جانب من هذه الجوانب بشيء من التفصيل :

(أ) تدريب الطفل على الاهتمام بما يعرض عليه :

فالطفل ميّال إلى الاستماع للحكايات والقصص (خاصة قصص الحيوانات وقصص البطولة ، والقصص التاريخية .. إلخ)، ولايخفى على أحد أن القصة يمكن أن تكون وسيلة لتربية الطفل وتثقيفه وأداة تساعد على نموه المتكامل عامة ونموه اللغوى خاصة ، ويمكن من خلالها توريث الطفل خبرة السابقين وتقاليدهم ، وتزويدهم

بثقافة المجتمع عامة .. ومن هنا يجب على الأم أو المربية أن تستغل حب الأطفال للاستماع إلى الحكايات والقصص التى يجدون فيها لذة ومتعة تبرز السرور على وجوههم ، وكثيراً مايتصايحون قائلين «أولى لى حكاية كمان» .. (٣١:٢٥) .

وتستطيع الأم أو المربية من خلال سرد القصص على الطفل أن تعوده العمليات العقلية ، وأن تثير تفكيره وتختار له مايناسب سنه وحاجاته حتى ينجذب إليها ويركز تفكيره فيما يلقى عليه من قصص وأحاديث وحكايات ، ويستثير تفكيره فيبدأ يسأل ويفهم ويناقش .. إلخ . ولكن يجب أن تستخدم الأم أو المربية اللغة استخداماً صحيحاً دقيقاً ، وأن تكون بمثابة نموذج يقلده الطفل ويحاكيه ، وتستطيع أن تجعله يحكى القصة لها بعد أن تنتهى منها أو يلخصها لها .. إلخ .

ومن الملاحظ أن سرد القصص على الأطفال يزيد من حصيلتهم اللغوية .. فقد لوحظ أن الطفل يستعمل عدداً من المفردات فى حديثه أقل من المحصول اللغوى الموجود عنده بالفعل ، فهو يفهم آلاف الألفاظ أثناء سماعه للحكايات أو القصص التى يسمعها ، ولكنه يستخدم عدداً محدوداً جداً منها .. ويبدو ذلك أيضاً فى أن الطفل قلما يستفسر عن معنى كلمة ، ولاشك فى أن استقبال الأطفال لكلام الآخرين وفهمهم له ينضج قبل قدرتهم على استعمال الكلام والحديث .. فهم يفهمون مايقال لهم حتى قبل أن ينطقوا اللغة ، وقد أثبتت التجارب بالفعل قدرة الطفل المبكرة على فهم اللغة قبل استعمالها .

(ب) مناقشة الطفل فيما يستمع إليه :

بعد أن تسرد الأم أو المربية على طفلها بعض القصص التى فيها بعض المواقف المشكلة .. يمكن أن تطلب من الطفل تصوره للحل أو إعطاء تصور لحل بعض العقد ، ويمكن أن تناقشه فى كل حل ذكره ومزاياه وعيوبه ، ودور البطل .. إلخ .. المهم : يجب أن يعطى الطفل أكثر من فرصة حتى يصل تفكيره إلى أكثر من حل خصوصاً إذا كان بطل القصة قد استحوذ على انتباهه وبدأ الطفل يتقمص شخصيته .. ومن خلال ذلك تستطيع الأم أو المربية أن تعود الطفل أسلوب تخيل الموقف واستنتاج الحل المناسب للمشكلة ، ويمكن أن تعوده بعد ذلك تعميم استجاباته والمقارنة بين النتائج .. إلخ .. كل هذه العمليات أساسية لنمو تفكير الطفل وإكسابه الخبرات البناءة التى تساعد على تثقيفه .

(جـ) تعويد الطفل الانطلاق فى الحديث :

تصطبغ أسئلة الأطفال فى بدء تعلمهم الحديث والنطق بصبغة انفعالية عاطفية

تدور حول رغباتهم ، وحول الأوامر التى تصدر منهم وإليهم ، وهي تهدف فيما بين ١-٣سنوات إلى معرفة الأشياء التى تثير انتباههم ، وعلى الأم أو المربية أن تكثر من الحديث مع الطفل حول حاجاته الأساسية والأشياء الخاصة به (ملابسه ، لعبه ، طعامه ، شرابه ، أجزاء جسمه .. إلخ) ودائماً تسأل الطفل «إيه ده ؟» ، «بنعمل بيه إيه؟ ..» لإكسابه حصيلة لغوية واسعة ، وليتمكن من اكتساب المهارة اللغوية .

وفى سن ماقبل المدرسة ، يصبح الأطفال مهرة فى استخدام اللغة ومعظمهم يحب التحدث أمام الجماعة .. ولذلك يجب على الأم أن تزود أطفالها بأوقات يشاركون فيها بأحاديثهم مع بعضهم البعض ، كما يمكن للأم أو المربية أن تترك طفلها يعبر عن نفسه من خلال حديثه اليومى معاً ، تتركه يحكى لها ماحدث فى روضة الأطفال ، وكيف تصرف مع زملائه ، ومافعلته المربية فى حصة الموسيقى أو الألعاب ، وما استعمله من أدوات .. إلخ .

ويمكن أيضاً استغلال كثرة أسئلة الطفل فى المساعدة على نموه وتعليمه ؛ إذ يأتى الطفل إلى الحياة وكل ماحوله جديد وغريب .. وهو فى حاجة دائمة إلى معرفة ماهية الأشياء ؟ ولماذا تحدث ؟ وهل ينتظم حدوثها بهذه الصورة ؟ إلى غير ذلك - ومن هنا : يكثر الطفل فى هذه السن من الأسئلة : ماهى ، ولماذا ، وكيف ، ومتى ، وأين ، وماذا ، ومن .. إلخ.. كل هذه الأسئلة المحيرة التى تساعد إجابتها على تعليم الطفل ونموه .. وهنا يجب على الأم أو المربية ألا تضيق بأسئلة الطفل وتتركه يتحدث على أن تصحح له أسلوبه ما أمكن ؛ حتى يستطيع أن يعبر عن أفكاره وتنمو حصيلته اللغوية وتزداد ثقافته وتنمو شخصيته ، المهم أن تجيب عن أسئلته بطرق ذكية ، وبأسلوب علمى دقيق موضوعى بسيط يناسب مستوى نضج الطفل ، وأن تبتعد عن الإجابات الغيبية الهدامة التى لاتساعد على نمو الطفل؛ بل تعرقل نموه فهذا الانطلاق فى الحديث يساعد على نموه اللغوى فى حصيلته وفى التركيبات اللغوية والقدرة على التعبير ..

(د) تصحيح أخطاء الطفل اللغوية :

وعلى الأم أو المربية أثناء ترك الطفل ليعبر عن أفكاره وفى مناقشته عما فعله وماقام به من أعمال فى روضته ومع زملائه ، وفى تعبيره عما يمارسه ... عليها أن تراعى تعويده منذ بداية كلامه الصياغة اللغوية الصحيحة ، وأن تعوده استعمال التراكيب النحوية السليمة من خلال صياغة أسئلته ، واستفساراته ، وتصحيح الأخطاء التى يقع فيها الطفل بهدوء واتزان، دون تخويف أو إرهاب أو سخرية أو استهزاء ..

وألا تكرر أخطاء الطفل اللغوية فى ضحك ولعب حتى لا تثبتها عند الطفل ؛ حيث إن تكرار نطق الكلمات الخاطئة التى ينطقها الطفل يساعد على تثبيت الخطأ فى نطق الطفل .. المهم أن تراعى عدم استخدام الأسلوب الطفلى فى الحديث مع الطفل حتى لايثبت عنده لفترة طويلة .. ولو نجحت المربية فى ذلك لسهل على الطفل بعد ذلك استخدام الكلمات والتعبير الدقيق ، وسوف يسهل عليه توضيح مافى ذهنه بدقة ومهارة، تساعده على النمو وتحصيل الثقافة بسهولة ويسر ..

(هـ) الاهتمام بأدب الطفل :

لايختلف أدب الطفل عن أدب الكبار فى جوهره وأداته ، ولكنه يختلف عنه من حيث الموضوع الذى يتناوله ، والفكرة التى يعالجها ومستوى الأسلوب ؛ لأن الصغار يختلفون – فيما يشبع حاجاتهم وينبه إحساسهم ويلائهم مداركهم – عن الكبار، بل إن مراحل الطفولة لايختلف بعضها عن بعض فيما يقدم لها من ألوان الأدب .. ومن ثم كان من الضرورى فى أدب الأطفال أن ننتقى مادته بعناية بحيث تكون فى مستوى مناسب من حيث الشكل الفنى ، ويكون فيها كذلك من الميزات التى تجتذب الناحية الانفعالية عند الأطفال ، فيتجاوبون معه ويسعدون بقراءته أو الاستماع إليه .. وقد يلتقى أدب الأطفال مع أدب الكبار من حيث أنواعه فهو : قصة ، مسرحية، شعر ، فكاهة إلخ ، وإن كان يختلف فى موضوعه وأسلوبه وطريقة عرضه عن أدب الكبار .

ويقوم أدب الأطفال بتنمية ثقافة الطفل ويعمل على نموه اللغوى ، من خلال :

(أ) مايشتمل عليه من معلومات وحقائق تنمى إدراك الطفل : فالمطلع على أية قصة أو مسرحية أو مقطوعة من الشعر والأناشيد الخاصة بالأطفال يجد فيها كثيراً من حقائق الحياة ، ومايجرى فيها من مشكلات تحتاج إلى حل .. ويجد كثيراً من الشخصيات ، التى تسلك وتعبر عن عادات الناس وأعمالهم ، وبذلك يدرك بعضاً من المعارف والحقائق .

(ب) ومن خلال أدب الأطفال يستطيع الطفل أن ينمى لغته : فيتزود بكثير من ألفاظ لغته ، ويدرك استخدام التعبيرات ، وبذلك يلعب نمو القاموس اللغوى للطفل دوراً مهمًا فى تكوين المعانى الكلية والمجردة بوجه خاص ؛ مما يمكن الطفل من التعبير عن حاجاته وعن عواطفه نحو الآخرين ، وتوسيع نطاق الحياة وكشف مظاهرها المختلفة .

(جـ) وفى الأدب – شعره ونثره – يتدرب الطفل على الإلقاء الجيد ، وهو من الأمور التى لايستغنى عنها الطفل فى حياته المقبلة ، من خلال المناقشات الأدبية حيث

يتدرب الطفل على طلاقة اللسان ، وعلى تعود الإفصاح عما يدور فى عقله من أفكار ، ومواجهة الآخرين فى أثناء إلقائه دون خوف أو رهبة .

وعلى الآباء والمربين والحالة هذه أن يهتموا بأدب الطفل قصة وشعراً ونثراً، وأيضاً بالوسائل المختلفة التى تقدم بها هذه الفنون كمسرح العرائس وغيره .. وذلك بأن يعودوا الطفل حفظ الشعر والأناشيد منذ صغره ، وأن يعودوه قراءة القصة ومعرفة أحداثها منذ نعومة أظفاره، وحتى قبل تعلمه القراءة والكتابة يمكن من خلال القصص المصورة أن يتتبع الأحداث القصصية .. وبذلك ينمو الطفل وعنده القدرة على تذوق الأدب القصصى ، والشعرى ، والمسرحى .. ويستطيع أن يعايش هذا الأدب بقدر الإمكان ؛ مما يثرى ثقافته وينمى لغته ويكسبه كثيراً من المهارات اللغوية..

الفصل السابع

حاجات النمو الانفعالى - الاجتماعى

١- الحاجة للحب والحنان والأمان.

٢- الحاجة للانتماء .

٣- الحاجة للإنجاز .

٤- الحاجة للمشاركة واحترام الذات .

٥- الحاجة للتحرر النسبى من الشعور بالذنب.

٦- الحاجة للتحرر النسبى من الخوف .

٧- الحالجة للأمان الاقتصادى .

٨- الحاجة للفهم .

تعليق .

لا يحتاج الوليد فى نموه إلى مجرد الحصول على الطعام والشراب والهواء .. ولكنه إلى جانب ذلك يحتاج إلى تهيئة الجو العاطفى والانفعالى السليم الذى يدعم نمو شخصيته منذ البداية ، وتصبح الخبرات السلوكية الانفعالية التى يمر بها الطفل منذ مولده ، وكذلك مجموعة التشريطات والقوى الانفعالية الخاصة به، والتى تعبر عن حاصل خبراته الفردية الخاصة .. يصبح ذلك كله ذا أهمية كبرى فى تحديد سمات شخصيته ، ومن ثم تلقى هذه الحقيقة على عاتق المربين فى المنزل والمدرسة والقائمين بالتنشئة الاجتماعية من خلال وسائل الإعلام وغيرها من مؤسسات التنشئة أن يتعرفوا على الحاجات اللازمة للنمو الانفعالى الاجتماعى للأطفال لكى يحسنوا التعامل معهم وتنمية شخصياتهم (١٨ : ١٢٤) .

وسوف يتناول هذا الفصل الحاجات الانفعالية الاجتماعية للطفل كما يلى :

١- الحاجة للحب والحنان .

٢- الحاجة للإنجاز .

٣- الحاجة للانتماء .

٤- الحاجة للمشاركة واحترام الذات .

٥- الحاجة إلى التحرر النسبى من الشعور بالذنب .

٦- الحاجة إلى التحرر النسبى من الخوف .

٧- الحاجة للأمان الاقتصادى .

٨- الحاجة إلى الفهم .

أولا : الحاجة للحب والحنان

تتعدد حاجات الطفل النفسية الاجتماعية وتتنوع، وعلى رأسها :

أولاً - الحاجة للحب والحنان "الأمان" :

يحتاج الأطفال من الناحية الانفعالية - أول ما يحتاجون - إلى الشعور بالأمان العاطفي ، بمعنى : أنهم محبوبون كأفراد ومرغوب فيهم لذاتهم، وأنهم موضع حب وإعزاز الآخرين (١٦ : ١٣٧) .

وتتألف الحاجة للحب والحنان من عنصرين، يصعب في كثير من الأحيان الفصل بينهما :

الأول : هو الرغبة في الود من الآخرين ، والتي تعني الحاجة إلى الالتصاق المادي مع شخص آخر التصاقاً، يتخذ صورة الاحتضان والتقبيل والربت .

والثاني: هو الرغبة في الحصول على المساعدة والحماية والمعونة والتأييد من شخص آخر أو جماعة أخرى (١٦ : ١٧٨) .

وتبدأ الحاجة للحب والحنان مع الطفل منذ مولده : ذلك أن ولادة طفل جديد يعتبر بشرى سعيدةٍ في معظم البيوت ، وتتسم العلاقة بين الأم والطفل بقدر هائل من الدفء والحنان إذ يقبل الطفل ويداعب ويحتضن ويدلل ، وتبتسم له الأم وتغني له ، وتفرض السكون على البيئة حتى ينام ، وتراعي الرقة في الإمساك به ، وتكاد كل لمسة منها أن تكون ملاطفة ... إلخ ، ولعل هذا الجو المشحون بالدفء والمودة مبعثه أن الطفل عاجز عن عمل أي شيء لنفسه ، ويكون قليل الحيلة كامل الاعتماد على غيره ؛ ولذا يكون جزءاً من حياة الأم إلى حد كبير .. ويولد هذا العجز قدراً كبيراً من الحماية والوقاية والحب والحنان .. ويعتمد الطفل على أمه في كل شيء ؛ مما يولد شعوراً عميقاً بالثقة في نفسه، الذي يقوى يوماً بعد يوم ، ويجعله يثق في علاقاته بالآخرين .

وإذا افتقد الطفل إلى الحب والحنان في الأيام المبكرة من حياته .. فإن ذلك يؤدي إلى فقدان الثقة والشك ، وتنمو شخصيته غير آمنة منذ طفولتها المبكرة ويحدث ذلك غالباً في حالة غياب الأم لفترة، عندما تضطر للذهاب إلى العمل في مكان بعيد،

أو فقدان الأب فقداناً كلياً ، وكذلك فى حالة مرض الأم أو الانفصال بين الوالدين ، أو حتى وفاة الأم .. كل ذلك قد يهدد الأمان العاطفى تهديداً شديداً ، كذلك يتهدد الأمان العاطفى فى حالة ولادة طفل جديد .

وعلى هذا .. فإن الحياة الأسرية والجو العائلى السعيد هو الذى يخلق هذا الشعور بالحب ويتعهده بالنماء ، وهذا الشعور شرط أساسى لانتظام حياة الطفل النفسية واستقرار مشاعره الاجتماعية، وتركزها حول هذه النواة الأولى التى تكونت فى محيط الأسرة ، وأنه دون هذا الحب والأمن النفسى فى الطفولة المبكرة يفشل الطفل فى التفتح والازدهار من الناحية الجسمية ، وتنمو فيه اتجاهات شخصية تعوق النمو العقلى والنفسى والاجتماعى السليم .. وتمتع الطفل بالحب يترك آثاره على شخصيته المستقبلية فينمو شخصاً محبًا لمعلميه ومحبًا لرئيس عمله ومحبًا للناس جميعاً . وسيخضع للسلطة طواعية واختياراً ولن يكون عدوانياً أو متهيباً الآخرين (١٦ : ١٣٨ – ١٣٩) .

وترتبط بهذه الحاجة (للحب والحنان) حاجة الطفل إلى الشعور بالأمان:

إن الشعور بالأمان العاطفى يجعل الأطفال يحتاجون إلى الشعور بأنهم مرغوب فيهم ومحبوبون .. أى إنهم يحتاجون لبعض الدفء والحنان إذا كان عليهم أن يتعلموا.. إنهم يحتاجون للشعور بأنهم ينتمون فعلاً للمجموعة ، وأن المجموعة تفتقدهم عندما يتغيبون .. وهم يشعرون كأنهم منبوذون عندما يطلب منهم أن يغادروا المكان عقاباً لهم .. إنهم يحتاجون للتقليل من مشاعر الذنب والخوف ، وتقوية مشاعرهم للإنجاز والأداء .. إنهم يحتاجون إلى مربين يصغون إليهم ويستجيبون لهم ، وواسعى الصدر أمام أسئلتهم التى لا تنتهى .. مربين يساعدوهم على فهم أنفسهم وفهم العالم الذى يعيشون فيه .

وإذا شعر الأطفال بأنهم أحرار فى الاختلاف عن بعضهم البعض ، وأن بمقدورهم أن يناقشوا الأب أو المعلم فى بعض الأحيان، وأن يفكروا حسب وجهات نظرهم ويعبروا عنها.. فإنهم قد يشعرون بالهدوء وبمزيد من الأمان .

إن حجرة الفصل ذاتها يمكن أن تقلل أو تزيد من مشاعر الابن لدى الأطفال : هل هى مكان دافئ ترفرف عليه مشاعر الصداقة والمودة والألفة، أم هى مكان بارد أجرد ؟ .. إن تناسق الألوان فى الفصل أو فى حجرة الطفل الخاصة والصور المعلقة على الجدران وترتيب الحجرة يمكن أن يزيد أو يقلل كثيراً من الشعور العام بالأمان.. هل الحجرة مكان مناسب للمعيشة فيه من حيث الحرارة والضوء والهواء النقى ؟ ..

هل يجب تهويتها مرات أكثر ؟ هل هى على درجة كافية من النظافة بمقياس الشعور العام بالنظافة .. ؟

ثم ماذا يفعل المربى وخاصة المعلم بشأن أعياد الميلاد ؟ .. هل يحتفل بكل أعياد ميلاد شهر أكتوبر مثلا بحفلة في يوم مدرسى فى شهر أكتوبر ؟ وماذا يفعل بشأن الأطفال الذين يقع عيد ميلادهم فى شهور العطلة الصيفية ؟ .. إن إقامة الحفلات ، ومزاولة الألعاب من وقت لآخر تعمل على ترسيخ «الجماعية» والإحساس بالتكافل الذى يزيد من مشاعر الأمان .

إن الأطفال يميلون للشعور بمزيد من الأمان فى بيوتهم ووسط أسرهم؛ ولذا يزداد أمانهم إذا تعارف المعلم على أسرهم وارتبط بهم .. وإذا تغيب الطفل عن المدرسة هل يبدى المعلم انشغاله عليه ؟ وهل يحاول أن يتصل بأسرته ليسأل عنه .. إن ذلك يقوى مشاعر الأمان لدى الطفل كثيراً، عندما يعلم أن المعلم مهتم به فعلا .

وأحياناً يشتبك الصبيان والبنات فى مناقشة، وسرعان ما تتخذ المناقشة شكلا حاداً يبدو وكأنه سيتطور إلى عراك ، وقد لا تكون لدى الأطفال رغبة فى العراك ، ولكن الموقف أفلت منهم .. وهنا يرغب الأطفال أن يتدخل المعلم وأن يوقف هذا الشجار ، وهم يشعرون براحة كبيرة عندما يفعل ذلك ويجنبهم عراكاً مريراً.. ما من أحد منهم قد انسحب أو تراجع أو استسلم ما لم يتدخل المعلم.. إنهم يشعرون بمزيد من الأمان، عندما يستطيعون الاعتماد على المعلم لمساعدتهم فى حفظ ماء الوجه (٣٤) .

لقد أكدنا بمزيد من الاهتمام الشعور بالأمان ؛ لأن العصر الذى نعيش فيه قد تكون له علاقة بهذا الاهتمام والتأكيد .. فهناك حروب وثورات ومواجهات يشاهدها الأطفال يومياً على شاشة التليفزيون تقريباً، هذا بخلاف التغيرات الاقتصادية التى يرى الطفل آثارها فى شكل الإعلانات .. إلخ .

إن الهواء الذى تنفسه مشبع بعدم الأمان ، والأطفال يتنفسون من الهواء نفسه ، إنهم يسمعون وسائل عدم الأمان عندما يصغون وهم فى المنزل أحاديث والديهم ، أضف إلى ذلك : فإن كثيراً من المعلمين قد أصبحوا يشكون من مجموعات الأطفال التى يصعب العمل معها ، والزيادة فى عدد الأحداث والمتشردين من الأطفال ، لقد زاد الإعلان حول جرأة ووقاحة وفقدان السيطرة على الأطفال ، وقلة احترامهم لوالديهم ومعلميهم والأكبر منهم سناً بصفة عامة .

ثم إن هناك كثيراً من البيوت المحطمة، التى تجعل أطفالها يفقدون الأمان العاطفى، ويشعرون بمزيد من الضياع نتيجة للطلاق والانفصال والهجرات المؤقتة

والوفاة.. كل هذا يزيد من عدم إحساس الطفل بالأمان ويهدد صحته النفسية .

كيف نكتشف الحاجة للحب والحنان (٣٢) :

ويبدو أن الحب والحنان والدفء في العلاقات الإنسانية هدية كل أم لطفلها فى باكورة حياته .. إن الأمان العاطفى والمودة ووجود شخص ممكن الوثوق به نعم رائعة.. وحرمان الطفل منها أو شعوره بأنه غير محبوب وافتقاده لشخص يحبه حباً شديداً يعد حرماناً قاسياً – وفى هذا الجزء نحاول البحث عن الأطفال، الذين يبدو أنهم لايحصلون على نصيبهم الإنسانى من العواطف الإنسانية، ويبدو أنهم غير محبوبين..

إن الحاجة إلى الحب والحنان تكان تكون من شأن الأسرة وحدها ، والعلاقات بالأم والأب والإخوة توفر هذه الحاجة فى كثيرمن الحالات .

إن الحاجة إلى الحب والحنان كثيراً ما نستدل عليها مما يقوله الطفل .. وعادة ما يعبر مثل هذا الطفل بصراحة عن رغبته فى مظاهر الحنان ، عندما يقول مثلا أنه يرغب لو أن أمه أو أباه يحبه أكثر ، أو أنه يرغب فى أن يحبه والداه بالقدر نفسه الذى كانا يحبانه به وهو صغير ، وفى علاقة مثل هذا الطفل بمعلمه كثيراً ما يعبر عن الرغبة فى الجلوس إلى جواره ، أو قد يقول : «إنك لم تعد تحبنى ..» أو «هل تحبنى أكثر من أى طفل آخر» أو «إنك تحبنى .. أليس كذلك؟» أو «إحضنينى جامد ياماما..» ، ويندر أن نسمع الطفل وهو يصيح : «إنك تكرهنى ! ..» .

إن الرغبة فى مزيد من الاهتمام كثيراً ما يعبر عنها الطفل الذى يحتاج إلى الحب والحنان ، كما قد يقول إنه يود لو أتيحت له فرص أكثر لمناقشة الموضوعات مع والديه ، أو أنه يود لو أن والديه أظهرا اهتماماً أكثر به ، أو التفاتاً أكثر إليه .. ومثل هذا الطفل قد يقول أيضاً : «إنه يود لو أن والديه يلعبان معه أكثر ، أو أنهما لا يكونان دائماً مشغولين لدرجة لا تمكنهما من التحدث إليه ، ومن جهة أخرى.. فإن الطفل المحتاج للحب والحنان قد يعبر عن رغبة فى إظهار حبه، عندما يقول إنه يود أن يكون له شخص يحبه كثيرا ، أو أنه يستطيع أن يفعل أشياء تبين لوالديه كم يحبهما كثيراً – وهذا الطفل قد يكون له أيضاً ميل للدأب على سؤال معلمه أسئلة شخصية .

– إن الطفل المحتاج للحب والحنان يبدو عادة مطالبا بمظاهر الحنان .. إنه قد يكثر من طلب الإمساك بيد أمه أو معلمه أو الجلوس فوق ركبة أمه أو فى حضنها ، وأن تلاطفه الأم أو المعلم .. وهذا الطفل قد يبدى بصفة عامة رغبة فى الالتصاق بالناس أو فى وضع رأسه فوق صدر معلمته .. وبعض هؤلاء الأطفال قد يكثرون من ردود الفعل للهروب كالهرب من المنزل ، وبعضهم قد يجنح إلى الكسل أو الانحراف ،

وقد يكثر من الكذب .. ومن جهة أخرى فقد يظهر انعطافاً نحو الآخرين ، وقد يبدى انجذاباً عنيفاً لأفراد من جنسه أو من الجنس الآخر ، أو قد يظهر عطفاً على الحيوانات أو الدمى أو اللعب ، وكثيراً ما نجد أن مثل هذا الطفل يكون دائما «خادماً» لمن يحب .

– وهو عادة يتشبث بأمه أو براشد مألوف ، وقد يجازف بالخروج وحده حتى ولو كانت سنه لا تسمح بذلك .. وقد يتسم سلوكه عادة بأفعال أخرى ، وقد يكون شديد الحساسية ، ومن السهل إيذاء مشاعره ، خاصة إذا كان النقد صادراً ممن يحب ، وقد يكون عادة متبلد الشعور ، وقلقاً .. وقد يبكى بسهولة ، ويمص إصبعه ، أو يفرط فى الأكل ، وقد يمرض كثيراً وكثيراً ، ما يظهر الطفل المحتاج للحب والحنان اهتماماً كبيراً بالقصص الغرامية ، وقد يكون قارئاً نهماً خاصة لتلك القصص ، أو يغرم بالرومانسية فى الأفلام أو الراديو أو التليفزيون .

– وإذا قلنا لمثل هذا الطفل «لا تأت إلىّ بمتاعبك» أو «إذا لم تستطع خوض معاركك فلا تلجأ إلىّ» أو «اعتمد على نفسك وحل مشاكلك وحدك» فإننا بذلك قد نضاعف من شدة حاجته .. وقد يزداد ذلك أيضاً عندما يقول له المعلم : «لا أستطيع أن أكرس لك كل وقتى» و «أنا لا أحب مثل هؤلاء الأطفال» أو «لماذا تبكى كثيراً هكذا وتتسبب فى تعطيل الدرس» ...

وعندما لا نظهر اهتماماً بالطفل أو بعمله ، وعندما نغض الطرف عن حاجته إلى الحب والاهتمام الماديين ، وعندما لا نجد الوقت اللازم للمناقشة والحديث معه ، أو عندما نخلق موقفاً يتعلق بتنافس الأشقاء الأصغر.. فإننا بذلك قد نزيد من حدة إحساسه بأنه غيرمرغوب فيه وبأنه منبوذ ، ورغم أننا لانستطيع التأكد من ذلك ، فإن مثل هذا الطفل قد يشعر أنه ما من أحد يحبه ، وقد يكون أقصى مايتمناه أن يحتضن ويقبّل ويلاطف ..

وقد يشعر بغضب شديد نحو والديه ، وقد يكره أو يغار من إخوته الأصغر منه ، أو قد تكون هذه المشاعر نحو زوج أمه أو زوجة أبيه ، وكثيراً ما يتمنى مثل هذا الطفل أن تكون وظيفة والده بحيث لا تبعده كثيراً عن المنزل ، وربما شعر برغبة فى الهرب من المنزل ، وقد يشعر برغبة جامحة فى أن يمرض أو يموت ، وقد يحب كلبه الصغير أو قطته أو دميته حباً شديداً ، وقد «يحب» أن يأكل وخاصة الحلوى ، وقد يحب معلمه أو راشداً آخراً حباً شديداً ، ولشعوره دائماً بعدم الأمان والاكتئاب قد يشعر عادة بالرغبة فى البكاء ، وربما رغب فى أن ينتبه إليه المعلم بدلاً من أن يفعل شيئاً آخر ، وقد يشعر برغبة ملحة فى التقاط كل ما يصادفه من قصص غرامية ويقرأها ، وربما

كان هذا الطفل يحب طفلاً آخر فى المدرسة ولداً أو بنتاً ، أو قد يتذكر فى حنين شعوره عندما احتضنته عمته أو خالته ولاطفته .. ومثل هذا الطفل قد يود دائما لو كثر عدد القصص الغرامية فى الأفلام .. ومن المحتمل جداً أن تكون أقصى أمنية له أن يكون محبوباً أو أن يحب شخصاً ما..

الوفاء بالحاجة إلى الحب والحنان :

يبدو أن الأيام الأولى من الحياة تكون حافلة بالحب والحنان، لدرجة أن الفرد يشب مع فكرة عامة بأن الثقة يمكن أن تزرع فعلاً فى العلاقات الإنسانية وأنها شيء رائع تستحق التحقيق ، والواقع أن الذين بنوا هذه العلاقات كانوا مكتملى الشخصية .. ويبدو أن بكل منا حاجة إلى الحب والحنان .. وهناك من الأدلة ما يوحى بأنه فى الأيام الأولى من مرحلة الطفولة، ترتفع نسبة وفيات الأطفال بين الذين لا يحصلون على حب الأم عنها بين الذين يحصلون على هذا الحب .. إن هذه الحاجة إلى الحب والحنان سواء كانت موروثة أو مكتسبة فهى من أهم الحاجات إطلاقاً .

وترتبط الحاجة إلى الحب ارتباطاً وثيقاً بالحاجة إلى الانتماء ، ولكن يختلف كلاهما فى حياة الأطفال الصغار ، وترتبط الحاجة للحب والحنان ارتباطاً وثيقاً بالعلاقات الأسرية فى السنوات الأولى من الحياة ، ومع بداية العاشرة تبدو هناك حاجة إلى هذا الحب وهذا الحنان من الآخرين ، وعندما لا يتحقق ذلك تزداد نسبة الشذوذ فى السلوك .. أما الحاجة للانتماء فترتبط خاصة بالعلاقات الحرة مع أقران السن بالقبول كعضو مساو فى الجماعة (وهنا نجد أن الحب والحنان والدفء العميق يعوضه نسبياً الانتماء الناجح) .

إن كلامنا فى كل مراحل العمر ، وفى علاقتنا اليومية يجب أن يحل هذه المشكلة الخاصة بخلق إحساس بالرضا فيما يختص بالحب والحنان ، ويبدو أننا نحتاج لعلاقات وثيقة للغاية مع بعض الأشخاص المختارين، وأحياناً مع شخص واحد .. والظاهر أنه توجد حاجة إنسانية للدفء والحب العميق فى واحدة أو أكثر من العلاقات الإنسانية ، وحيث لا يوجد الحب والحنان مما يسبب إحباطاً فى هذه الحاجة تتولد النتائج السلوكية المعتادة، والتى تكون أحياناً عدوانية وأحياناً أخرى خضوعية ، ومن نواحٍ أخرى شاذة .

ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة للحب والحنان (٣١ ، ٣٢) :

هناك أشياء كثيرة يمكن للآباء والمربين أن يفعلوها؛ حتى يوفوا بحاجة الأطفال إلى الحب والحنان .. نشير إليها فيما يلى :

– تقبل مشاعر الأطفال : فإذا غضبوا يجب أن يتركهم الآباء والمربون يرون أنهم أيضاً من المحتمل أن يغضبوا في مثل هذه الظروف التى يجدون أنفسهم فيها ، وإذا أصيبوا بأذى وأظهروا ألماً يجب أن يساعدهم الآباء والمربون على أن يفهموا أن رد فعلهم أمر طبيعي ، وإذا كانوا فى حالة يأس أو فقدان أمل.. فمن الحكمة أحياناً أن يجعلوهم يدركوا أنهم هم أيضاً لو وجدوا فى الظرف نفسه لشعروا بالأسى ، وبذلك يؤكد الآباء والمربون للأطفال أن مشاعرهم تلك مهمة، وأنها أصيلة وأنها واجبة الاحترام .

ويجب تقبل مشاعر الأطفال وإدراكهم أن الآباء والمربين يمكن أن تكون لهم مثل هذه المشاعر ، وإقناعهم بأنها مشاعر يمكن لأى شخص طبيعى أن يشعر بها ، كل هذا يسهل للآباء والمربين استطلاع استجابات هؤلاء الأطفال للموقف ، وبالتالى مساعدتهم على إدراك مشاعر أخرى .. ولذلك يجب أن يساعدوهم على إيجاد وسائل كان بإمكانهم أن يواجهوا بها موقفاً معيناً ، ولكن يجب أن يجعلوا دائماً المسار الممكن للفعل يصدر من الأطفال أنفسهم، ثم يساعدوهم على اختيار أفضل البدائل المقترحة لمحاولة اتباعها فى مرة قادمة ..

– يجب أن يكون الآباء والمربون ودودين ومتقبلين بقدر الإمكان سلوك أطفالهم، فإذا أراد الأطفال أن يتحدثوا عن أشياء تبدو غير مناسبة .. فيجب أن يسمح الآباء والمربون لأطفالهم بدقيقة أو دقيقتين إضافيتين ليمكنوهم من الكلام .. يجب أن يحاولوا طرح سؤال أو سؤالين ، ويحاولوا أن يظهروا اهتمامهم بالأطفال ، وإذا كان الوقت ضيقاً يستطيع الآباء والمربون أن يقولوا لأطفالهم إنهم يستطيعون أن يتحدثوا عن ذلك بإسهاب أكبر فى وقت لاحق .

– من المهم أن يجعل الآباء والمربون أطفالهم يعرفون بأنهم يحبونهم ، ومثل هذه المهمة تتم بطرق مختلفة تبعاً لاختلاف مستويات السن .. فما يعتبر مناسباً فى سن مبكرة جداً لا يمكن أن يلائم مراحل سن متقدمة .. إن نبرات صوت الآباء ومدى ما تنطوى عليه أسئلتهم وأجوبتهم من الإخلاص ، وما يظهرونه من لطف وسرور .. كل هذه طرق لإيصال الدفء وخلق جو من الصدقة مع أطفالهم .

– عدم التكلف : فعدم التكلف من مصاحبات الحب والحنان ، وهى علاقة ليس من السهل إرساؤها .. ومع الأطفال الذين يفتقدون للحب والحنان والذين يحاول المربون مساعدتهم ، تعتبر عملية بطيئة النمو – ولذلك يجب أن يفهموا أن عملهم يحتاج إلى وقت ليشركوا الأطفال للعمل معهم ببساطة وود ليصبحوا مؤتمنين معهم ،

وهم عندما يرون من هذه العلاقة يدركون أن شيئاً ما يجرى بناؤه، وله ارتباط بالثقة والائتمان .. وبذلك يستطيع المربون الوفاء بالحاجة إلى الحب والحنان .

– وعندما تتوقع الأسرة وليداً جديداً : فإن الأطفال فى هذه المناسبة يحتاجون للحب والحنان فى هذه الفترة الحرجة؛ ذلك لأنهم قد يظنون أنهم سيفقدون كثيراً مع قدوم العضو الجديد فى الأسرة .. ولذلك يجب على الوالدين أن يهيئوا المناخ أمام الطفل ويعملون على إعداده لمثل هذا لموقف .. وأن يساعدوه على أن يفهم هذا الحدث باعتباره دليلا على نضجه هو ، ويساعدوه على أن يرى كيف يستطيع أن يسهم مع الأسرة فى هذه الأوقات .

– ويمكن للمربين فى المدرسة أن يجلبوا السرور فى نفوس أطفالهم بأن يظهروا اهتمام بأسرهم بطريقة لطيفة ، ويستطيعوا مقابلة الوالدين والتحدث إليهم بعبارات إيجابية عن الإمكانية المستقبلة لنمو الطفل ، وبذلك يشعر الطفل بأن معلميه مهتمون به، ويشعر بأنهم يرفعون من شأن الوالدين فى عينى الطفل، وبذلك يسهل على الطفل الاعتقاد بأن هناك شيئا من الدفء فى علاقة المعلمين به .

– يجب أن يتأكد الآباء والمربون من أنهم يخلقون مواقف خاصة، يستطيعون من خلالها منح الأطفال مزيداً من الحب والحنان ، وأنهم يخلقون مع أطفالهم مشاعر السعادة لإحساسهم بمزيد من الدفء الداخلى وترسيخ علاقة الثقة المتبادلة .

– يجب على المربين فى المدرسة أن يراعوا ظروف الأطفال الذين يأتون من مختلف الظروف ، فبعضهم فقد والديه ويعيش مع بعض الأقارب ، وبعضهم يعيش فى ظروف خاصة ، ويأتون من منازل شهدت حوادث طلاق وزواج ثان . وبذلك يشعر مثل هؤلاء بالحيرة إزاء التغيرات التى حدثت فى «علاقات الحب» التى كانت لهم فى المنزل ، وحيث كان مطلوباً منهم أن يحاولوا حب أم جديدة أو أب جديد ، وعندما يرغب هؤلاء الأطفال فى الحديث عن ذلك.. يجب على المعلم أن يصغى ، وأن يحاول تقوية الأمان الداخلى لدى الطفل بقدر الإمكان .. وأحياناً يضطر المعلم أن يعمل كأب فى مثل هذه المواقف .. فعندما يمسك الطفل بيده ، أو يقف قريباً منه أو يناديه أحياناً «بابا» ويظهر رغبته فى هذا الاتجاه .. يجدر بالمعلم أن يستجيب بالدفء نفسه ، وربما يحتاج لأن يفعل ذلك لفترة قصيرة إلى أن تتكون علاقات جديدة بالمنزل .

– وثمة خطوات أخرى يمكن أن يتخذها المعلم لبناء الأمان وإرساء دعامة الحب فى نفس الطفل الذى يفتقد إلى الدفء والحنان : ففى مناسبات كأعياد الميلاد أو

الأعياد والمواسم نجد أن بطاقة معايدة صغيرة ، أو حفل بسيط بالمدرسة قد يجعل بعض الأطفال يشعرون بأنهم موضع التفكير بطريقة ودية حانية .. وإذا تم تنفيذ ذلك بالطريقة الصحيحة أمكن تقوية الشعور بالأمان ..

– هناك أطفال يجدون متنفساً للحب والحنان، عندما يقتنون حيواناً أليفاً ولذلك يجب على الآباء أن يساعدوا طفلهم على ذلك ؛ فالكلب الصغير أو القط أو عصفور الكناريا يمكن أن يكون هذا الهدف فى حياة الطفل الذى يسمح له بالتعبير عن مشاعر الحب والحنان الدفينة .. وأحياناً فإن هذا النوع من الحيوانات الأليفة التى يمكن الاحتفاظ بها يهيئ متنفساً للطفل .. وعندما يظهر الأطفال هذا النوع من الحب غير الطبيعى للحيوانات.. فيجب ألا ينتقد الآباء هذا الموقف بشدة قائلين بأن ذلك يجب أن يقتصر على الإنسان؛ حيث إن بعض الأطفال ليس لديهم علاقات إنسانية تسمح لهم بالتعبير عن المشاعر القوية .

يجب أن يهتم المعلمون والمربون بظروف الأطفال الذين يفتقدون الحب والحنان : فلأسباب عديدة لا يحصل بعض الأطفال إلا على قدر ضئيل من الحنان فى المنزل .. «إن والديهم لا يتكلمون معهم بطريقة عطوفة» ، «لا أحد يقبلهم قبلة المساء» ، «لا أحد يستمع إليهم وهم يروون ما حدث لهم أثناء النهار» ، «لا أحد يبدى اهتماماً بما قد يواجهونه من فشل أو خيبة» ، بل «ما من أحد يود أن يستمع لأخبار نجاحهم» – ولذلك فإن حياتهم خارج المدرسة لا تشتمل على شيء من الحب والحنان .. ولذلك فيجب على المعلمين أن يتيحوا الفرص، التى تساعد على إشباع هذه الحاجة إلى حد ما ، بأن يصغوا إلى هؤلاء الأطفال ، وأن يسألوهم عن تجاربهم ، ويلقوا إليهم بالتحية بأسلوب ودى ، وأن يضيفوا عبارة «إننا سنراكم فى الغد» .. كذلك فإن الواجبات التحريرية يمكن أن تتيح للأطفال فرصة الكتابة عن تجاربهم السعيدة وغير السعيدة أيضاً ، وعندئذ يستطيع المعلمون والمربون أن يناقشوها مع أطفالهم فرادى .

– وأحياناً يمكن للآباء والمربين أن يبدوا مشاعر الاهتمام بالأطفال فيما يؤدونه من أفعال يشاركون فيها أطفالهم . فأحياناً يمكن أن يصطحبوا الطفل معهم أثناء رحلة مدرسية ، أو إلى حفل ، أو إلى السينما ، أو لتناول الغذاء ، أو إلى مباراة رياضية ، أو نزهة خلوية .. وبذلك يقوموا بتحقيق الأمان الداخلى فى نفوس أطفالهم .

ويمكن أن يظهر المعلم اهتماماً خاصاً بغياب الطفل وخاصة فى فترات المرض، ويدعه يتحدث ، وبذلك يظهر للطفل اهتمامه بحياته وبصحبته وبغيابه عن المدرسة.. فيكون ذلك خطوة فى سبيل إرساء علاقات ودية دافئة .. كما أن مداومة الاتصال به

أثناء غيابه ، والاهتمام بما يفعله أثناء غيابه عن المدرسة هى خطوات أخرى لتدعيم الحنان والحب فى نفس الطفل .

ما يجب أن يبتعد عنه المربون لضمان عدم تهديد الحب والحنان :

هناك بعض الأشياء التى يمكن أن يتجنبها الآباء والمربون ليحتفظوا لأطفالهم بالإحساس بالحب والحنان .. من ذلك :

- يجب ألا يقلل الآباء والمربون من شأن الأطفال ، كما يجب ألا يتيحوا لهم أن يشعروا بالعجز الذى كثيراً ما يساورهم .. بل يجب أن يشعروهم بأنهم سوف يتغلبون على تلك المشاعر بعد لحظات قليلة .. وألا يقولوا لهم إنهم يشعرون شعوراً صبيانياً تجاه موقف معين ، وألا يقولوا لهؤلاء الأطفال أنهم هم الذين أوجدوا أنفسهم فى ذلك الموقف وأنهم هم الملومون ، وبذلك يجب ألا يتعالى المربون على مشاعر أطفالهم بل يوافقوا على أن هذه المشاعر إنما نبتت عن خبراتهم الخاصة ، وبالتالى فهى مشاعر أصيلة ويجب احترامها .

- إلى جانب تقبل مشاعر الأطفال، يجب على الآباء والمربين ألا يقدموا على أى سلوك ، قد ينجم عنه هذه المشاعر .. وبذلك لا يعطون الأطفال انطباعاً بأنهم ما داموا قد تقبلوا مشاعرهم.. فإن ذلك يعنى أنهم يتقبلون كل شىء يفعلونه وباستطاعتهم أن يجعلوا الأطفال يدركون أن سلوكاً ما ليس هو السلوك الواجب.. إن هناك بدائل ممكنة، ويجب أن يتقبلوا المضايقة والنظرة المتعالية ، وأن يتصرفوا فى جو تقبل للشخصية، عندما يكونون بسبيل فحص سلوك معين .

- يجب ألا يظن الآباء والمربون أنهم لا دخل لهم بالحياة العاطفية لأطفالهم، وألا يخشوا إظهار الدفء والحنان فى علاقتهم معهم .. وألا يخشوا أن يضعو يداً حانية على بعض الأطفال ، ويتلفظوا بعبارات الإعزاز ، ولكن يجب أن يتأكدوا من أن ذلك مناسب لسن الطفل وللموقف .. وللأسف .. فإنه كثيراً ما يحرم الآباء أبناءهم - خصوصاً الذكور - من الشعور بالحب والحنان، ظناً أن ذلك لا يتفق مع شخصية الطفل الذكر ورجل المستقبل .

- يجب أن يقترب الآباء والمربون من أطفالهم، ويتجنبوا التفكير كأشخاص منفصلين تماماً عنهم ، ليتمكنوا من مساعدة الأطفال على الوفاء بحاجتهم إلى الحب والحنان ، ولا يجب أن يفرطوا فى نقد أطفالهم . وبدلاً من ذلك يجب أن يستمروا فى الثقة بأطفالهم حتى ولو كانت بعض الخبرات قد أوجبت عكس ذلك .. ومن المحتمل أن يحاول هؤلاء الأطفال أن يخبروا الآباء أو المربين ليعرفوا هل يمكنهم الوثوق بهم

وحتى ولو كانوا أطفالا سيئين .. إنهم يريدون الثقة ، ويريدونها لأنفسهم باعتبارهم شخصيات ، وليس لما يفعلونه .. والواقع أن المعلمين والآباء عندما لا يثقون فى أطفالهم يجدون فى ذلك تعزيزاً لشعورهم الداخلى بأنه لا أحد يريدهم كأفراد .. إن بناء العلاقة المطلوبة يستلزم وقتاً ومثابرة .

– ويجب على الآباء والمربين أن يبدوا قدراً من عدم الاهتمام نحو التغيرات التى تحدث فى وزن الجسم بالنسبة للطفل الذى افتقد الحب والحنان ... فالطبيعة هى المسئولة عن ذلك ؛ أى يتجنبوا إعارة الانتباه للطفل المفرط فى البدانة أو المفرط فى النحافة .. فإذا كان هناك اختلال زائد فى المعدل الطبيعى لوزن الجسم .. فمن المستحسن إعارة الأمر بعض الاعتبار – عن طريق المساعدة المتخصصة والاستشارة النفسية ، ولا تتجنب هذه المسائل الزائدة لأنها عادة تنطلق إلى أسوأ مع مرور الوقت وقد تصبح بالغة الأثر ومحبطة فى سن المراهقة وخاصة بالنسبة للبنات – والاهتمام بهذه المسائل فى المراحل المبكرة من العمر كثيراً ما يؤتى ثماراً قيمة فى العلاقات الإنسانية .

– يجب ألا يرفض المربون محاولات الأطفال لتقديم خدمات بسيطة لهم أو تقديم بعض الهدايا الرمزية غير المكلفة .. أما إذا كان ذلك مما لا يجب عمله، فعلى المربين أن يعالجوا الموضوع على انفراد وبكثير من اللباقة ، وبطريقة تشعر الطفل بأن المربى قد تأثر كثيراً بالموقف ، وأنه قد أصبح يشعر بغبطة بالغة لهذا التقدير .

– يستطيع الآباء والمربون أن يراعوا عدم صد الطفل أو إبعاده عنهم، بأن يحاولوا التعبير عن ذلك بقسمات وجوههم أو بعلو أصواتهم .

– يجب أن يتجنب الآباء والمربون بقدر الإمكان أى تجاهل لاسم الطفل وكنيته، فنقول له مثلا : «إنت بعينك» ... إلخ . بل الأفضل ذكر اسم الطفل دون تجاهله لأن تجاهل اسم الطفل فيه احتقار له ما دام أن المربى يعرف الطفل واسمه جيداً .. ولا يجب أن يقول له المربون : «أنا لا أحبك» ، عندما يجدوا أن عمل الطفل المكلف به دون المستوى المطلوب .. ويجب أن يكونوا واضحين مع الطفل بقدر الإمكان بالنسبة لبعض السلوكيات كأن يقول المربى «هذه الكلمة التى قلتها ..» ، أو «تلك الجملة» . أو «هذا الحادث بالذات» دون ذكر صريح لما يريد الإشارة إليه ، وعلى المربى أن يتجنب أيضاً الجمل التى تتضمن امتداح شخصيته دون ذكر اسمها كأن يتجنب إبعاد الطفل كشخصيته ، ويقول (إنت نفسك – بعينك) بدلاً من ذكر اسم الطفل، والأفضل تحاشى استخدام الضمائر الشخصية مادام فى إمكانه ذكر اسم الطفل.

– إن الطفل الذى يعانى مرضاً يكفيه ما يعانيه : ولذا فعلى الآباء والمربين ألايضيفوا إلى ذلك الإحساس بأن ما من أحد يفتقده أو يسأل عنه ... فإن ذلك يضيف إلى مرضه الشعور بمزيد من الأسى ، ومن هنا يجب على الآباء والمربين أن يعملوا على توثيق العلاقة مع الطفل الذى كان مريضاً، وقد تكون تلك فرصة ثمينة لإبداء علاقة أكثر وداً وقرباً .

– يجب أن يكون المربون متفائلين وألا يكونوا متشائمين ، وأن يعملوا مع هذا الجيل الجديد بطريقة تجعلهم ينظرون إلى العالم كمكان بهيج، يلذ استطلاعه وبمساعدة بعضهم البعض ومساعدة الآخرين يستطيعون إنجاز الكثير ، كما أنه ينبغى على المربين أن يقدموا لهم أمثلة للعلاقات الطيبة مع الناس .

– يجب ألا يعزل الآباء والمربون أنفسهم كلية عن حياة الأطفال .. بل من الممكن أن يقوموا من وقت لآخر بأعمال توحى للأطفال أنها تضحية من حياتهم الخاصة ، ويحسن أن يتركوا الأطفال يشاركونهم فى أعمالهم وفى حياتهم .. يجب أن يتجنب المربون التفكير فى أن مسئولياتهم تنتهى تماماً بانتهاء اليوم المدرسى – ويتجنبوا التفكير فى أنه لا توجد عليهم أى التزامات نحو الحياة بعد المدرسة، بالنسبة للأطفال الذين يحتاجون للحب والحنان ..

– يجب ألا يتجنب المربون انتقاد السلوك الذى يميل إلى الجانب العاطفى ؛ على اعتبار إدراكهم أن بعض الأطفال لا يستطيعون الإفصاح عن مثل هذه المشاعر فى المواقف المتعلقة بالمنزل ، فيجب أن يفهم الآباء والمربون الدور الذى تلعبه الحيوانات الأليفة بالنسبة للطفل غير العادى.. فيبدى الآباء تقديرهم لحيوان معين دون أن يكشفوا عن علمهم بالوظيفة التى يؤديها .. ويستطيعوا أحياناً خلق مواقف لأن يتيحوا لهؤلاء الأطفال فرصة الظهور، متجنبين الانتقاد أو إظهار عدم الرضا عن مثل هذا السلوك .

– فى المواقف التى يتوقع فيها وصول أخ جديد أو أخت جديدة ، يكون من المهم أن يلقى الطفل الأقدم تعزيزاً .. ويجب ألا يبالغ الآباء فى تمجيد الوليد الجديد متغاضين عن حاجة الطفل الأول للحب والحنان والدفء فى علاقات الآباء .. ولذا يجب ألا يهملوا أى فرصة لإظهار اهتمامهم بالطفل فى هذه الظروف .

– يجب أن يتجنب الآباء والمربون إعطاء الأطفال الانطباع بأن مشاكلهم الخاصة لا تهمهم ، وأن يتجنبوا بقدر الإمكان فكرة أنه يجب عدم التدخل فى مواقف الأطفال المنزلية، أو أنه يجب عدم الاهتمام بالمشاكل التى تنشأ بين الأطفال ، وألا

يتباعد المربون عن الأطفال الذين يريدون أن يظهروا الحب والرقة ، فالواضح أنهم يريدون شخصاً يحبونه ولذلك فهم يختارون أحد معلميهم .. وهنا يجب أن يكون المعلم متقبلاً لهم بقدر الإمكان ؛ إذ إن رفضه لمحاولات الأطفال فى التقرب منه يجعل إحساسهم بالأمان الداخلى يتضاءل .

– ومما يدعو للأسف إهمال الأطفال بمعنى أن أعياد ميلادهم تنسى ، والزائر حين يسلم على كل الأسرة ينسى أو يتجاهل السلام على يد صغيرة ممدودة له .. إلخ. إن بعض الأطفال لا يحظون بتلك المواقف التى تدخل الدفء والحنان فى نفس الطفل، والتى توفرها مناسبات اجتماعية عديدة ، وتبدى أن المربين والآباء غير مبالين بنمو الأطفال والإحساس بوجودهم ، وكذلك يجب عدم الاقتصار على المسائل التعليمية فقط فى المدرسة، بل يجب الاهتمام بحياة الأطفال كاملة .

يجب أن يتجنب المربى عدم الاهتمام بحياة الطفل خارج المدرسة متعللاً بقصور البيئة .. فيجب ألا يهمل البحث عن شىء يتعلق بالحياة العاطفية للطفل خارج المدرسة . ودون التدخل فى حياة الطفل.. يمكن أن يخلق مواقف يستطيع الطفل فيها أن يتكلم إذا أراد ، ولا يظن أن الحياة الاجتماعية خارج المدرسة لا تؤثر فى سلوك الطفل أثناء الدراسة .

كيفية إشباع الحاجة للحب والحنان :

يستطيع أدب الأطفال فى برامجهم بالتليفزيون إشباع هذه الحاجة إلى حد كبير، فالطفل الذى يشاهد تمثيلية لأسرة سعيدة بأبنائها ، يشيع الحب بين أفرادها أخذاً وعطاءً قد تتاح له الفرصة ليبادلهم هذا الحب ، وقد تنتقل إليه هذه المشاعر ، بل قد يتقمص شخصية أحد أطفالها ممن يحظون بهذا الحب فى أسرهم . والحاجة إلى الحب كما هو معروف يبدأ إشباعها فى أسرة الطفل فالمدرسة ثم تتسع لتتمثل الكون كله .. فالطفل يشعر بسعادة وهو يتبادل هذا الحب مع الآخرين من رفاقه ومعلميه .

وكثيراً ما تكون التمثيليات التى تقدم للطفل أشكالاً مختلفة للعلاقات مع الناس والكائنات ، عاملاً يساعد على توسيع دائرة الحب عنده فتغرس فى نفسه الاتجاهات الطيبة نحو الناس ، والطفل الذى ينشأ على حب الآخرين يتقبل منهم ضعفهم ، ويشاركهم آلامهم ، ويرثى لأشكال العجز التى تصيب بعضهم.. إنه يتوحد مع الكون ، ويحترم فيه عناصر القوة ، ويقدر أشكال الضعف ويحس بها ، وتوحد الطفل وتعاطفه مع الآخرين يعنى أنه يستطيع أن يضع نفسه مكان الآخرين ، وبالتالى يحس إحساسهم ويشعر بمشاعرهم .

وفى قصص الأطفال ما يشبع هذه الحاجة للحب والحنان إلى حد ليس هيناً؛ ففى قصص الكيلانى ، وأحمد نجيب ، وعبد التواب يوسف ما يمس هذا الوتر عند الطفل ، وما يقدم له من نماذج للعلاقات بين الطفل والآخرين .. إن مجرد قصة طائر صغير يحنو على أبنائه ويدافع عنهم ، كثيراً ما تترك فى نفس الطفل من الإحساس والمشاعر ما تعجز عنه كلمات الوعظ والإرشاد والحث على أن يحب غيره .. إلخ .

وعلى هذا .. فالطفل الذى يحرم فى حياته من إشباع هذه الحاجة إلى الحب أخذاً وعطاءً قد يجد فى القصص التى تصور هذه العاطفة عوضاً وعزاءً ولو إلى حد ما .. (٢٧) .

ثانياً : الحاجة للانتماء The need for belonging

المرء فى حاجة إلى أن يشعر بأنه فرد من مجموع، تربطه بهم مصالح مشتركة تدفعه إلى أن يأخذ ويعطى ، وإلى أن يلتمس منهم الحماية والمساعدة ، كما أنه فى حاجة إلى أن يشعر بأنه يستطيع أن يمد غيره بهذه الأشياء فى بعض الأحيان (١ : ٤١) .

وتنمو هذه الحاجة أيضاً مع الطفل من الشهور الأولى للطفل.. فالألفة التى تخلقها المحبة داخل الأسرة تنقلب إلى ولاء لهذا المجتمع الصغير ، ثم تنتقل الحاجة إلى الانتماء للجماعات الأخرى، التى يجد فيها الطفل إشباع حاجته إلى الأمن العاطفى (١٦ : ٣٩) .

فالطفل كعضو من أعضاء الأسرة يبدأ فى الشعور بأنه ينتمى إليها ، وكلما تقدم به العمر يزداد هذا الشعور بالانتماء إلى أسرته رسوخاً ، ومع التفاعل المتبادل مع أبويه يرى أنه ينتمى أيضاً إلى آباء آخرين وإلى أصدقاء للوالدين ، وقد تتاح له الفرص للاحتكاك بأطفال الجيران ، وأطفال أصدقاء الوالدين ، وبأطفال مجموعات ما قبل المدرسة .. وكنتيجة للعلاقات الدافئة الحانية مع الأم يتقبل الكائنات الإنسانية الأخرى تقبل الثقة ، «كأناس طيبين» ، ويتعلم أنه ينتظر منه هو أيضاً أن يكون ودوداً نحو الآخرين ، وأن يجد أناساً يحبهم ويحبونه .

بمرور السنين يدرك الطفل أن الانتماء هو من الأشياء التى تلقى تقديراً وأن المودة نحو الآخرين ، وجعل الآخرين يرغبون فى صداقته تعتبر توقعات طبيعية ، وهو يتوقع أن يكون جزءاً من المجموعات التى يشترك فيها ، ويتوقع أن يشترك معهم لا أن يكون منبوذاً منهم .

وتشبع هذه الحاجة إذا شعر الطفل أنه ليس قائماً بمفرده ، وإنما عضو فى مجموعة، يشعر فيها بوجود علاقات طيبة بينه وبين غيره، وواجب المربين أن يتيحوا للطفل فرص العمل الجماعى والنشاط التعاونى فى الأسرة مع أخوته ومع زملائه فى المدرسة؛ مما يشعره بأنه ينتمى إلى جماعة وأن جماعة ما تنتمى إليه (٢١ - ٤١) .

ولكن فى بعض المواقف الأسرية وفى السنوات الأولى من حياة الطفل قد ينمو الأطفال فى ظروف، تكون فيها المواقف أو الاتجاهات نحو الآخرين متسمة بالشك أو بالعداء ، وقد يوجد آباء يبثون فى أطفالهم فكرة نبذ الآخرين وعدم التودد مع الناس بصفة عامة ، وقد ينشأ ذلك أيضاً إذا ظل الطفل وحيداً طوال الوقت ، أو إذا لم يكن مرغوباً فيه من جانب الرفاق من سنه .. وعندما ينشأ هذا الموقف فإن حاجة الطفل إلى الانتماء يصيبها الإحباط، وتنعكس بالتالى نتائج هذا الإحباط على طريقة سلوكه.

كيف يكتشف المربون نقص هذه الحاجة : (٢١) ، (٣٣) :

الطفل الذى يشعر بأنه مهمل أوغير مرغوب فيه يشعر بأنه لايجد من الأصدقاء العدد الذى يريده ، أو أنه لم ينجح فى تكوين صداقات مع الذين تهمه صداقتهم ، فإنه يشعر بأنه منبوذ أو مرفوض بشكل ما أو يشعر بأن به ما يعيب .. إنه يحتاج إلى الانتماء، وإلى أن يصبح فرداً من الجماعة، ومن ثم فإنه يعبر بكثير من الطرق عن رغبة شديدة فى أن يصبح عضواً فى مجموعته فنجده غالباً ما يقول لآبائه أو معلميه: «لماذا لا أكون عضواً فى هذا النادى أو هذه الجماعة؟ » أو «لن يقع علىّ الاختيار أبداً لكى أكون عضواً فى أى جماعة» أو «أود لو يطلب منى أحد زملائى أن أذهب معه إلى السينما أو إلى منزله» .. أو «لماذا يكون الأطفال الآخرون مشغولين دائماً فلايذهبون معى إلى أى مكان؟ » أو «ما من أحد يطلبنى تليفونياً ..» . مثل هذه التعبيرات تعبر عن نقص الحاجة للانتماء عند مثل هذا الطفل .. وفى عدد آخر من المظاهر يعبر هذا الطفل الذى يشعر بالوحدة عن رغبته فى مزيد من الأصدقاء ، وذلك عندما يقول بأنه يود لو لم يجد نفسه وحيداً معظم الوقت ، أنه يود لو أن هناك عدداً كبيراً من الصغار يعيشون معه ، أو لو أنه يقطن فى حى آخر - وكثيراً ما نسمعه يقول : «أود لو أن والدىّ يسمحان لى بدعوة أطفال آخرين إلى المنزل، ونقضى معاً وقتاً طيباً كما تفعل الأسر الأخرى» .. أو «أو لو أن لى زميلا ألعب معه بعد المدرسة وأيام العطلات» .. وقد يشكو قائلا : «فى كل مرة أطلب من الأطفال الآخرين الذهاب معى إلى مكان ما، فيرفضون بحجة أنهم مشغولون أو لديهم شيئاً آخر يفعلونه ، أو أنهم لايريدون» .. إنه يبدأ فى التفكير فى أنه لابد وأن يكون مختلفاً عن الآخرين .. ولذلك

نسمعه أحياناً يقول : «أود لو أن الأطفال الآخرين لا يعتبروننى مختلفاً عنهم» .. أو «أود لو أنهم لا يشتموننى أو يهزأون بى» .. أو «أود لو أكون بارعاً فى الألعاب لكى يرغب الآخرون فى ضمى إلى فريقهم» .. وكثيراً ما نسمع عبارات التعلل والتمنع فنجد الطفل نفسه وحيداً منبوذاً، فيقول : «إننى لا أريد الانتماء لأى شىء» أو «إننى على كل حـــال لم أكن أرغب فى ذلك» أو «لا يهـــمنى» أو «إننى لا أحب هؤلاء الأطفال» ..

وكثير من المعلمين والآباء يسمعون مثل هؤلاء الأطفال ، وهم يقولون مثل هذه العبارات، وقد يكونون مشغولين عنهم بأشياء أخرى أو غير حاسين باحتياجاتهم للانتماء؛ فالطفل موجود «فى الجماعة» وهناك أطفال حوله فى كل مكان فلماذا يشعر بالوحدة أو الغربة .. ؟

وتتجلى هذه الحاجة الملحة للانتماء أيضاً فى الطريقة التى يتصرف بها الطفل فإحساسه بأن الجماعة تنبذه المرة بعد الأخرى يجعله يؤثر البقاء على هامش النشاط الجماعى .. إنه كثيراً ما يبقى فى مقعده مشغول البال متفرجاً فى معظم الأحيان ، ونادراً ما يكون فى وسط الأحداث فلا يشارك بنشاط ويأتى إلى المدرسة منفرداً ويتباطأ خلف الباقين، وهم عائدون إلى منازلهم ، بل إنه أحياناً يعبر الشارع ليتجنب مقابلة الأطفال الآخرين .. وأحياناً يشعر هذا الطفل الوحيد بالحاجة للانتماء بدرجة يتحول معها إلى العدوانية . فقد يحاول شق طريقه داخل الجماعة ، وعندما يطلب منه الجماعة المشاركة فى العمل أو اللعب قد نجده يرفض هذه الدعوة فى تحد .. إنه يبدو وحيداً ويشعر أنه مهجور، وليس لديه إحساس بأن أحداً هو أعز صديق له ، إنه لا يشعر بأن هناك من يستطيع أن يأتمنه على أسراره ومتاعبه واهتماماته وربما مطالبه وحاجاته الدفينة .. إنه يشعر بأنه على الهامش منسياً ، إن لديه إحساساً عامًّا بعدم الأمان وبأن عالمه مهدد ، إنه يشعر بأن أحداً لا يريده ، وعندما يمتدح على ما فعله أو ماقاله يشعر بأنه يود رفض هذا المديح .. إنه يريد أن يشعر بأن شخصاً ما يرحب به دون اعتبار يذكر لأى تفوق قد يبديه.. إنه يريد أن يشعر بأن هناك مكاناً يستطيع أن يلجأ إليه ويشعر بالترحيب فيه .. إنه يريد أكثرمن أى شىء آخر أن يسترخى ، يريد أن يكون واحداً مع الآخرين ، يود لو أنه لا يضطر لبذل جهد للظهور، أو ترك انطباع جيد أو يفرض رأيه ، إنه يود أن يخلق جواً يشعر فيه بالانبساط بدلامن التوتر .. إنه يشعر بأنه عديم الحيلة ، وبأن مكانته الشخصية فى تدهور .. إنه يشعر بأن الأطفال الآخرين مرضّى عنهم ، وأنه يختلف عنهم لأنه غير مقبول .. إنه يصرخ فى داخله إنه غير مطلوب .

– وقد يظهر نقص الحاجة للانتماء لدى الطفل بطريقة أكثر عمقاً والشعور بأنه غير مرغوب فيه إذا أرسله والداه إلى مدرسة داخلية خاصة ليعيش بعيداً عن المنزل ، أو إذا قيل له : «عندما يأتى الضيوف عليك أن تبقى فى حجرتك» أو «عندما يبقى ضيوف راشدون اضطروا للمبيت قد يطلب منه التخلى عن حجرته» .. إن هذا الطفل كثيراً ما يترك فى المنزل وحده أو مع خادمة، وهو يعلم أن والديه ذهبا إلى السينما أو زيارة وكان يتمنى أن يكون معهما . وهذا الطفل غالباً ما يترك أمر رعايته كلية إلى مربية أو خادمة ...

وفى المدرسة قد يبعث به المعلم إلى خارج حجرة الدراسة أو إلى الفناء أو إلى حجرة الناظر عقاباً له على أى شىء فعله ، وقد يضعه فى آخر الصف وكثيراً ما يجد عديداً من الانتقادات الشخصية فى وجود المجموعة وبشكل علنى يحرجه .. إن هذا الطفل كثيراً ما يسمع أحد الراشدين يقول له : «ألا تستطيع أن تلعب وحدك بعض الوقت ؟ أو «إننى لا ألوم الأطفال لعدم حبهم لك» أو «إنك لا تصلح لهذا الدور» ... إلخ.

– الوفاء بالحاجة للانتماء : (٣٣)

لكى يشعر الطفل بالرضا عن حياته.. فإنه يحتاج لبعض الإحساس بالانتماء ، ويحتاج للالتقاء بأشخاص يحبهم ويحب أن يتواجد معهم ، فضلاً عن ذلك فهو يحتاج إلى أن يجد من بين أقرانه أطفالاً يحبونه ويريدونه .. إنه يريد أن يكون جزءاً من مجموعة عمل ، ويريد من الناس الذين يعرفهم أن يذكروه عندما يقررون عمل شىء ما ويشركونه معهم .. فإذا تغيب عن المدرسة، فإنه يحب أن يشعر بأنه مفتقد وأن زملاءه يسألون عنه ، وأن المجموعة دونه ليست كما هى فى وجوده .. إن كل طفل يحب أن تتواجد فرص يرغب فيها الأطفال الآخرون أن يكون معهم ، وهو يشعر بسرور عندما يختارونه ضمن أعضاء جماعة معينة ، أو يريدونه ضمن فريقهم ، أو يطلبوا منه أن يرافقهم إلى السينما أو فى رحلة بالدراجات.. إن الأطفال يشعرون بالعزلة إذا حدثت هذه الأشياء لأصدقاء لهم، فى حين لم توجه الدعوة لمشاركتهم مع زملائهم الآخرين، وكذلك فى الحفلات الخاصة التى تقام فى منازل الجيران أو فى أى مناسبات أخرى، يجتمع فيها الصغار دون توجيه دعوة للطفل المحروم من الانتماء.

وعندما يتواجد إحساس بالانتماء يشعر الأطفال بأنهم مرغوب فيهم ، بل محتاج إليهم ، ويولد لديهم إحساس بالعلاقة ، إحساس بأنهم جزء من المجموعة ، مثل

هذا الشعور هو الذى يزيد من الأمان الداخلى .. أما الشعور بالعزلة فإنه ينتهى أحياناً بإحساس عميق بعدم الأمان عند الطفل ، ويصبح عالمه مهدداً .. والطفل الذى يحتاج للانتماء يكون عادة فى حالة توتر .. إنه يرغب أكثر من أى شيء آخر فى الارتخاء ، وأن يكون واحداً مع الآخرين ، وفوق كل ذلك يوجد إحساس بعدم الحيلة .. إحساس بعدم الأمان .. إحساس بانحسار القيمة الذاتية .. إحساس بأنه لابد وأن يكون مختلفاً عن الآخرين لأنهم لا يقبلونه ، بينما يجد أن الآخرين فى حالة جيدة .

وعلى هذا .. فإن هناك كثيراً من الأشياء التى تجعل الأطفال يشعرون بأنهم مرغوب فيهم، وبأنهم جزء متكامل من المجموعة وبأنهم ينتمون فعلاً لها ، وكذلك فإن هناك كثيراً من الأشياء التى يفعلها الناس تجعل الأطفال يشعرون بأنهم غير مرغوب فيهم، وبأنهم لا ينتمون للمجموعة – وسنوضح ذلك فيما يلى :

– ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة للانتماء: (٣٤)

هناك أشياء كثيرة يمكن للمربين من آباء ومعلمين أن يفعلوها؛ من أجل إشعار الطفل بأنه مرغوب فيه وأنه مطلوب، وبذلك يشعر بإشباع حاجته للانتماء من ذلك :

– إذا تغيب الطفل يوماً أو يومين عن المدرسة، فيجب على المعلم أن يشعر طفله بافتقاده ، بالسؤال عنه أو الاتصال به تليفونياً أو يجعل بعض أطفال الفصل يقومون بذلك ، أو يكتب كل طفل فى الفصل رسالة قصيرة للطفل يسألون فيها عن صحة زميلهم إذا كان مريضاً ، وعند عودته يرحبون بعودته ويبينون له أنهم مسرورون لعودته وأنهم افتقدوه فى غيبته ، ويجعل الزملاء يساعدونه فى كل ما فاته من دروس .

– يمكن لمعلم الفصل أن يُشعر الطفل الذى يتواجد لديه إحساس بالنبذ بأنه يحبه ويشاركه دائماً فيسير معه فى الشارع إلى محطة الأتوبيس، أو إلى قرب منزله أثناء عودته إلى المنزل بعد انتهاء اليوم المدرسى ، أو يقضى معه فترة الفسحة ، وأن يبدى اهتماماً شديداً بنشاطه الذى يتعدى حدود المنهج ، ويحاول أن يعرف ما يفعله خارج المدرسة ، وأن يبدى اهتماماً بنجاحه فى تلك الأفعال، وأحياناً يحسن دعوة الطفل إلى السينما أو إلى حفل موسيقى أو إلى رحلة مدرسية أو نزهة عائلية ، وأحياناً يمكن التخطيط للاحتفال بعيد ميلاد طفل فى الفصل.. إن ترديد عبارات «عيد ميلاد سعيد» أو تناول بعض الحلوى بين الأطفال وبعضهم أو أى تعبير آخر بالاعتراف بأن عيد الميلاد قد حل، إجراء مهم يجعل الأطفال يحسون بأنهم محبوبون مرغوب فيهم ، ويحتاج الآخرون لمشاركتهم فى كل ما يفعلونه .

– وإذا تواجد طفل جديد فى المجموعة يمكن أن يكون المعلم أخ أكبر ،أخت كبرى، يقوم بإرشاد الوافد الجديد وتقديمه للأطفال الآخرين ، والمساعدة على إحساسه بأنه ليس غريباً ، ومن ثم يشعر الطفل باعتباره لذاته ويساعد على الإحساس بأنه ينتمى إلى جماعة الفصل ، ويجعله يرغب فى أن ينتمى إلى جماعة الفصل .

– ويمكن للمعلم أن يجعل كل طفل يشعر بأنه مرغوب فيه، ومطلوب بأن يعمل تغييراً مستمراً فى لجان جماعة مجلس الفصل بصفة دورية كل أسبوعين ليجعل كل طفل فى الفصل يشارك فى اللجان المختلفة، وأن يكون رئيساً للجنة وأن يمنح المسئوليات أو التكريم بحيث يشاركون فى الجوائز ، وأن يضفى اعترافاً بالأعمال التى تتم خارج المدرسة ، وأحياناً يمكن إلقاء بعض الملاحظات عن المظهر أو الهندام ... إلخ .

– وأحياناً يجب على المعلمين أن يسألوا أطفالهم عما يزمعوا أن يكونوه عندما يكبرون؛ مما قد يدل على الاهتمام بهم وإن كان على المدى البعيد .. وأن يسألوهم عن هدفهم الحالى ، وعن الأشياء التى يرغبون فى تعلمها أو يرغبون فى عملها ..

وبالمثل يشعر الأطفال بالانتماء إذا ما وجدوا حرية فى الفصل ، وإذا كان ما نطلق عليه متطلبات النظام ليس متشدداً فوق العادة .. فالأطفال يبدأون الإحساس بالانتماء، إذا استطاعوا أن يشاركوا فى وضع بعض القواعد، ومن ثم يمكن إخبارهم بما يجب أن يفعلوه وما يجب ألا يفعلوه ..

– ما يجب أن يبتعد عنه المربون لإشعار الطفل بالانتماء : (٣٤)

لو ظهر عدم مبالاة المربين لغياب الأطفال الذين لديهم احتياجات لم تشبع فلايجب أن يتغاضوا عن مشاعرهم خارج الأنشطة .. ويجب ألا يعتبروا وجودهم بالمدرسة أمراً مسلماً به كبقية الأطفال وبالتالى يهمل الترحيب بهم عند عودتهم ، أو ينظرون إليهم باعتبارهم أشخاصاً متكاملين، لا يحتاجون لمثل تلك الكلمات المطمئنة الصغيرة، التى تجعل الفرد يحس بالراحة حتى ولو كانت احتياجات لا تواجه إهمالاً ..

ويجب على المعلم ألا يشكو أو يتذمر من المجموعة كمجموعة، أو من الطريقة التى يميل إليها بعض أفراد المجموعة إلى إفساد مكانة المجموعة .. وفيها يختص بهؤلاء الأطفال بصفة خاصة.. يجب ألا يتجنبهم المعلم أو يقلل من شأن جهودهم فى سبيل الاتصال به ، ولا يهمل أفكارهم ولا يحاول إبعاد أحد هؤلاء الأطفال عنه؛ لكى يتمكن من الحديث براحة مع طفل آخر .

ويجب على المربين ألا يكونوا غير ودودين فى كثير من العلاقات ولا يفعلوا ذلك على حساب أنفسهم ، ولا يهملوا الدفء والود المطلوبين داخل الجماعة .

ويجب على المعلمين ألا يجعلوا من الفصل حجرة قاصرة على العمل ولا يسمح فيها بالمرح ؛ أي لا يجب أن يجعلوا جو الفصل فى جدّ وكدّ متواصل دون أن يتخلله شىء من المرح ، فالتشدد الدائم يجعل المعلم يبعد عن الأطفال ، ويجعل الأطفال يخشونه نتيجة إهماله المشاركة معهم إلا كحارس لهم .. ويجب أن يعرف أن مهمته ليست ذات طابع أكاديمى صرف، وأن الطفل متى حقق المعطيات العلمية لدرجة ما فإن كل شىء يكون على ما يرام ..

ويجب على المعلم ألا يضع نمطاً يسمح بالمحاباة ، ولا يجعل عدداً قليلاً من الأطفال يؤودن العمل كله ، ويجب ألا يجعل نظام الانتخاب لمجلس الفصل يعرقل الفرص أمام عدد كبير من الأطفال للمشاركة فى عمل المجموعة ، ولا يجعل الافتقار إلى المقدرة يحول دون إتاحة الفرصة أمام الأطفال ليتعلموا أو يختلط بعضهم ببعض .

– كيف يمكن إشباع حاجة الطفل للانتماء :

تستطيع برامج الأطفال التليفزيونية أن تتناول حركة الطفل فى الدوائر المختلفة؛ لتشبع حاجته للانتماء من خلال تصوير العلاقات الطيبة العديدة بينه وبين أفراد أسرته ومدرسيه وزملائه ، وتشعره بمكانته بينهم ، وتغرس فى نفسه الثقة بذاته وبمكانته فترضى حاجته هذه .

والقول نفسه يصدق على البرامج التليفزيونية التى تصور أطفالاً حرموا من إشباع هذه الحاجة، ولكنهم لم يستسلموا بل ناضلوا حتى ظفروا بها ، سواء على مستوى الأسرة أو الأقارب أو المدرسة أو المجتمع المحلى أو العالمى أو الإنسانى .. وعلى سبيل المثال فإن مسلسل «الجذور» Roots الذى ظهر فى حلقات على شاشة التليفزيون قد تابعها الكبار والصغار على السواء ، فقد كان الصغير ينتظرها قبل الكبير مع أن معانيها وحوار شخصياتها وما فيها من أحداث فوق مستوى إدراك الطفل بصفة عامة .. إلا أن هذه القصة التى تناولت الزنوج كأقلية مهضومة حقوقها فى المجتمع الأمريكى، ثم صورت نضالهم من أجل هدفهم .. إلخ ، قد تركت أثراً كبيراً فى نفوس الجميع والأطفال على وجه الخصوص ..

ولا زلت أذكر تعليقات الكثيرين من الأطفال الصغار على رأى كاتب القصة «إليكس» وهو يبحث عن جذوره وأصله فى رحلته إلى أفريقيا ، وكيف كانت سعادته حيث عرف موطن أجداده الأصلى وأقاربه بالدم .. إلخ .. وكانت فرحة الأطفال لأنه

رجع إلى بلده وعرف أهله .. وكم تمنوا لو عاش معهم .. إلخ .

مثل هذه القصص يخرج الطفل منها بأن لكل إنسان جماعته التى ينتمى إليها ، وينبغى أن يفخر بها ، مهما كانت نظرة الآخرين لها .

وكذلك يمكن أن يكون نشيداً وطنياً مثل «مصر .. مصر أمنا» ، إذا ما اشترك التلاميذ فى أدائه عاملاً على إشباع هذه الحاجة ، أو إذا ما اشترك الأطفال فى عمل جماعى كالفرق الرياضية أو جماعات فنية .. إلخ .. هذه المواقف قد تشعر الطفل بانتمائه إلى جماعة ، غالباً ما يحرص على نجاحها ، ومكانته فيها ، ولعل هذا يشبع حاجته إلى الانتماء والقبول الاجتماعى (٢٧) .

ثالثاً : الحاجة إلى الإنجاز (٣١) The need for achievement

تظهر هذه الحاجة فى ميل الطفل إلى التعبير عن نفسه والإفصاح عن شخصيته فى كلامه وأعماله وألعابه ، وكل ما يشترك فيه ويقدمه من خدمات للآخرين فى حدود قدراته وإمكاناته (١) ، وتشير أيضاً إلى رغبة الطفل فى أن تنمو مهاراته إلى الحد الذى تسمح له بالسيطرة على جوانب بيئته (٢) ، وأن ينجح فى أداء ما يكلف به من أعمال ويرى نتيجة عمله ماثلة أمامه (٣) .

ويرى «ماسلو» بشأن هذه الحاجة أن كل فرد يستطيع عمل شىء بما لديه من استعدادات وقدرات وإمكانات من خلال توظيفها ؛ فشعور الفرد مثلا بأن لديه استعداداً للموسيقى يؤهله لأن يكون فناناً – سوف يظل يلح عليه ليوظف هذا الاستعداد ..

وتبدأ هذه الحاجة فى الظهور فى حياة الطفل فى السنتين الأوليتين بمحاولات الطفل الجاهدة فى أن يقف ويمشى ، وفى بنائه المتأنى للأبراج من مكعبات الخشب ، ومن إصراره على أن يقوم بتغذية نفسه ، وعند الأطفال الذين فى سن المدرسة الابتدائية تتضمن هذه الحاجة الإحساس بكفاءتهم فى الأعمال، التى تتصل بالكبار من قبيل إتقان المهارات الحركية والعقلية وتعلم كيفية التفاعل مع الآخرين (١) .

ومن خلال الإنجاز يشعر الطفل بنفسه كشخص مستقل له أهداف ، وباستطاعته التأثير على البيئة المحيطة به .. إنه يبدأ فى أن يكون شخصاً له قيمته ؛ خاصة عندما يقدره أبواه ويمتدحانه ويشجعانه ، وبهذه الطريقة من المكافأة يبدأ فى تكوين شخصيته الخاصة .

ويشبع هذه الحاجة إمداد الطفل باللعب والأدوات، التى يستطيع أن يعمل منها شيئاً يتناسب مع قدراته ، وخلق بيئة غنية بمواقفها ومثيراتها بحيث تتاح للأطفال

فرص العمل وفرص الإنتاج وفرص إظهار ما عندهم من قدرة وابتكار .. وبذلك يستطيع الطفل أن يحقق ذاته من خلال العمل والإنجاز دون اتكال ..

– كيف يكتشف المربون هذه الحاجة (٣٥) :

يبدو على بعض الأطفال الإلحاح فى طلب الاهتمام بهم .. ويشعرون بالحاجة لمزيد من المدح والاعتراف بهم ، وهنا تبرز الحاجة الشديدة للإنجاز وللجهد الناجح ولامتداح ما يقوم به مثل هؤلاء الأطفال وما ينجزونه ..

ويظهر الأطفال الذين لديهم احتياج عاطفى يتعلق بالإنجاز أعراضاً منها :

– يظهر الطفل الذى لديه حاجة ملحة للإنجاز رغبة فى «عمل شىء» أو «أن يعمل أكثر» أو «يعمله بطريقة أفضل» .. وغالباً ما يسمع الآباء والمربون مثل هذا الطفل يبدى أعذاراً : «كنت استطيع إنجازه لولا أن عمرو ضايقنى» أو «كان باستطاعتى عمل كل هذه الأشياء، لو كانت عندى أقلام جيدة وورق» .. وقد يحتج «إنها دائماً تقول لى بأنى لا استطيع عمله» أو «إن الفرصة لا تتاح لى أبداً لعمل شىء فى هذه المدرسة» .

– إن هذا الطفل يظهر للآباء والمربين بطرق مختلفة ما يدل على أن الآخرين يعاملونه معاملة غير عادلة، فيقول : «ليت الناس يلاحظون العمل الذى أقوم به» أو «أود لو أن الناس لا تؤنبنى كثيراً» و «إنها دائماً تتقصدنى» (يقصد المعلمة) وبصفة عامة يجد مناسبة للوم الآخرين على فشله .

– إن الطفل الذى فى حاجة شديدة للإنجاز، يعنى أحياناً أنه يظن أن الآخرين أكثر منه مهارة أو تفوقاً ، ويود لو استطاع أن يعمل مثل الآخرين ويرغب لو استطاع أن ينجز عمله بمساعدة أقل من الآخرين .. من ذلك : «كل إنسان آخر يعمل أفضل منى» إنه يتباهى بنجاح بعض أفراد أسرته ، وهو يسفه مع ذلك عمل الآخرين ، إنه يصرح بأنه يجب أن يحظى بمزيد من المديح ، ويقول إنه يود لو عرف المعلم أنه سينجح ، ومن ثم فهو يتحايل على الفشل ، ولذلك فهو يضع تقديرات غير مناسبة للإنجازات الصغيرة ويلفت النظر إلى كل منها .. إنه يفصح عن عدم رضاه لمعظم إنجازاته الخاصة .. إنه يقول إنه يرغب فى أن يعرف كيف يستطيع أن يذاكر أفضل .. إنه يريد أن يتمكن من اللعب على إحدى الآلات ، وأن يكون عضواً فى الفرقة الموسيقية المدرسية .. إنه يود لو استطاع أن يلعب الألعاب بمزيد من الإجادة ، ويرغب لو تقدم فى أعماله المدرسية ، ويرغب لو استطاع أن يفكر فى الأشياء التى يجب أن يقولها .

– وغالباً ما يقدم مثل هذا الطفل الأعذار عن فشله، ويتباهى بأشياء كان معتاداً عليها مثل : «كنت دائماً فى قائمة الشرف» ، ودائماً يتذمر من أدواته المدرسية ، ويلوم الظروف لفشله «لا أستطيع فهمه» «أنه بالغ الصعوبة» «إن عمله غير جذاب» ، «إنه يملّ منه» .. إن هذا الطفل يحتمل أيضاً أن يقول إنه قلق من ناحية الامتحان .

– إن الأطفال الذين يشعرون بالحاجة إلى الإنجاز كفيلون بأن يفعلوا أشياءً تدل على اضطرابهم العاطفى ، وكثيراً ما يدلل الطفل على الرغبة فى الابتعاد عن أى نشاط يمكن أن يؤدى إلى التشكك فى قدراته .. إنه يتجنب مواقف المنافسة ، ويغش فى الامتحانات ، وينقل الواجبات المنزلية ، ويختلط بأطفال أصغر منه بسنوات حتى يتفوق عليهم .

– إنه قد يظهر «نقصاً فى الطموح» ، «ليست لديه إرادة للتعلم» ، إنه متردد ، وهو كسول ولا مبالى ، إنه يرفض التسميع .. ومن جهة أخرى فإن الطفل ذا الحاجة للإنجاز يكون عادة دؤوباً على التعلم .. إنه يعمل طويلاً أو يبذل جهداً كبيراً فى كل الأنشطة .. إنه يقضى وقتاً طويلاً يحاول عمل أشياء خارج حدود قدراته ، «إنه لايعرف متى يستسلم» وأحياناً يظهر عدوانية نحو الناس والأشياء ، إنه يخرب ويدمر عمل الغير ، إنه يحاول شق طريقه بالخداع ..

– والطفل الذى يحتاج للإنجاز نجده فى المواقف الجماعية عدوانياً نحو أقرانه فى السن ، فهم يجاوبون ويظهرون النجاح والتفوق ، وهو طوال الوقت يقاسى من نقص الإحساس بالإنجاز .. ومما يدعم ذلك أن الراشدين غالباً ما يجرون مقارنات مثل : «يا عمرو لماذا لا تحصل على درجات جيدة كما يفعل زيد؟ ، أو «إن كراساتك لا تكون نظيفة أبداً مثل كراسات الأطفال الآخرين» أو «انظر كيف يجمع طارق أدواته بإتقان؟ ، .. إن هذا الطفل يواجه دائماً تعليقات مثل : «إنك لا تتم شيئاً بدأته أبداً» ، لماذا اضطر دائماً لمساعدتك فى أعمالك؟ ، وكذلك العبارة التقليدية «إننى واثق أنك تستطيع أن تعمل أحسن من ذلك ..» وبدلاً من المديح يتلقى هذا الطفل أوامر» مثل : «كف عن أحلام اليقظة وحاول أن تنجز شيئاً» و «لا تيأس بهذه السرعة» .. ويساهم الوالدان والمعلمون على السواء بطرق أخرى فى تعاسة مثل هذا الطفل المحتاج للإنجاز، مثل تكديره أو إغاظته فى حضور الآخرين؛ مما يساعد على زيادة عدم أمانه العاطفى.

– وكثيراً ما يبدى الراشدون اهتماماً بالغاً بإنجازات الطفل ، ونادراً ما تتاح له فرصة إظهار ما يستطيع أن يفعله ، وعادة ما يحددون أهدافاً أبعد من متناول الطفل ثم

يقارنون طفلهم بطفل آخر يؤدى عملا أفضل ، وفى الغالب لا يقدم الآباء أو المعلمون لهذا الطفل المساعدة الكافية .. ولذلك فلا تتاح له الفرصة الكافية للإحساس بالنجاح ، ومن جهة أخرى.. فإن كثيراً من الآباء يميلون لاشتغال مثل هؤلاء الأطفال فى المنزل لدرجة لا يتاح لهم معها الوقت الكافى لإنجاز واجباتهم المدرسية .

– إن الطفل الذى يعانى من حاجة شديدة للإنجاز قد يجد إحباطاً فى المنزل وفى المدرسة وفى الملاعب .. ومن الممكن أن تكون مشاعر الطفل مفصحة عما يختلج فى نفسه ، فما من أحد يستطيع التأكد من حقيقة ما يشعر به الآخرون .. وهنا قد يشعر الطفل ذو الحاجة للإنجاز بأنه لا يستطيع أداء العمل المطلوب منه، وأنه مطالب بأكثر من اللازم ، وأنه يجب أن يتمكن من الإنجاز ولكنه لا يستطيع .. إنه يشعر بالاكتئاب نتيجة للفشل المتوالى .. إنه يشعر بضعف استعداده وانخفاض مستوى مهاراته وإنجازاته ، أو نتيجة لحالته الجسمانية أو عاداته أو سماته الخلقية .. إنه يشعر أن أقرانه فى السن يبخسون قدراته ، إنه يشعر بأنه كان باستطاعته أن يفعل أحسن ... إلخ ، وهو أحياناً يكون مقتنعاً بأنه لن يحقق الكثير .

– الوفاء بالحاجة للانتماء : (٣٣)

تتكون الحاجة إلى الإنجاز فى أثناء العلاقات المبكرة بين الوليد وأمه : إننا نستطيع أن نرى كيف أن الطفل فى الشهور الأولى من عمره يتلقى قدراً هائلاً من القبول والامتداح والمكافأة .. وعندما يتكون لدى الطفل شىء من الشعور بقيمته الذاتية، وبعض الإحساس بالقبول والاعتراف به ، وبعض الإحساس بالإنجاز ، فإن ذلك يضيف كثيراً إلى شعوره بالأمان الداخلى.. إن هذه هى الطريقة التى يبدأ بها النمو الصحى للطفل .

والحقيقة أن الأطفال يحتاجون لهذا الشعور بالإنجاز طيلة حياتهم ؛ لأن هذه الحاجة إذا أحبطت يصبح سلوك الطفل مختلفاً بشكل واضح .. إننا جميعاً نحتاج للتقدير والاهتمام ، وللشعور بالاستقلال ؛ فإذا لم نحصل على ذلك فإننا نميل للشعور بعدم الكفاءة وأحياناً بالنقص .. إن القول بأن الحب وحده لا يكفى ينطوى على قدر كبير من الحقيقة .. إن الطفل قد يشعر بأنه غير محبوب، ولكنه يرغب فى أن يكون محترماً .. والشعور – بالقيمة – الذى يشعر به كل منا هو الذى يجعلنا واثقين من أنفسنا ومدفوعين لإثبات قيمتنا بأبسط الطرق أو بأصعبها .

إن الطفل الذى لديه حاجة للإنجاز يشعر بعدم الكفاءة والنقص .. إنه يميل لفقدان الهمة ، وإلى الاكتئاب ، ويشعر أحياناً بأنه لا فائدة حتى من محاولة الإنجاز ،

ومع حرمانه من تقدير الأقران والكبار قد يشعر بالكراهية نحو الأطفال الآخرين ، وقد يتعمد الشجار معهم . وفى أوقات أخرى وقد أثقله الفشل.. فإنه لا يرغب إلا فى أن يترك وحده للتفكير والإشفاق على نفسه ، وهو يكون عادة هادئاً وخاضعاً ، تاركاً نفسه لتتقاذفه الأحداث اليومية ، وشاعراً بأنه مهما حدث فإن أحداً من حوله لن يكترث .. إن الطفل الذى يشعر بأنه لم يمنح أى فرصة لإثبات ذاته عن طريق شىء يستطيع إجادته ، قد يعجب للسبب الذى يجعل الناس دائماً غير راضين عنه مهما حاول إرضاءهم .. إنه يشعر بأنه غريب ، وبأنه لا يوجد من يهتم به بالقدر الكافى، أو من يعمل على توفير الوقت لمساعدته وتعليمه عندما يحتاج للمساعدة .. إن العالم بالنسبة لهذا الطفل قد انفلت عياره وهو فى حاجة للمساعدة .

– ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة للإنجاز : (٣٣)

هناك كثير من الأشياء التى يمكن للآباء والمربين أن يفعلوها، والتى تجعل الأطفال يشبعون حاجتهم للإنجاز ، نشير إليها فيما يلى :

– ألا يتركوا الطفل يواجه فشلا متكرراً فى خبراته ، فمتى أحس الآباء والمربون بأن المستوى الذى حددوه للطفل أعلى مما يجب .. فإن باستطاعتهم تغيير هذا المستوى، وانتقاء مهام جديدة والتخطيط لخبرات جديدة معه تؤدى إلى إكسابه إحساسات بالنجاح ، ويستطيع الآباء والمربون أن يجعلوا الطفل يحدد مستواه الخاص في السرعة ، وأن يساعدوه على أن يرى مستواه يتحسن ، ويستطيعوا أن يتأكدوا من الأوقات التى يكون فيها ناجحاً ، ومتى يكون مكتئباً ، ومتى حقق مستواه .

– ألا يكثر الآباء والمربون من التعليقات على تبريرات الطفل ؛ ذلك أن الطفل الذى لديه حاجة ملحة للإنجاز غالباً ما يميل لإبداء كثير من الأعذار لسوء أدائه – فيجب أن يستمع إليها الآباء والمربون بعناية ولا يعلقوا على كل منها ، وأن يقبلوا هذه الأعذار كنوع من الأدلة على أنه لا يشعر بإحساس بالإنجاز ، وينطبق الشىء نفسه على سلوك الافتخار .. ولكن يجب على الآباء والمربين أن يرتبوا الأنشطة بحيث يتمكن الطفل فيها من الإحساس القوى بالإنجاز . والشىء نفسه ينطبق أيضاً على الكذب والادعاء الكاذب والغش : فهؤلاء الأطفال كثيراً ما يكذبون أو يغشون أو يسرقون لزيادة إحساسهم الخاص بالإنجاز ، وللحصول على التعليقات والامتداح الذى يحتاجون إليه، ومن الواضح أنهم إذا كانوا قد حصلوا على مزيد من الاهتمام ، وإذا كانوا يشعرون بإحساس الإنجاز وبالقيمة الذاتية، ما كانوا قد تورطوا فى هذه السلوكيات.

– يجب أن يكون الآباء والمربين حذرين فى منح المكافآت : فإذا كان هناك كثير من التأكيدات على الإجراء الذى يتم به الإنجاز الجيد .. فإن الطفل الذى لديه حاجة ملحة للإنجاز إذا أجاب إجابة ممتازة فى امتحان ما .. فإن على الآباء والمربين بدلا من الاكتفاء بإعطائه الرقم النهائى أو مكافأته مكافأة ما أن يسألوه عن الأسباب التى أدت به إلى هذه الإجادة .. وعندئذ يستطيعون أن يقتربوا من هذه الأسباب وأن يكافئوه على عاداته فى المذاكرة وعلى مثابرته واجتهاده وعلى الجهد المبذول وعلى الخطوات التى اتبعت لتحسين الأداء .

– تعرف ميول ورغبات الطفل ؛ فإذا كان الطفل يريد أن يتعلم أشياء ما ، فيجب على المعلمين والآباء أن يحاولوا تعرف هذه الأشياء .. ويتعرفوا المجهودات التى قام بها فى سبيل ذلك ، وما المعوقات التى واجهته ، وأن يساعدوه للتغلب على هذه المعوقات ، وأن يفهم كل من الطفل ومعلميه أحدهما الآخر، وبذلك توضع أساسيات النجاح والتطوير إلى الأحسن .

– يجب أن تتنوع وسائل العمل فى المدرسة : فإذا كانت المدرسة هى مجرد مكان للقراءة والكتابة .. فإن أطفالا كثيرين لن يستطيعوا الكشف عن مواهبهم الفائقة فى جوانب أخرى .. ولذا : يجب أن يحتوى الفصل على أقلام ، وألوان ، وأخشاب ، وصلصال ، ومنسوجات ، وأقمشة ، ومطارق ومسامير ، ومناشير ، وجلود ، وكميات من الورق .. ولابد أن يتاح لكثير من الأطفال فرص لا تتيحها المدرسة التى تعتمد على الكتب فقط .. فكلما تنوعت وسائط العمل ، ازداد عدد الأطفال الذين يكشفون عن مختلف المواهب .. إن الأطفال يريدون أن يكونوا مهرة فى بعض الأشياء ، وأحياناً تكون المواهب التى يرغبون فى تحقيق مهارة فيها قليلة الأهمية بالنسبة للمعلم.. أما إذا حاول المعلم أن يتخطى هذا الموقف، ويعمل على أن يحصل على المساعدة فى تطوير المهارة التى يظن أنها مهمة.. فإنه بذلك يعطى الطفل إحساساً بالإنجاز .. وقد يكون اهتمامه منصباً على كرة القدم أو غيرها من الأنشطة الرياضية، أو الخطابة أو المقدرة الموسيقية ، أو أشغال التطريز أو الحياكة ، أو بعض مظاهر الفنون الجميلة .. إن المعلم الحساس يحاول أن يكشف عن بعض هذه المهارات المطلوبة ، ويحاول أن يجد بعض «الخبراء» أو المتخصصين، الذين يمكن للطفل أن يلجأ إليهم ، وهؤلاء الخبراء المتخصصون قد يكونو أطفالاً آخرين أو معلمين آخرين فى المدرسة نفسها ، آباء ممن يضمهم مجلس الآباء أو أصدقاء لأسرة الطفل ، أو أشخاصاً من العامة ... إلخ . ومن هنا : فإذا بذل المعلم عناية بهذه الاهتمامات الخاصة بالأطفال وجعلهم على صلة دائمة بالمتخصصين الذين يحتاجهم الطفل لإنجازاته المتخصصة ، فإنه بذلك يبنى إحساساً بالإنجاز والاستقلال .

- أن يُطلب من الطفل أن يساعد الآخرين فيما يؤدونه : فالأطفال يستطيعون أن يتعلموا كثيراً من بعضهم البعض ، فإنهم غالباً ما يحصلون على الإحساس بالإنجاز عندما يطلب منهم مساعدة شخص آخر ، وينطبق هذا أيضاً على مساعدة المعلم أو مساعدة الأب أو الأم فى أعمال المنزل ، وبذلك يحصلون على قدر كبير من الرضا؛ خاصة إذا طلب منهم مساعدة أطفال أصغر منهم فى أشياء صغيرة .

إننا كآباء ومعلمين نستطيع أن نعمل مع الأطفال بطريقة، تساعدهم على إدراك أن المدرسة مكان للتعلم ، وأنها مكان للتعلم من الآخرين ، ومن بعض الأنشطة .. ويجب على الآباء والمعلمين أن يهيئوا للأطفال إمكانة التعلم من بعضهم البعض ، وأن يسهلوا لهم فرصة الإخبار عما لا يعلمونه ، وعما لا يستطيعون عمله ، وأين ومتى يرغبون فى المساعدة .. وعندما يبدأون فى مهمة أو عمل، فيجب أن يتأكد المربون أن لدى أطفالهم إعداداً مسبقاً لها ، وبعض الأفكار عن الطريقة التى سيتبعونها .. إن البداية السليمة عادة نصف المهمة ، وعندما تقدم المساعدة للطفل، فإنه يرى بوضوح ما يعمله وما يحاول أن يعمله .. ويصبح من السهل عليه تحقيق إنجازات أكثر، وبذلك نعطيه إحساساً بالإنجاز .

يجب على الآباء والمربين أن يجعلوا الطفل يدرك أن الفشل فى حد ذاته مظهر من مظاهر التعلم ، وأن الخطأ نفسه من المحتمل ألا يتكرر . وهنا يتعلم الأطفال أن المربين واقعيون وليسوا مستهدفين للكمال ، وبذلك لا يشعر هؤلاء الأطفال بأسف شديد إذا لم ينجحوا ، ويساعدهم المربون فى توقع احتمالات الفشل ، ويدركون أن الأخطاء التى تحدث هى مكسب؛ لأنها تبين لهم ماذا يتجنبون فى المستقبل ، وكذلك يتكون لديهم إحساس أقوى بالإنجاز وتفهم أكبر لأسباب الفشل ، وفى هذه الحالة يصبح الفشل جزءاً من الإنجاز .

- يجب على المربين أن يتفهموا خصائص كل طفل واستعداداته .. فالأطفال فى أى مستوى من مستويات النمو نجد بعضهم على استعداد للقراءة والبعض الآخر ليسوا كذلك ، وبعضهم على استعداد للقيام بأنشطة جماعته والبعض الآخر ليسوا كذلك، وبعضهم على استعداد للأنشطة التعليمية بالمشاركة وبعضهم ليسوا كذلك .. إن إحساساً بالإنجاز يتكون ،عندما تكون الواجبات المطلوبة من الطفل يمكنه عملها أى فى مستوى قدراته .. أو من الأشياء التى يميل إليها ويريد علمها ومستعد لبذل جهد فى أدائها ، ويجب على المربين أن يرتبوا هذه الأنشطة؛ طبقاً لإيقاعات الأطفال، على أن تكون أطماع الطفل الخاصة هى التى تقود خطواته التالية .

– أن تتاح للأطفال الفرصة لإظهار إنجازاتهم : فإذا أراد المربون إعطاء الأطفال إحساساً بالإنجاز، يجب عليهم من وقت لآخر أن يتيحوا لهم فرصة لتلخيص ما عملوه فى بضعة أيام أو بضعة ساعات ، أو يطلبوا منهم أن يذكروا ما اكتسبوه من أنشطة فى فترة ما ، أو يكتبوا استجاباتهم على السبورة خلال فترة زمنية مضت ، وأحياناً يمكن للأطفال أن يكتبوا خطاباً لوالديهم لإخبارهم عن هذه الإنجازات ، وبهذه الطريقة .. فإن المربين يظهرون للأطفال أنهم يشعرون باحتياجاتهم للإنجاز .

– ويتيحون لهم فرصة للإخبار بما تعلموه وما لم يتعلموه ، ويستطيعون أن يجروا تغييرات، قد تمنح الأطفال إحساساً أقوى بالإنجاز .

– أن يمتدح المربون ما يفعله الأطفال بأمانة ؛ إذ يجب ألا يمتدح الأطفال لأشياء لا تستحق المدح ، وأن يكونوا حساسين لفكرة التغير ، وللدليل على الجهد والإصرار على الهدف ، ويجب أن يتأكدوا من أنهم عندما يعطون مكافأة يجب أن تكون مستحقة ، كما يستطيعون أن يعدوا واجبات لكل طفل لمساعدته على استحقاق المكافأة .. أى أن يكون الامتداح والمكافأة بأمانة وإخلاص ونتيجة تشجيع قائم على أساس سليم .

– مايجب على المربين ألا يفعلوه حتى يشعر الطفل بالإنجاز :

هناك أشياء يجب أن يتجنبها المربون حتى لا يشعر الطفل بالفشل والنقص وعدم القدرة على الإنجاز، من ذلك :

– أن يتجنبوا مقارنة الأطفال ببعضهم : فمن المؤكد أنه لا يوجد معيار واحد لأداء جميع الأطفال، يمكن أن يتوقع منه نوع الأداء نفسه والعائد نفسه من كل الأطفال.. كما يجب أن يهتم الآباء والمربون بأن يضعوا معايير جديدة للطفل الذى يظهر بعض التقدم ، ويتركوه ينعم بنجاح إنجازه الخاص .

– أن تتم المكافأة على ما يبذله الطفل من مجهودات : فهناك بعض الخطر فى مكافآت مثل النجوم (الذهبية والفضية) أو الحلوى أو الدرجات العالية؛ لأن هذه الأشياء تصبح رموزاً كاذبة ، وكثيراً ما تولد نوعاً من المنافسة العدوانية .. ولكن يجب أن يفسر المربون أن المجهود والتخطيط والمثابرة هى التى تجلب المكافأة وليس درجة الطفل فقط .

– أن يتجنب الآباء والمربون إشعار الطفل بالنقص ؛ أى أن يحذروا القول للطفل بأنه لا يحاول أن يفعل شيئاً ، أو أنه لا يهتم ، أو أنه لا يبالى بما يجرى ، وإذا كان

فعلاً يواجه صعوبة فإنه لا يشعر بأنه حاول فعلاً .. إنه من الأجدى أن يحاول المربون اكتشاف ما كان يعمله وما كان يحاول أن يعمله .

- يجب ألا يضع المربون واجبات تستوجب دائماً أقصى جهد الطفل؛ مما يعطيه إحساساً بالصراع الذى يسبب التوتر دائماً .. وأن يتأكدوا من أن لديه فرصة لعمل بعض الأشياء الأكثر سهولة بالنسبة له ، وألا يتغاضوا عن الحاجة التى يشعر بها كل طفل للظهور بعض الشيء .. إن كل طفل يريد أن يشعر بأنه هو أيضاً قد تعلم وأحرز تقدماً وهو يريد أن يستعرض إنجازه .

- أن يتجنب الآباء والمربون انتقاد الطفل : فعندما يكذب الأطفال أو يغشون أو يتغامزون أو يبدون أعذاراً .. فيجب على المربين ألا يجادلوهم أمام الآخرين ، بل ولاينتقدوهم فى لقاءات خاصة عندما يقدمون أعذاراً ولا يجعلونهم يعترفون بأنهم أتوا بعمل خاطئ .. فلا يحاولوا أن يبينوا ويظهروا لهم خطأهم فى شكل هجوم ناقد بصورة مباشرة، وعلى المربى أن يعلم أن خيال الطفل واسع، وغالباً ما يفتخر بأعمال يتخيل أنه قام بها ، فإذا فعل ذلك.. فإنه على المربين ألا يبدوا اهتماماً أكثر مما يجب بالأعراض والمظاهر الخاصة بالمشكلة، بل من الأفضل أن يهتموا أكثر بالمسببات التى تسبب هذه الأعراض، وعليهم أن يخططوا للأشياء التى تؤدى إلى رضا الطفل؛ مما يعمل على خفض هذه الأعراض .

- يجب تشجيع اهتمامات الطفل : إن كون اهتمامات الطفل المباشرة لا تتطابق مع اهتمامات الكبار لا يوجب عدم تجاهلها .. فهذه فرصة طبيعية للعمل على تكوين علاقة أفضل مع الطفل .. ولذلك يجب على المربين ألا يقولوا للطفل إن عليه أن يفعل ما يفعله الأطفال الآخرون، أو أنه إذا فعل ذلك فلن تساعده ، أو أن هذه الأشياء لامكان لها فى المدرسة ، ولا يقولوا إنه يجب أن يغير أفكاره .. إلخ .

- يجب عدم تكليف الطفل بمهام قد تبدو غامضة عليه : فيجب على الآباء والمربين ألا يعطوا أوامر غامضة وعامة للطفل لا يستطيع بعض الأطفال تنفيذها ، ويجب عدم خلق مواقف تشعر الأطفال بعدم الأمان وعدم الثقة .

- يجب أن يتجنب المربون إشعار الطفل بالفشل : فالطفل عندما يشعر بأنه فعل شيئاً ليس كما يجب ، ويصرخ فى وجهه الكبار مؤنبين.. فإنه يشعر بأن هذا التأنيب الصارخ ليس عدلا ، إنه يحس فعلا بأن ما فعله كان خطأ ، إنه يشعر بأن إحساسه بخطئه هذا عقاب كاف له ، ولذلك فهو يستنكر العقاب الإضافى .. إننا كمربين يمكن أن نكون مدركين للموقف، ونستطيع أن نتجنب مضاعفة الجزاءات للفشل ، حتى

ننمى الحاجة للإنجاز ، حيث إن مضاعفة العقاب نتيجة الفشل تحرم الطفل من حاجته للإنجاز .. مع إننا نحاول أن نوفى بهذه الحاجة ، ولذلك يجب أن نتجنب أى إجراء يضع العراقيل فى طريق الطفل للنجاح ويشعره بفشله .

– يجب الانتباه إلى مهارات وقدرات واستعدادات الطفل المختلفة : فعلى المربين ألا ينظروا إلى التفوق المدرسى على أنه هو كل شىء ، وأن الطفل الذى يفشل فى المدرسة بأن مهاراته الأخرى لا تساوى شيئاً ، بل يجب النظر إلى أن هذه المهارات الأخرى مهمة أيضاً ، وأن النجاح المدرسى إذا كان مهمّاً فإنه ليس كل شىء.. وهنا نتجنب دفع الطفل إلى أنشطة ليس لديه استعداد لها، ويجب أن نعرف متى يكون الطفل مستعداً ، وأن نساعد القرارات التى يتخذها الأطفال أنفسهم مادام لن تضرهم حتى وإن غيرت تخطيطنا لهم ، ونستطيع أن نتجنب الرغبة فى التوصل إلى سلوك قياسى مع كل الأطفال .

– أن يتجنب الآباء والمربون إصدار كثير من الأحكام حول تقدم أطفالهم واستبعادهم من أن يكون لهم رأى فيها ، ونستطيع أن نتجنب إخبارهم بحقيقة ما أنجزوه وما لم ينجزوه ، نستطيع أن نتجنب التواجد والضغط لمعرفة حقيقة مشاعرهم، ولكن بدلا من ذلك نحقق موقفاً نستطيع فيه أن نكتشف حقيقة مشاعرهم .

– يجب ألا يحاول المربون امتداح كل شىء وأى شىء بسبب العلاقة بمقاييس الطفل نفسه ، لأنه سرعان ما يكتشف مبالغتنا وخداعنا له، إذا لم نكن أذكياء بشأن المكافآت والامتداح والتشجيع الذى نمنحه له ، إننا لا نستطيع كمربين أن نخدع الطفل طويلا ، وهو لن يكن لنا احتراماً كافياً إذا لم نكن نحن أنفسنا نحترم معاييرنا الخاصة أو معاييره .

– كيفية إشباع حاجة الطفل للإنجاز :

تسهم برامج الأطفال التليفزيونية إسهاماً كبيراً فى تثقيف الأطفال وتعليمهم وتربيتهم وتنشئتهم .. ومن خلال البرامج التليفزيونية الخاصة بالأطفال، نجد أن الحاجة للإنجاز قد تشبع للطفل من خلال ما يعرضه التليفزيون من قصص البطولة المختلفة وقصص الشخصيات العربية الفذة الخالدة، ذات المكانة المرموقة وغيرها من القصص.. فتمثيلية على شاشة التليفزيون تعرض شخصية بطل فى مجال الوطنية ، أو المجال الدينى ، أو العلمى أو الاجتماعى ... إلخ ، قد تشبع حاجة الطفل إلى تأكيد ذاته والإنجاز والنجاح ؛ لأن الطفل ينمو من خلال التقليد والتقمص ، ولو أعجب ببطل التمثيلية فقد يتخذه قدوة له ويقلده .. وهذه الشخصيات تبرز للطفل مجالات الحياة

المختلفة والعمل فيها حين تحدث أو تصور له وظائف المجتمع أو المهن أو الحرف أو السير الذاتية لبعض الشخصيات ، وقد يجد ذاته من خلال هذه الأعمال ومن خلال تقليد البطل فيعمل مثله ويقلد حرفته .. إلخ (٢٧) .

رابعاً : الحاجة للمشاركة واحترام الذات :

The need for participation and self respect

تشير الحاجة للمشاركة والتقدير واحترام الذات إلى الرغبة فى تحصيل المدح والانتباه من الآخرين ، وإلى الحصول على المركز والمكانة العالية مع الأقران وأصحاب السلطة (٥ : ١٨٠) .

وتبدأ هذه الحاجة فى الظهور منذ الشهور الأولى من حياة الطفل، حينما يبدأ فى عمل الأشياء وتكون هذه الأعمال عظيمة بالنسبة للوالدين .. إن أول ابتسامة للطفل ، وأول طعام صلب يتناوله ، وأولى الخطوات التى يخطوها ، وأولى الأصوات المفهومة التى تصدر منه .. كل ذلك يعتبر مناسبات لإضفاء الثناء على الطفل .. والواقع أنه ابتداء من الشهر الثامن أو التاسع من عمر الطفل، نجد أن جزءاً كبيراً من أوقات يقظته تمضى فى تلقى شتى ضروب التفهم لما يعمله – وهنا يبدأ الطفل فى الإحساس بالتحكم الواعى مع نفسه، بعد أن وجد أن كثيراً من أعماله تلقى امتداحاً ، ولذا فهو يكرر هذه الأنشطة مراراً وتكراراً وكأنه يطالب بالمديح والمكافأة .. وتكون هذه النقطة هى المسألة الحساسة فى شعور الطفل بالإنجاز، وبالتالى يندفع إلى التحصيل والثقة بالنفس وتقدير الذات .

ولكن ليس ذلك هو الواقع دائماً.. فبعض الأطفال الصغار فى جو يجدون فيه أن هذا التفهم والمكافأة والتشجيع على المحاولة والإنجاز يقابل من أحد الوالدين أو كليهما بالإهمال أو بشىء من الامتعاض والعقوبات ... وبالتالى فإنه فى بعض المواقف يشعر بإحساس إنجازى ، وفى مواقف أخرى يشعر بعدم الثقة فى نفسه وبالشك ، وهنا ينحسر ذلك الشعور الإنجازى أو يصاب بالإحباط نتيجة لعدم المشاركة أو المكافأة .

وبذلك تعتبر الحاجة للتقدير ذات أهمية بالغة بالنسبة لتثبيت حاجة الطفل للإنجاز والنجاح ، ولا يقضى على القدرة على الابتكار عند الأطفال شىء مثل الإهمال وعدم التشجيع ، ولا يضعف شخصية الأطفال ويقتل ثقتهم فى أنفسهم شىء قدر النشأة فى بيئة، لا تمكنهم من الاقتناع بقدراتهم على إتمام أعمالهم وتشجيعهم عليها وامتداحها (١ : ٤٢) .

إن الأطفال الذين يبدأون بداية طيبة فى الحياة بسبب علاقتهم الصحية مع والديهم وحين يحتاجون لتعزيز هذه المشاعر، يجدون هذا التعزيز فإن نموهم يسير فى اتجاه السواء ، أما الأطفال الذين يواجهون دائماً مواقف فشل وتشيط ويأس متكرر يكونوا معرضين لفقدان الشعور باحترام الذات وبقيمة الذات، وأيضا بعدم الرضا عن الجهود التى يبذلونها ..

– كيف يكتشف نقص الحاجة لاحترام الذات : (٣٤) ، (٣٥)

توجد ضغوط كثيرة على الطفل الآخذ فى النمو لكى يلتزم برغبات الراشدين. إن عملية النمو تكون عادة مصحوبة بآلاف من «لا تفعل» يقولها الأشخاص الأكبر سناً فى بيئة الطفل .. وبعض الأطفال يخالجهم الشعور بأنهم لايملكون أى قدر من الحرية فى تقرير الأشياء لأنفسهم .. إنهم يخبرون بما يجب أن يفعلوه ، ومتى يفعلونه ، وأين يفعلونه ، ومتى يكفون عن فعله وقد يتولد الإحباط من الشعور بالدفع أكثر من اللازم، ويتجه اهتمامنا الآن نحو تعرف الأطفال الذين قد يشعرون بأن كل إنسان حولهم يحاول أن يسير حياتهم ، ويشعرون بأنهم غير محترمين كأشخاص ، أو يشعرون بأن الحياة الطيبة لم تلحق بهم ، وإذا كانت كذلك فإن عليهم الانتظار سنوات طويلة قبل أن يتمكنوا من التمتع بها ..

– فأحياناً قد يعبر مثل هذا الطفل عن رغبته فى أن يثق الآخرون فى حكمه كأن يقول إن آراءه قد طلبت فى مناسبات كثيرة .. أو أنه يود لو أن مدرسه أراده أن يشترك فى وضع قواعد المدرسة .. وقد يقول إنه يود لو أن الراشدين لا يسبقونه فى ذكر الكلمات المناسبة ، أو أنه يود لو أن الآخرين لا يحاولون أن يخططوا له ، أو أن والديه يرغبان فى أن يساعدهما فى وضع الخطط والقواعد فى الأسرة ، أو أن الراشدين لا يضعون قيوداً على الكلام الذى ينطبق عليه وحده .. وفى مناسبات عديدة يفصح مثل هذا الطفل عن رغبته فى أن يتعاون معه الآخرون بشكل أفضل ، وقد يصر على أداء أعمال للغير ، وخاصة إذا كان سيعمل مع شخص آخر .. وقد نسمعه كثيراً يقول إنه يود لو أن الأطفال الآخرين لا يستأثرون برأيهم دائماً ، أو أنه هو والأطفال يصنعون قراراتهم معاً .. وكثيراً ما يعبر عن رغبته فى ألا يتكلم الراشدون دائماً فى تعالٍ ، وقد نجد أيضاً أن مثل هذا الطفل يكثر من التناحر .

إن الطفل الذى يرغب فى المشاركة قد يبدو وكأنه ينزوى فى قوقعة .. ومثل هذا الطفل لا يسمح لنفسه بأن يزاح جانباً لكى يأخذ غيره مكانه .. وأنه يلعب مع أطفال أصغر منه سناً بكثير ، وإذا رفضته الجماعة فقد ينسحب كلية ، وقد يتصرف

هذا الطفل وكأنه لا يبالي بنشاط الجماعة ولا بأفرادها ، وقد يبكي بسهولة أو يتشنج أو يئن كثيراً .. ومن جهة أخرى فإن الطفل ذا الحاجة الشديدة للمشاركة ولاحترام الذات كثيراً ما يبدو متمرداً أو عاصياً لوالديه وإخوته وجديه وغيرهم من الأقارب ، والمعلمين ، والأصدقاء ، وزملائه فى المدرسة – وكثيراً ما يحاول الغش والخداع .. وقد يستنكر أن يزاح جانباً ، وقد يقاوم ذلك .. ومثل هذا الطفل قد يناقض الآخرين وهم يتكلمون ، خاصة إذا لم يطلب منه أن يشترك فى الحديث أو النشاط ، وقد يدأب على الادعاء بأنه حجة فى أى موضوع تجرى مناقشته فيقطع الحديث ليدلى بمعلوماته حتى ولو لم يطلب منه ذلك – ذلك هو الطفل الذى يتدخل فى أى وقت ، وقد يفرض زعامته على الجماعة ، وقد يكون شديد الانفراد بالرأى ، وقد يسرق وعادة لا يطيع التعليمات .

– وعندما تقول لطفل : «إنك ما زلت صغيراً جداً» فإننا بذلك قد نزيد من حاجته إلى المشاركة واحترام الذات .. وقد تثار مثل هذه المشاعر لدى الطفل عندما نقول له : «إنك لا تستخدم مخك ..» أو «ألا تعرف أفضل من ذلك؟» ، أو «أليس لديك أى إدراك ..؟» ، أو «لا تكن غبياً» وكثيراً ما نقول أشياء مثل «كن فى مثل من هم فى سنك» أو «ألن تكبر أبداً» أو «هذا كله خطأ .. إليك الطريقة الصحيحة» أو «دعنى أفعل ذلك ..» ..

– وهذا الطفل كثيراً ما يجد نفسه مجبراً على المشاركة فى أنشطة خُطِّط لها دون علمه .. إن العطلات الأسرية ، والخطط المالية ، والترفيه – كل ذلك يؤثر عليه ، ومع ذلك فقلما تتاح له الفرصة لإبداء الرأى أو اتخاذ القرار ، وفى المدرسة كما فى المنزل لا يجد فرصة لعمل شيء .. إن الناس يتوقفون عن الحديث عندما يدخل إلى الحجرة ، وكثيراً ما يقلل من شأنه وينتقد كشخص أمام الجماعة .

– إننا عندما نحرم الطفل من امتيازاته ، وعندما لا نُتيح له الفرصة للمشاركة فى وضع الخطط والتعبير عن آرائه ، وعندما نرفض العمل الذى أداه بدلا من مساعدته وإتاحة الفرصة له ولإعادة المحاولة ، وعندما نهمل السماح للطفل البطئ الخجول بالمشاركة ، وعندما لا نتيح الفرصة لكل طفل للمشاركة فى مشاريع الجماعة، فإننا بذلك قد نزيد من حاجته إلى المشاركة واحترام الذات ..

وهنا تبدو مشاعر هذا الطفل : تظهر على أنه غير كفء ، أو كما لو أنه شخص لا يحترم ، وربما يكون شديد الرغبة فى أن يجد شيئاً يقوله عن المقترحات التى تؤثر عليه .. وهذا الطفل كثيراً ما يرغب فى مساعدة الآخرين فى أنشطتهم ومشروعاتهم ،

وقد يشعر بأن كل إنسان يشك فيه أو فى أفكاره .. وهو لحيرته وارتباكه قد يشعر بالامتعاض أو التثبيط الشديد ، وربما يفضل بل يود لو أن والديه يسمحان له بمزيد من الخصوصية فيطرقون باب حجرته .. قبل الدخول .

إن الطفل الذى يحتاج للمشاركة واحترام الذات قد يشعر عادة بأن هناك مؤامرة ضده ، أو كأن أفكاره وآراءه لا قيمة لها .

الوفاء بالحاجة إلى احترام الذات : (١٣) ، (٣٣)

إن الطفل الصغير يبدأ فى تكوين الإحساس بالاستقلال ، وبأنه شخصية قائمة بذاتها .. خلال السنة الثانية من عمره ، وهو يبدأ فى إدراك أنه مختلف عن الآخرين، وبأنه يستطيع التأثير فى أفعالهم ، وأن بعض رغباته الخاصة موضع احترام .. وواضح أن هذا الإحساس بالقيمة الذاتية الذى يتكون فى السنوات الأولى من عمر الطفل له أهمية كبيرة فى تكوين شخصية سوية ، علاوة على ذلك : ففى هذه العملية بأكملها تواتى الطفل فكرة : أن الفرصة سوف تتاح له للتعبير عن نفسه ، وخاصة عندما يكون عضواً فى مجموعة ، وعندما يتطلب الأمر من المجموعة أن تتخذ قراراً يؤثر عليه ، وأحياناً تكون هذه المجموعة مكونة من فردين فقط ، هو وأمه أو أبيه أو هو ومدرسه أو هو وأحد أقرانه فى السن ، وأحياناً يشمل الموقف أكثر من فردين .

وعندما يشعر الطفل بأن أفكاره لا تلق اعتباراً ، وأن الناس تنظر إليه وكأنه غير مهم ، بل ويتركون لديه الانطباع بأنه أصغر من أن يؤخذ فى الاعتبار فإن إحساسه بقيمته الذاتية يضعف، ويصبح مفتقراً إلى من يحترمه ويضعه فى المكان المناسب .

إن الإطفال يرفضون أن يفرض عليهم اتجاههم ، إنهم يرغبون فى أن يشعروا بأن لهم حقوقاً تحترم .. إنهم يعارضون فى أن تتخذ القرارات الخاصة بهم المرة تلو المرة من قبل الكبار ، إنهم يرغبون فى أن يشاركوا فى التخطيط لحياتهم؛ ولذلك لابد وأن يقوموا بالاختيار واتخاذ القرارات الخاصة بهم .

– ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة لاحترام الذات :

هناك بعض الأشياء التى يستطيع الآباء والمربون أن يفعلوها مما يؤدى للوفاء بالحاجة للتعبير عن الذات، وللمشاركة فى قرارات المجموعة التى تؤثر على أعضاء المجموعة كل على حدة – من ذلك ما يلى :

– يجب على المعلمين أن يطلبوا من الأطفال المشاركة فى وضع برنامج ومعايير الإنجاز ، واختيار بعض خبرات المنهج ، وحل المسائل التى تطرأ فى أثناء

اليوم المدرسى وتتطلب حلا . وفى أثناء قيامهم بالتدريس يجب ألا يؤكدوا بشكل مبالغ فيه قيمة المعلومات فى الحياة المدرسية ؛ فالمعلومات الخاصة بالتعلم شىء والحياة الكاملة أيضاً تتضمن التعلم للتفكير والتخطيط معاً لتعرف القيم ، وربط أنفسنا بغيرنا من الناس بطريقة ودية ، وتقدير الفروق ، واستطلاع العالم ، وتكوين عادات صحية سوية .. إن إعطاء الأطفال اختيارات لتعلم هذه الأشياء تعنى إظهار احترامنا لشخصياتهم .. إنهم يحتاجون لهذا التأكيد المتباين ليعيشوا حياة كاملة .

– أن يتأكد الآباء والمربون من إعطاء الأطفال فرصة للمساعدين فى تقييم عملهم . وفى بعض الأحيان قد يسمحوا لهم بأن يحتفظوا بأوراقهم أو أعمالهم الفنية ، أو تسجيلات خبراتهم .. وقد يسمحوا لهم بالاختيار من إجمالى مجموعتهم عينة خاصة يرغبون فى امتداحها ، سيكون عليهم أن يختاروا على أساس الكم والنوع .. ولذا يجب أن يعطوا الأطفال فرصة ليقوموا أو يكتبوا ما يظنون ، أن يصغوا لهم فرادى باهتمام ، وأن يظهروا لهم موافقتهم على ما يقولون .. وإذا كان المربون لا يوافقون فعليهم أن يذكروا السبب حتى لا يشعر الطفل بالإحباط .

– ومن الطرق التى يستطيع بها الآباء والمربون تكوين احترام الذات والإحساس بالقيمة الذاتية لدى الأطفال .. أن يخلقوا مواقف يكون فيها للأطفال مزيد من المسئولية .. وقد يستلزم الأمر تكوين لجنة تكون لها مسئوليات محددة ، وقد يكون المنهج المدرسى أحد المشروعات التى يمكن أن يعمل فيها المعلم مجموعات من الأطفال معاً .

– يستطيع الآباء و المربون أن يزيدوا من ثقتهم فى الأطفال ، ويستطيعون أن يساعدوهم على المزيد من التخطيط ، ثم يعطوهم مزيداً من المسئولية فى مواصلة الخطة .. ويمكن أن يطلب المربون ملخصات عن مدى التقدم من وقت لآخر ، ولكن مع فكرة مراجعتهم .. وعليهم أن يقبلوا بيانات عما يفعلونه كتعبير أمين عن جهود الأطفال.. وعندئذ يخططون للخطوات التالية :

– وفى كل موقف جماعى يتطلب اتخاذ قرار، يمكن للمربين والآباء التعليق على أن بعض الأطفال لم يتكلموا بعد ، ثم يسألونهم إذا كانوا يريدون أن يقولوا شيئاً قبل أن تصل الجماعة إلى اللحظة التى يمكن أن تصدر فيها قرارها .. إن هذه طريقة لإظهار الاحترام لأناس لا يميلون للكلام فى المواقف الجماعية ، والمشاركة الجماعية بأكملها فى زيادة احترام الذات .

– وفى بعض الأحيان تُحدد بيئة الفصل بدرجة تحرم الأطفال من فرصة

إجراء الاختيارات التي يقدرون عليها .. فإذا كان بالفصل نقص في عرض آراء غير متلفظ بها ، أي اقتصر في عرض الآراء على الحديث فقط ، فإن كثيراً من الأطفال سوف يحرمون من التعبير عن بعض قيمهم العميقة .. وعندما يستطيع المعلمون أن يعدوا لعروض درامية يكون فيها لكل فرد دوره ، وحيث يمكن لبعض الأدوار أن يلعبها ثلاثة أفراد مختلفون في ثلاثة من عروض مختلفة ، فيجب على المعلم أن يظهر أنه يحترم حاجة كل فرد للتعبير عن نفسه .. وإذا كانت فرص الاختيار في مجالات الموسيقى ، أو الفنون التشكيلية ، أو في أداء الدور ، أو في ألعاب الحجرة ، إذا كانت جزءاً من المنهج فإن الأطفال مختلفون ، وفي أوقات مختلفة يشعرون بالفرحة لإتاحة الفرصة لهم لتعبير عن شيء يعتبر مهماً ..

– ومن أحسن الأشياء التي يستطيع الآباء والمربون أن يفعلوها لبناء مشاعر احترام الذات هو أن يداوموا على تفحص كل موقف مع الأطفال؛ ليعرفوا ما إذا كان بإمكانهم أن يضعوا أمام الأطفال مزيداً من الاختيارات ... ويجب أن تكون لديهم حرية إدراج اختيارات إضافية ، ثم يجب أن يكون لديهم الوقت الكافي لمناقشتها ولحرية الاختيار من بين الاختيارات التي أدرجوها .. إن هذه الفرصة للتعبير عن أفكار الآباء والمربين الخاصة ثم إجراء اختيارات جديدة يعتبر أمراً جوهرياً في بناء احترام الذات .

– ما لا يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة لاحترام الذات : (٣٣)

هناك أشياء يجب أن يتجنبها الآباء والمربون حتى يشبعوا حاجة الأطفال لاحترام الذات – من ذلك ما يلي :

– يستطيع الآباء والمربون أن يتجنبوا اتخاذ كل القرارات من أجل الأطفال جاعلين من أنفسهم قياصرة تكللها هالات .. وعلى الكبار أن يتساءلوا بصراحة عما إذا كانت قراراتهم يجب أن تتحكم دائماً في حياة الأطفال .

– أن يتجنب المربون التركيز الشديد على طراز التعلم واكتساب المعلومات بالذاكرة عن طريق الكتاب أو ما يقوله المعلم .. وأن يشجعوا إصدار الأحكام وتفسير الأدلة ، وتخطيط الحل للمشكلة ، وأن يوفروا الفرص للاستمتاع بالموسيقى ، والشعر وغيرهما من الفنون .. وألا يجعلوا المنهج يقتصر على احترام الطفل الذي يظهر مهارة في التعبير الشفوي .. وأن يضع المربون منهجاً مع الأطفال يظهر احترامهم لكثيرمن القدرات وكثير من الميول .

– يجب ألا يعمل الآباء دائماً على الإلحاح فى مراجعة الأطفال لمعرفة ما إذا كانوا قد أدوا واجباتهم المنزلية وقراءاتهم ، وإذا كانوا يتكلمون عندما يجب أن يتكلموا.. إلخ . وعندما يلاحظ الأطفال مثل هذه الشكوك من المربين.. فإنه يقل احترامهم لذاتهم.. ويجب ألا يعملوا على التقليل من شأن الطفل ، ومهمتهم هى أن يبنوا احتراماً داخلياً للذات لدى الطفل ...

– يجب ألا يجعل الآباء والمربون الأيام والأسابيع تمر، دون إعطاء الأطفال فرصة امتداح أعمالهم والإصغاء لامتداحها ، فإذا لم يهيئوا لذلك نولد لدى الأطفال الانطباع بأن العمل الذى يؤدونه إنما يؤدونه من أجل الأب أو المعلم ، وليس من أجل نموهم الخاص .. علاوة على ذلك إذا كان المعلمون أو الآباء هم وحدهم الذين يضعون الأحكام ، وبذلك لا تتاح لأطفال فرصة تعلم كيفية الحكم ، وسوف يشعرون داخلياً بأنهم لا يحققون تقدماً فى هذه القدرة ، بل ويفقدون جزءاً من احترام الذات .

– أن يتجنب المعلمون آراء عدد قليل من الشخصيات القوية فى الفصل على أنه أمر مسلم به للتعبير عن آراء الجميع ، وأن يتجنبوا المواقف التى يضع فيها هذا العدد القليل قرارات عن الآخرين .. ويجب أن يجعل المعلمون الأطفال كلهم يحسون بأن كل واحد فى الجماعة يحتاج لفرصة التعبير عن نفسه .

– أن يتجنب المربون المنهج المكتظ بالقراءة والكتابة ، ويتجنبوا إعارة أهمية تكاد تكون قاصرة على أنشطة القراءة وإنجازاتها ، وأن يؤكدوا شمولية الحياة ويتجنبوا الاهتمام الزائد بالأنشطة القياسية المتلزمة .

وأحياناً يقدم الآباء أو المربون للأطفال مواقف «إما – أو» ويظنون أنهم بذلك يعطوهم فرصاً ، إنهم بذلك يقيدون فرصة الأطفال للاختيار والانتقاء وإظهار البدائل التى يرونها فى المواقف .. إنهم يفاجأون عندما يجدون الأطفال يريدون فرصاً ليختلفوا عن المربين ، ويستطيعوا أن يبدأوا فى إدراك أن لهم حياة خاصة بهم ، وأنه يجب أن تكون لهم فرص للتعبير عن أنفسهم .

كيفية إشباع حاجة الطفل لاحترام الذات وتثقيفه :

إذا كان الطفل غالباً ما يبذل أقصىَ جهده لإرضاء الكبار المهتمين به من آباء أو معلمين حتى يشبع حاجته إلى التقدير واحترام الذات.. فإن هذه الحاجة بدورها تنمى تأكيده لذاته .. ولا شك أن برامج التليفزيون المختلفة وبرامج الأطفال خاصة يمكن أن تشبع هذه الحاجة لدى الطفل .. فلا شك أن مشاهدة الطفل لتمثيلية تدور حول سلوك طفل يعمل ويجد، وقد يفشل أحياناً لكنه يمنح الفرصة ليصحح فشله وينجح

فى النهاية ويأخذ مكانه فى المجتمع ويحترم عمله ونجاحه بعد ذلك..

مثل هذا القصة تجعل الطفل يتوحد مع الشخصية التى أحبها، وتجعل الطفل يحاول أن يقلد نجاح البطل والسلوك الطيب الذى يشاهده منه ، ومهاراته المختلفة وتعاونه مع أفراد جماعته وشعوره بأنه مرغوب فيه ، وأن وجوده ضرورى للجماعة التى يعيش بينها ... إلخ . وهذا كله يشبع عند الطفل هذه الحاجة للاحترام وتأكيد الذات وتشجيعه على العمل وإبراز مكانته ومهاراته .. فيستشعر الثقة ، ويقلد بطل الرواية التى رآها على شاشة التليفزيون فى عمله وجده واتخاذه قرارات تفيد زملاءه أو إخوته ، وبالتالى يحس بضرورة مشاركته لجماعته واحترامه لذاته .

خامسا: الحاجة إلى التحرر النسبي من الشعور بالذنب :

The need to be free from deep feelings of guilt

الحاجة إلى التحرر النسبى من الشعور بالذنب : (٣٥)

يبدأ كثير من الأطفال فى السنة الأولى من العمر فى استكشاف بيئتهم والعالم الذى يعيشون فيه ، ويتعلمون ذلك بالثقة التى تحملها العلاقات التى كانت لهم فى الماضى مع والديهم .. وعندما يتقدم بهم العمر، تحملهم هذه العملية الاستكشافية إلى الاحتكاك بكثير من مظاهر العالم الذى يعيشون فيه ، وعندما يواجهون هذه المواقف يتفاعلون معها على أساس من معرفة غير كافية وخبرة سابقة غيركافية .. وهنا يواجههم الآباء :

– فالآباء الذين يشعرون بفروغ صبر وعجز عن تعليم أبنائهم العادات المتعلقة بالتدريب على الطعام أو الإخراج والتحكم فيه قد تسبب شعوراً عميقاً بالخجل لدى الأطفال .. وهنا قد يبدى الطفل عداءً بريئاً نحو والديه اللذين يحرجانه فى الغالب على سلوكه غير المطابق لما يريدان ، وقد يشعرانه بالخزى لإفصاحه عن مشاعر العداء البريئة نحوهما ، وقد يستخدم الأطفال كلمات يكونون قد سمعوها من أطفال آخرين حين تتقدم بهم السن، ويحدث أن يتسبب ذلك فى إهانتهم وإذلالهم وإشعارهم بالحرج من جانب الكبار .

وتحدث إهانة الصغار أيضاً وإحراجهم وإذلالهم فى استكشاف أجسامهم أو أجسام الأطفال الآخرين الذين فى سنهم نفسها ، فإنهم يفعلون أشياء لا تقرها معايير الراشدين ، وعندئذ غالباً ما ينالون ألواناً من الإذلال والاحتقار فوق طاقتهم .

– وكذلك ما يحدث فيما يتعلق بسوء استخدام أو إتلاف الممتلكات ، فالطفل

الصغير لا يكون قد كون بعد الإحساس الكافى لمعنى «الخاص بى» و « الخاص بك » ، فهو عندما يأخذ نقوداً أو شيئاً مادياً مملوكاً لشخص آخر.. فإن الناس من حوله قد يسببون له الشعور بأنه ارتكب إثماً فظيعاً، مع أنهم لم يعودوه الملكية الخاصة واحترامها من قبل .

وفى مثل هذه الظروف البرئية يجد بعض الأطفال أنفسهم مدفوعين إلى شعور عميق بالذنب لأن الآباء أنفسهم لا يفهمون ما يفعلونه ، ومع الجمع بين هذه الظروف أو تكرارها يشعر الطفل بأنه غير جدير بمكانته ، وبأنه ليس طيباً بالقدر نفسه كوالديه أو غيرهما ، ويبدأ فى فقدان احترامه لنفسه ويشعر بالضعة والانهيار .

ويجب أن يفهم الآباء أن الطفل النامى فى تفسيره للعالم كثيراً ما يقول أو يفعل أشياء لا تتفق وعرف الراشدين ، ولذلك عليهما أن يساعداه على إدراك أن هذه الحالة هى خبرة جديدة ، ويتطوعان لإعداده بقدر استطاعتهم لمواجهة هذه الخبرات الجديدة ليتعلم كيف يواجه الخبرات الجديدة ، وبالتالى على الوالدين أن يساعداه على الفهم اللازم لتقدير مثل هذه المواقف الجديدة. وعندما يفعل الطفل شيئاً مخالفاً للعرف السائد ويحاول شخص آخر قريب أن يهينه أو يستعيبه.. فإنهما يهرعان لإفهام هذا الشخص أن الخطأ ليس خطأ الطفل ، وأن ما فعله كان بسبب عدم إدراكه لما يتطلبه الموقف .. وبذلك فإنهما يساعدان طفلهما على فهم البيئة ، ولا يقللان من شأن تقدير الطفل للموقف أو لنفسه ولقدراته . وينمو الطفل على قدر من الاعتزاز بالنفس واحترام الذات والرغبة فى استكشاف مواقف جديدة، دون أن يشعر بأن الأشخاص الآخرين سوف ينتهزون الفرصة للتقليل من شأنه ، وهنا : يتعلم الطفل الحاجة ليكون متحرراً إلى حد ما من الشعور بالذنب .

كيف تكتشف الحاجة للتحرر النسبى من الشعور بالذنب: (٣٣)

إن عملية النمو هى أيضاً عملية ارتكاب الأخطاء .. إن بعض الأطفال لديهم معايير بالغة التفوق لأنفسهم ، لدرجة أنهم يحسون بالذنب تجاه كثير من إنجازاتهم ، وأحياناً يضع الراشدون للأطفال معايير تفوق كثيراً قدراتهم ، وتكون النتيجة أن يتكون لدى الأطفال إحساس عميق بالذنب . إن الشخص المغمور بإحساس عميق بالذنب يعنى تحقيره ، وفى مثل هذه الظروف يشعر بالضآلة وعدم الكفاءة ، وبالتالى عدم الأمان ، وغالباً ما يظن أن أعين العالم تتركز عليه ، إن الإحساس بالذنب هو إحساس «بالتلوث فى الداخل» ، وهو إحساس بعدم الانتماء .. إننا نبحث عن الأطفال من هذا النوع لأننا نريد مساعدتهم .. وسوف نركز على أعراض الذنب هنا كما يمكن أن

يظهره الطفل الذى قد تكونت لديه مشاعر الإحساس بالذنب .

– إن الأطفال الذين يحسون بالحاجة إلى التحرر من الذنب قد يظهرون ذلك فى حديثهم .. إن طفلا كهذا قد يعبر عن الإحساس بالذنب حول علاقاته بالناس ، قد يقول إنه يود لو لم يكذب على أمه أو على معلمه ، أو إنه يرغب فى ألا يتعالى على الفقراء أو غير المتعلمين ، أو إنه يرغب لو أنه لم يهزأ أبداً بالآخرين .. وكثيراً ما نسمعه يقول : إنه يود لو أنه لا يتشاجر هكذا كثيراً مع الأطفال الآخرين، أو إنه يود لو يحب الأطفال الصغار قدر حبه للأطفال الكبار الذين فى سنه ، وكثيراً ما يقول الطفل الذى من هذا النوع إنه يود لو أن والديه لا يتوقعان منه مثل هذا القدر من الطاعة ، وقد نسمع مثل هذا الطفل يعبر عن الإحساس بالذنب نحو أفعاله فيقول «ياريتنى ما أخطأت» أو «ياخسارة .. ياريتنى ما حكيت حكايات خبيثة» أو «ياريتنى ما شتمت وقلت الألفاظ الكريهة» .. وكثيرا ما يقول إنه يود لو لم يغش أبداً ، أو لو أنه كان أكثر طاعة ، أو يود أنه لو لم يفقد السيطرة على أعصابه أبداً .

– وأحياناً قد يفصح الطفل عن حاجته للتحرر من الإحساس الشديد بالذنب بمحاولة تجنب معلمه أو غيره من ذوى السلطة ، بأن يلوم نفسه على نقائص قد تكون وهمية أو حقيقية ، وقد يكون بالغ الخضوع .. وقد يعزل نفسه ويقلق أكثر من اللازم لأخطاء طفيفة ، وقد يبكى كثيراً بسهولة .. وعادة يبدى مثل هذا الطفل علامات التخوف أو الخزع أو عدم الاستقرار ، وقد يكون حى الضمير بدرجة بالغة .. وقد يكون خجولا ، قلقاً وسط الآخرين، واعياً لذاته أو قد يلتصق بأمه ويكون هادئاً ، وقد يكون وسواساً يغسل يديه عدة مرات دون داع ، ويطالب الكبار بشكل متكرر بالتصريح بأنه يسلك سلوكاً حسناً أو يؤدى عمله بإتقان .. وقد يفصح مثل هذا الطفل عن إحساس بالذنب لأفعاله التى تتسم بعدوانية بالغة ومكشوفة وقد لا يتحمل الفشل ، ويرتكب مخالفات أخرى .. وقد يبدو الإحساس بالذنب فى شكل مواصلة الحملات أو مناصرة بعض القضايا الخاصة به ، أو العمل من أجل الآخرين .. وأحياناً قد يروى مثل هذا الطفل قصصاً عن «صديق له» ارتكب مثل هذه المخالفة فى حين أنها مجرد حلقة فى حياته هو .

– وبعض الأطفال يرغمون على تحمل السخرية منهم ويلقون الاستهزاء بهم أكثر مما يجب ، وأحياناً يندد علناً ووسط الجماعة بطفل أتى عملاً لا يحبه أحد الراشدين .. واستخدام المبادئ الأخلاقية للحكم على سلوك الطفل حتى ولو كان الطفل جاهلا بتلك المبادئ .. إن الحكم المتسرع قد يكون بالغ الضرر للأمان العاطفى

للأطفال ، كما يحدث عندما نقول للطفل «إن أحداً لم يفعل ذلك من قبل» أو «أنت ولد خبيث وشرير» ... إلخ . وعندما نقول لطفل ما : «لا تقل ذلك مرة أخرى» أو «ماذا لو علمت أمك بذلك؟» ، أو «لم أكن أتوقع منك ذلك أبداً» .. فإننا قد نزيد من شدة حاجته للتحرر من الإحساس بالذنب .. كما أن المداومة على إبداء ملاحظات مثل «انظر كيف يتصرف الأطفال الآخرون تصرفاً حسناً» أو «ترى ماذا سيظن الجيران» أو «تذكر أن الله يراك» أو «كان يجب أن تعرف أحسن من ذلك..» أو «من الضرورى لفت نظرك دائماً» أو «عار عليك» .. «إن أفعالك ستتسبب فى معاناة الآخرين» أو «سوف أخبر والدك عنك» .. هذه الملاحظات قد يكون لها تأثير مماثل على الطفل، الذى يحتاج إلى التحرر من الشعور بالذنب .

– ونحن الراشدين نتسبب أحياناً فى تضخيم الشعور بالذنب، عندما نداوم على تذكير الأطفال بأخطائهم ، وعندما نتصرف كما لو أننا نفعل دائماً الشىء الصواب، وعندما نوبخ الأطفال على أفعال وكلمات اقتبسوها من راشدين ، وعندما لا نسمح للطفل بالتعبير جيداً عما يحسه نحو الأشياء ، فإنه قد يجد مبرراً لذلك على خلاف ما كنا نتوقعه .. إن أحاسيس الذنب لدى الطفل قد تزداد شدة إذا دأبنا على الحكم على أفعاله بمعاييرنا وتوقعاتنا نحن الراشدين ، وعندما نبدى علامات «الصدمة» ونجعله يعتذر ، وعندما ندأب على مضايقته .

ما أنواع المشاعر التى تتولد بهذه الطرق ؟ .. وما المشاعر التى تكمن خلف سلوك الطفل الذى يحتاج إلى التحرر من الإحساس الشديد بالذنب ؟

قد يشعر بالخجل من نفسه ، أو بأنه غير وفى أو غير أمين، وربما يشعر بأنه فريد فى أخطائه ، ولا يحس باحترام أو تقدير كاف لنفسه .. وكثيراً ما يشعر مثل هذا الطفل بالحرج وضآلة الشأن والخجل حتى من أحلامه ، وربما يكون دائماً منحرف المزاج ، ويظن أنه دائماً يفعل شيئاً غير الصواب . وهل من الممكن أن يشعر بأنه يجب أن يكون الأول فى كل أو أغلب المسابقات المدرسية مثلاً؟ .. وهل من الضرورى أن يشعر بالخجل من بعض الأخطاء التى وقع فيها فى الألعاب؟ ..

ولو فعلنا ذلك وتركناه يشعر شعوراً عاماً بالذنب حول المتاعب، التى يظن أن يسببها ، نكون قد ظلمناه دون الأخذ بيده .

الوفاء بالحاجة إلى التحرر النسبى من الإحساس بالذنب (٣١)

عندما يبدأ الأطفال فى استطلاع العالم الذى يعيشون فيه.. فإنهم كثيراً ما يواجهون مواقف لم يكونوا مستعدين لها أو مدركين لنتائجها . وعندما يحاول الصغار

تجربة وسائل وطرق جديدة للاكتشاف.. فإنهم أحياناً ما يفعلون أشياء لا تتفق والعرف المقبول ، وبناء على هذا قد يستخدم الراشدون أخطاء أطفالهم كوسيلة لإذلال الصغار والتقليل من مكانتهم ، فمثلا نجد أن الصبية الصغار يبدون أحياناً ميلا شديداً للصبية الصغار الآخرين ، وكثيراً ما يحاول الأطفال الآخذون فى النمو استطلاع إحساسهم ، أو يأخذون متعلقات أو نقود رفاقهم دون أن يفكروا فى النتائج المرتبة على سلوكهم، وربما ظن الصغار أن ذلك ممكن طالما يسمح لهم بأخذ لعب بعضهم البعض ، وفى هذه المواقف يشعر الراشدون غالباً أن سلوك أطفالهم غير سوى ، ويستحوذ عليهم الغضب لدرجة أنهم يحرجون الأطفال أمام الجماعة ويشعرونهم بالذنب الشديد .. وبالخجل من أنفسهم .

والمعروف أن احترام الذات هو من بين الأسس التى تقوم عليها العلاقات الإنسانية ..ومن المتفق عليه أننا لا يمكن أن نكن احتراماً للآخرين إلا بعد أن نكوّن أولا احترامنا لأنفسنا ، كما أنه من المتفق عليه أيضاً أننا عندما نشاهد أناساً لايحترمون غيرهم ، فإن هناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن هؤلاء الأطفال ليس لديهم الكثير من احترام الذات .

وعلى الكبار أن يعرفوا أن الصغار يحلمون أحياناً بما يعكس خبراتهم اليومية ، وعلى ذلك لا يجب أن يشعر الراشدون بصدمة حينما يروى الصغار لهم ما عاشوه فى أحلامهم ، وعليهم أن يدركوا أن بعض المشاعر الخاصة بأطفالهم قد لاقت كبتاً أثناء لعبهم فى النهار ولذلك عادت إلى الظهور فى أحلام الطفل؛ خصوصاً وأن أفعال الكبار الراشدين كثيراً ما تؤدى إلى مزيد من كبت الصغار لمشاعرهم ، وبذلك يتكون لديهم نوع من الإحساس بالذنب .. وأحياناً نجد تعبيراً عنه فى حالات الأطفال الشاردين ، وعندما يهرب الطفل من المنزل أو المدرسة ، فهو غالباً يحاول – فى الواقع – الهرب من نفسه . وهناك فكرة تقوم عليها هذه الظاهرة وهى أنه من المحتمل أن الصغير يتصور أنه إذا هرب إلى مكان جديد فإنه يصبح شخصاً مختلفاً ، وبذلك فإنه غالباً لايهرب من المنزل ولكنه يهرب من قلق داخلى .. إن الطفل الذى ينوء تحت وطأة الإحساس بالذنب يشعر بالحقارة والضآلة فى داخله ، ويشعر أحياناً وكأنه هو وحده دون كل أقرانه فى السن طفل ردئ غير آمن ولا أخلاق له . إن هذا الشعور بالضآلة الذاتية أو الإحساس بالذنب يجعل الطفل مضطرباً عاطفياً ، ويدل سلوكه عادة على أنه فى حاجة إلى المساعدة .

إن زيادة أو منع الإحساس الشديد بالذنب لدى الطفل يتوقف بدرجة كبيرة على

ما إذا كان تقديره يتم طبقاً لمعايير الراشدين التى لا يفهمها أو طبقاً لمعاييره هو .. إن الراشدين يقولون عادة للأطفال : «كان يجب أن تعرف أحسن من ذلك» فى ظروف لم يكن الطفل فعلاً يعرف أحسن ، وهذا يزيد من إحساس الطفل بالذنب .. ومن المهم أن نعرف ما إذا كان الطفل يفهم الموقف وبدائله أم لا ، ثم ننتقده بعد ذلك ، ولا يجب أن يتم النقد على أساس ما يعرفه الراشد ، ولكن على أساس ما يعرفه الطفل نفسه .

وعلى الكبار أن يعلموا أن التعليم غير الحكيم فى مراحل الطفولة كثيراً ما يضع الأساس لإحساس شديد بالذنب واضطراب العقل ، فالطفل الذى يصدم دائماً وبشكل مستمر غالباً ما يفتقد الاتزان والثقة بالنفس .. إن الإدراك الواعى (الضمير) هو فى الغالب حصيلة التعلم والتدريب .. ويستطيع المربى عمل الكثير ليحرر الطفل من الشعور بالذنب .. إن عملية النمو تتضمن عملية ارتكاب الأخطاء ، ولكن بعض الأطفال لديهم معايير بالغة العلو لأنفسهم ، وهى عادة معايير أرساها الراشدون لدرجة أنهم يكونون إحساساً بالذنب، عندما يعجزون عن تحقيق هذه المعايير التى هى أعلى من قدراتهم .. وفيما يلى بعض الاقتراحات التى تمكن المربون والآباء من مساعدة الطفل على التغلب على هذه المشاعر العميقة بالذنب .

ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة إلى التحرر النسبى من الشعور بالذنب

ومن أهم الأشياء التى يجب أن نعملها نحن الآباء والمربين لصغارنا ؛ حتى نساعدهم على التحرر من الإحساس العميق بالذنب ما يلى :

– أن نساعد الأطفال على إدراك أنه لا يوجد إنسان كامل ، وأن كل إنسان يرتكب الأخطاء ، المهم ألا يكرر الخطأ مادام أدرك ذلك ، وأن أخطاء الأطفال هى عادة تلك التى تكون متوقعة من أى شخص ينمو فى عالم معقد، كما نستطيع مساعدة الأطفال على إدراك أننا قد نأسف قليلاً لارتكاب هذه الأخطاء ، ولكن ليس من الضرورى أن يتكون الإحساس بالذنب .. وبدلاً من ذلك يجب أن نفهم هذه الأخطاء حتى لا نكررها .

– إن خبرة الطفل مع النمو تتضمن تعلم الكثير من القواعد والتعليمات والقيم والمعايير ، ومع انشغالنا نحن الكبار بأشياء كثيرة فى الحياة، وأننا كثيراً لا نجد الوقت لمساعدة الأطفال على إدراك متطلبات المواقف .. وعندما يفعل الصغار شيئاً لا يتفق والقواعد.. فإننا ننتهرهم أو نهينهم، دون أن نتأكد من أن القواعد والتعليمات مفهومة لدى الأطفال ، والمفروض أن نتأكد أولا من أن القواعد والتعليمات مفهومة لدى الصغار، وإلا أصبح واجبنا هو إفهامهم ومساعدتهم على الإدراك بدلاً من عقابهم.

- أن نساعد الأطفال على إدراك أن « الضمير» هو جزئيّاً نتيجة الخبرات السابقة، وأنه يمثل بعض الأشياء التى تعلمناها فى الماضى .. وأن نساعدهم على إدراك أن الضمير السيء إنما يكون كذلك فقط، إذا كانت للشخص عدة اختيارات وتعمد اختيار السيء منها .. أمّا إذا كان اختيارنا عن جهل : فيجب علينا أن نعترف بأن الجهل هو الخطأ وليست القيم الأخلاقية أو النيات السيئة .

- يجب أن نكون كآباء ومربين أكثر قرباً من الأطفال الذين يتولد لديهم إحساس بالذنب . ولذا يجب أن نساعدهم على أن يكونوا متأهبين للموقف التالى ، وعندما نلاحظهم عن قرب وبعناية ، يجب التأكد من اكتشاف علاقات الإجادة والأعمال الطيبة ، وأن نمتدحهم في كل مناسبة نجدها خاصة بالأعمال الجيدة التى قاموا بها ، وأن نتأكد من ألا نمتدحهم لمجرد النتيجة النهائية؛ لأن ذلك قد يولد لديهم رغبة شديدة في المدح لدرجة أنهم يعودون لارتكاب أفعال ملتوية للحصول على هذا المدح .. وأن نتأكد من أن تكون المكافآت منصبة على إجراءات الإنجاز .

- وأحيانا نستطيع مساعدة الأطفال على إدراك أن الماضى هو الماضى وأننا الآن نعيش فى الحاضر .. وأن كل يوم يتيح لنا فرصاً يجب أن نستغلها ، ومن الممكن أن نجعلهم يتحدثون عن «أخطاء الماضى» ونحللها معهم ، ونساعدهم على إدراك أن افتقادهم للخبرة قد يكون هو السبب فى أى أخطاء ارتكبوها ؛ أى إنهم لم يكونوا يقصدون عمل الخطأ ، وأن التعلم الذى حصلوا عليه من ذلك الخطأ الذى سبق وارتكبوه كان شيئاً طبيعياً وكثيراً ما يمر به الفرد .

- ويحتاج المربون أن يتعلموا شيئاً عن سلوك الأطفال الذين يأتون من طبقات اقتصادية واجتماعية مختلفة .. وحيث إن أساليب التربية تختلف باختلاف هذه الطبقات .. فالمكافآت والعقوبات تختلف وتمنح لأنواع مختلفة من السلوك واللغة التى تستخدم وعادات النظافة ، ونوع الملابس تختلف هى الأخرى بقدر ملحوظ ، والمربى فى المدرسة كمعلم يجب أن يعلم أن اتجاهات الأطفال تنمو من خبراتهم ، والاتجاهات التى يظهرونها إنما تنبع من خلفياتهم الخاصة، ويجب أن يعلم المدرس كيف يتعامل مع هذه الاتجاهات بطرق تؤدى إلى تقوية الأمان الداخلى للأطفال .

- ومن أولى الأشياء التى يجب عملها هى أن نتعلم نحن الكبار طرح الأسئلة على الصغار ، ونعرف كيف فعلوا ما فعلوه ونعرف إذا كانوا يعلمون السبب فيما فعلوا ، ونعرف إذا كانوا يعملون مع وجود بديلات لما فعلوا ، وكثيراً جداً ما نميل للحكم المسبق على الأطفال دون أن تكون لدينا الأدلة اللازمة للحكم .

– يجب أن يكون الآباء والمربون مرهفى الحس مع الأطفال الذين يهربون من أشياء بصفة عامة ، سواء كان ذلك مع بيئة المنزل أو بيئة المدرسة ، وهل الهروب من الالتزامات بوجه عام أو نوع معين من الالتزامات ؟ فإن هؤلاء الأطفال قد يبدون أعراضاً قد يكون لها ارتباطاً بالذنب .. ووظيفتنا كمربين وآباء هى أن نتعرف الأعراض، وأن نحس بحاجة هذا الطفل لمزيد من احترام الذات ومشاعر القيمة الذاتية.

– إن بعض الأطفال يبدون مشغولين بموضوعات تتعلق بالجنس، ويكون ذلك فى شكل نكت أو صور خليعة أو إشارات جنسية أو لعب جنس ... إلخ . إن هذه عادة ما تكون دلالات على صراع داخلى ، وقد يكون بالإمكان إذا عمل المربون مع الوالدين أن يقدموا للأطفال بعض المعلومات التى يحتاجون إليها ، وقد يكون من الأفضل أن يعمل المسئولون فى المدرسة مع الوالدين لتقديم بعض الخدمات النفسية للطفل، على أن يكون مربى المدرسة ذا خبرة ودراية بهذه الأمور، وأن يكون على مستوى المسئولية والثقة.

وأحيانا تكون حاجة الطفل للإنجاز شديدة لدرجة أنه قد يلجأ إلى الكذب أو الغش أو السرقة لكى يحصل على مكافأة من المدرس أو من والديه أو أقرانه .. وفى بعض الظروف يتملكه الشعور بالخزى من نفسه وبالحرج؛ لأنه كان فى حاجة للإنجاز ولأنه عبر عن هذه الحاجة بتلك الطريقة الخاطئة .. ومع نمو الأطفال كثيراً ما يحاولون اتباع هذه الطرق لتحقيق أهداف لها أهمية كبرى لديهم فى لحظة ما . وبذلك فإننا نحتاج لفهم بعض الأسباب التى تدفع الطفل لهذه السلوكيات ، وينطبق ذلك بصفة خاصة على الطرق، التى يتبعها الأطفال لإنجاز معايير دون العمل والتعب أو لأن الإنجاز فوق طاقتهم .

– إن المواقف التى يرتكب فيها الطفل سرقة ما أو يخفى نقوداً أو قطعة ملابس... إلخ .. علينا نحن الآباء أو المعلمين فى المدرسة مسئوليات خاصة نحو هذه المواقف ، ويجب أن نعالج الموقف بمنتهى الثقة فى كل طفل ، ويجب أن نكون حذرين فى عدم إعطاء انطباع بأننا نشك فى واحد وأكثر ، ولكن المسألة ستتجلى بشكل أو بآخر ، وأنه إذا كان هناك خطأ ارتكب فإن هذا الخطأ يمكن علاجه .

– إن الأطفال يميلون لإظهار إحساس شديد بالذنب عندما يتحملون الفشل أو الخسارة فى مباريات الألعاب .. وقد يكون من الحكمة معالجة هذا العرض .. إننا نستطيع مساعدة مثل هؤلاء الأطفال على الاستعداد لكل مباراة ، ونستطيع أن

نساعدهم من خلال طرح توقعنا لنتائج إيجابية أو سلبية للمباراة . وأحياناً عندما تكون الخسارة محققة، نستطيع أن نساعدهم على إدراك أن النصر المعنوى قد يكون فى المحافظة على قلة عدد النقاط ، أو فى محاولة المحافظة على ألا يتعدى فرق النقاط حداً معيناً . وقد يكون الأهم من ذلك أن نبين لهم أن الفوز ليس بالشىء المهم ، ولكن المهم هو الاستمتاع باللعبة وبذل قصارى الجهد .. ويبدو أن المشكلة بالنسبة للمباريات هى أن أهمية كبرى تضفى على الفوز أكثر مما تضفى على تمضية وقت ممتع .

– إن الطفل الذى لديه إحساس بالذنب كثيراً ما يلوم نفسه ، ويشعر بأنه ليس جيداً ، أو على الأقل ليس بدرجة الآخرين ويميل للاكتئاب .. وعندما يفصح عن هذه المشاعر يجب على الآباء والمعلمين أن يصغوا لهذه التفسيرات ، ويحتفظوا بها فى ذاكرتهم .. فالطفل يريد أن يحصل على خبرات يشعر فيها بأنه موفق وله قيمته مثل الآخرين .. إنه يريد أن يطمئن إلى ذلك ومهمة الآباء والمربين هى أن يخلقوا مواقف يستطيع فيها أن ينجح ويلاحظ هذه الأشياء ، وأن يخبروه بأشياء طيبة عن نفسه .

– إن بعض الأطفال يبدون وكأنهم محصنون ضد الفشل ، لقد مروا بدورات متتالية من خبرات النجاح .. لقد أصر الوالدان والمربون بفرط اهتمامهم على تحقيق الكمال . وأى إنجاز يدل على ذلك يعتبر فى نظرهم باعثاً على خيبة الأمل وأحياناً يعتبرونه فشلا .. وعلى مدى العمل مع الأطفال طوال العام يمكن أن يساعدالآباء والمعلمون أطفالهم على أن المواقف المختلفة تتطلب معايير مختلفة، وأن الكمال فى حد ذاته ليس هو المعيار دائماً .. وعندما يتعلم الأطفال تقدير المواقف المختلفة ومتطلبات المواقف المختلفة .. فإنهم يتعلمون أن يقدّروا قيمة سلوكهم بواقعية أكثر، ويتعلمون أن تفكيرنا ليس دائماً بمعيار الكمال .

– إن بعض الأطفال يظنون أن الراشدين الناجحين لم يرتكبوا خطأً فى حياتهم، وأن الناجحين مروا بمرحلة الطفولة دون أن يرتكبوا خطأً واحداً ..

ومن المستحسن للآباء والمربين أن يساعدوا الأطفال على أن يدركوا أن الناجحين هم أيضاً مروا بالمشكلات نفسها وواجهوها .. وارتكبوا أخطاءً ، وربما تلقوا مساعدة للاستفادة من تلك الأخطاء ، ويحتاج الآباء والمعلمون لمساعدة أطفالهم على إدراك أن الجيل الحالى من الراشدين ليسوا مجموعة فريدة مختلفة تماماً عن الأطفال الذين يرتكبون أخطاء يوماً بعد يوم – والذين يظلون جاهلين بالأخطاء التى يرتكبها الراشدون حالياً ، وبالأخطاء التى ارتكبوها فى طفولتهم .

ما يجب أن يبتعد عنه المربون لضمان التحرر النسبي من الشعور بالذنب :

هناك أشياء كثيرة يمكن للآباء والمربين أن يتجنبوها ليساعدوا الطفل على التحرر من الشعور العميق بالذنب .. من ذلك ما يلي :

– يجب على المربين كراشدين ناضجين أن يكونوا هادئين، وأن يكونوا أكثر موضوعية ، وأكثر رصانة ، ولا يحكموا على الطفل قبل أن تتجمع لديهم الأدلة ، ولايجب أن يفترض أنهم يعرفون ما يريده الطفل أكثر منه فهو ما زال صغيراً، أو أنهم يعرفون مشاعره أكثر منه .

– يجب أن يتعلم الآباء والمربون تكرار التعليق على أحداث مضت ، واستعادة بعض الأحداث التى جرت منذ أسبوع أو منذ شهر مرة أخرى .. وأن يتجنبوا افتراض نوع من السوء الأخلاقى المستديم بناء على موقف سلوكى واحد .

– لا يجب أن يفترض الآباء والمربون أن الأطفال يعرفون القواعد والتعليمات، أو لأنهم خالفوها فإنهم فعلوا ذلك عن عمد ، أو دون مبالاة .. وألا يفترضوا أن هذه القواعد قد علمت ثم نسيت ، أو لأنها علمت حديثاً أصبح من الواجب تذكرها .

– ألا يتغاضى الآباء أو المربون عن الفرص المتاحة للكلام عن الضمير ومعناه ولا يقولوا دائماً إن الجهل يستحق اللوم ، وإن الأطفال الجاهلين يجب إذلالهم أو إحراجهم ، وفى المدرسة بصفة خاصة يجب أن يكون محو الجهل هدفاً مهماً .. إنه من وظائف المدرسة اكتشاف مناطق الجهل وإحلال المعلومات الصحيحة محلها .

– يجب أن يكون الآباء والمربون شديدى الحرص فى محاولتهم تجنب المواقف، التى تجعل الأطفال يشعرون بالخجل من أنفسهم، أو يشعرون بالضعة وعدم الكفاءة .

– يجب أن يتجنب الآباء والمربون المعايير التى يستحيل على الأطفال تحقيقها، وأن يحاولوا المرة بعد المرة أن يساعدوا الأطفال على إدراك البدائل، ولا يتم ذلك بتقييد اختياراتهم طوال اليوم ، بل عندما يدركون إمكانية تعدد الاختيارات . ويجب ألا يبدى الآباء والمربون صدمة أو فزعاً من لغة الأطفال أو من بعض عاداتهم فيما يختص بالنظافة ، ولا يعتبروا بعض الأنماط اللغوية من الأفعال المهينة ، وفى الإمكان أن يكون المربى نموذجاً وقدوة مع ملاحظة ترك الاختيار الأخير دائماً للطفل .

– يجب ألا يصرخ الآباء والمربون فى وجه الطفل إذا هرب أو لتهربه من المدرسة ، أو لابتعاده عن المنزل ، ولا يجب أن يسفهوه كشخص يخاف تحمل نتائج عمله أو الوفاء بالتزاماته .. إن ذلك يشبه تعنيفه لأشياء يشعر أنه لا دخل له فيها ،

فالطفل يحتاج للشجاعة ، ولن يحصل عليها بالتقريع .

– يجب أن يتجنب الآباء والمربون الإيحاء للطفل بفكرة أن الراشدين المتميزين كانوا ملائكة فى طفولتهم ، وأنهم لم يفعلوا شيئاً رديئاً فى شبابهم .. وأن يتجنبوا إعطاء فكرة أن الراشدين لا يخطئون أبداً ، أو أنهم إذا أخطأوا فلابد أنها أخطاء صغيرة، وأن يتجنبوا إعطاء فكرة أن الراشدين ليس لديهم إحساس بالذنب نحو بعض المواقف التى يجدون أنفسهم فيها .

– ألا يظهر الآباء أو المربون الهلع من أعراض الشعور بالذنب، التى تتعلق بالجنس ، ولا يحاولوا كبتها بالقوة والعنف ، فمن المستحسن جداً أن يكونوا موضوعيين قدر الاستطاعة، وأن يحاولوا اكتشاف السبب فى حدوث هذا السلوك ، المهم أن يسلكوا بطريقة لا تعمق من إحساس الطفل بالذنب .

– عندما يكذب الطفل أو يسرق أو يغش، يجب ألا يجعل الآباء والمربون من ذلك موضوع إثارة علنية فيعيروه أو يحقروه أو يحطوا من قدره .. فإذا فعلوا ذلك فإنهم يزيدوا من شعوره بالذنب ، ولا يكونوا بذلك قد ساعدوه على فهم سلوكه ، وبدلا من ذلك يجب أن يزيدوا من شعوره بالأمان الداخلى، وأن يكونوا أكثر حكمة لو جعلوا من كل هذه الأشياء موضوعاً للبحث عن انفراد مع الطفل نفسه .

– وفى علاقة الآباء والمربين بالأطفال يجب أن يؤكد الكبار للصغار مراراً وتكراراً أنه ليس عيباً أن يفشل الإنسان ، ولكن المهم أن يتعلم من فشله . ولا يكرر الخطأ ، وعلى الكبار أن يساعدوهم على إدراك أن تحليل الفشل يكون عادة بداية النجاح فى المستقبل ، وأن يتجنب الآباء والمربون الربط بين الفشل والعار والخجل والتقليل من شأن الذات.

– لا يكفى أن يقول الآباء والمربون للأطفال إنه من الواجب أن يتخلوا عن المشاعر التى تراودهم ، وإنه يجب أن يشعروا بأنهم أحسن ، وبأنهم مثل الأطفال الآخرين ، وأن يجعلوا الأطفال يدركون أن مشاعرهم إنما هى نابعة من مواقف معينة، وأنهم عندما يحصلون على خبرات جديدة.. فمن المحتمل أن تتغير مشاعرهم بمرور الوقت .

– أن يتجنب الآباء والمربون العبارة التى تقول : «يجب أن نكون دائماً فى أحسن حالاتنا» ؛ فهناك أوقات كثيرة فى حياتنا لا نبذل فيها أقصى جهد ، وأن ثمة أشياء يكفى فيها مجهود أقل ، وأن يتجنبوا فكرة أن الكمال هو المعيار الوحيد، أو أننا يجب أن يحكمنا مقدار ما يتوقع منا أو نؤديه فى كل موقف .

– أن يتجنب الآباء والمربون بقدر الإمكان إعطاء هؤلاء الأطفال واجبات لايستطيعون إنجازها ، أو تقريعهم علناً ، أو معايرتهم أو إحراجهم لأخطائهم الصغيرة المتكررة .

ويجب على الآباء والمربين بصفة خاصة أن يتجنبوا التخطيط لمواقف تزيد من إحساس الأطفال بالذنب .. من ذلك ما نقوله «ستظل المجموعة كلها محتجزة هنا حتى يعترف أحدهم بالخطأ» ، أو «سيعطى كل فرد فى المجموعة ورقة وإذا كان يعرف اسم المذنب ، عليه أن يكتب اسمه فى هذه الورقة ولن يعرف أحد من الذى كتبها ، سأجمع هذه الأوراق وأخلطها ثم استخرج منها اسم المذنب» .

إن مثل هذه الطرق تزيد من الإحساس بالذنب لدى كل طفل فى المجموعة، وهنا يجب البحث عن طرق أخرى لهذه المسائل .. وإلا فإننا لا نكون قد شرعنا فى بناء الضمير الحى .

كيفية التحرر النسبى من الشعور بالذنب :

ومن الممكن أن يكون الرسم وسيلة لتحرير الطفل من إحساسه بالذنب ، فمعروف أن الرسم كفن فيه جانب تعبيرى وآخر تطبيقى .. فقدماء المصريين قد رسموا على جدران معابدهم ليعبروا عن أحاسيسهم، وعما يحدث فى مجتمعهم وأيضاً فى عصر النهضة . وفى مختلف العصور والأماكن يتخذ الفرد من الرسم أحياناً وسيلة للتعبير عن انفعالاته . وإذا كان الطفل ميالا لذلك ، فيمكن للمدرسين فى حصص الرسم ، والآباء فى المنزل أن يعطوا الطفل مجموعة من الألوان، ويتركونه يخرج انفعالاته من خلال هذا الفن فى جانبه التعبيرى ..

وأيضاً يمكن أن يحدث ذلك من خلال الموسيقى ، أو من خلال مشاهدة أو قراءة قصة مذنب عرف خطأه وعاد إلى الصواب وتقبلته جماعته كفرد وكمواطن ناجح ومحبوب دون إشعاره بعقدة الذنب لأخطاء ارتكبها عن جهل .

الحاجة إلى التحرر النسبى من الخوف

The need to be free from deep feelings of fear

الحاجة إلى التحرر النسبى من الخوف :

تتسم العلاقات بين الأم والطفل فى الأيام الأولى من الطفولة بالحنان والحب والدفء والاحتضان ، أو على الأقل تتسم بالعواطف والسلوك الذى يعمل على التقليل من شعور الطفل بالخوف إذا دعت الحاجة . والواقع أن المبالغة فى الحماية غالباً ما

تفقد الطفل الاعتماد على نفسه والخوف من مواجهة المواقف الجديدة ، وقد يصبح الخوف قاعدة عامة تعترى الطفل ..

إن الأم تعلم بالغريزة أنه ليس من المستحسن إخافة الطفل ، وهناك بعض المثيرات التى تجعل رغباتها فى هذا المجال متعذرة . وعندما يحدث ذلك.. فإنها تشعر بقلق شديد .. إنها ترغب فى ألا يكون طفلها خائفاً ، وأن يستطيع الاعتماد على نفسه وأن يكون مستقلا ، ولذلك لابد وأن يكون به شىء من الجرأة وحب المغامرة ، وهى تعرف معرفة تكاد تكون غريزية أن سلوك الطفل الخائف ليس فى صالحه . وإذا حدث أن قام الأطفال الأكبر فى الأسرة أو الأقارب أو أطفال الجيران أو الزائرين بخلق مواقف تثير الخوف فى قلب الطفل الصغير .. فإن الأم سوف تحتج وتبين لهم الضرر الذى يمكن أن يحدثه ذلك .

وبنمو الطفل تحاول الأم أن تساعده على رؤية الفرق بين الخوف والحذر، وفى مراحل معينة من حياة الطفل نجدها تريده أن يكون حذراً ، عند استخدام المقص مثلا، ولكنها لا تريده أن يخاف منه ، وتريده أن يكون حذراً عند تسلق الأماكن العالية ، ولكنها لا تريده أن يخاف مجرد الابتعاد عن الأرض .

«إن الطفل يتعلم من أمه بمئات الوسائل أنها لن تخيفه أو تفزعه» ، إنه يتعلم أن يتحرر من الخوف .. وبمرور الوقت يتوقع ذلك ويصبح حقًا له ، وعندما يتحقق ذلك : فإن الطفل يصبح شخصاً أكثر استقلالاً وأكثر احتراماً لذاته ، ويستطيع استخدام شخصيته فى استكشاف العالم من حوله ، وفى أن يكون شخصاً فى حد ذاته متجرداً من القلق والشكوك التى يولدها الخوف .

ولكن إذا كانت السيطرة على سلوك الطفل وتوجيهه متأثرة إلى حد كبير بالخوف .. فإن حاجة الطفل إلى الأمان الداخلى تواجه تهديداً مرة أخرى ، ولايستطيع أن يعمل كشخصية مستقلة أو كشخص واثق من نفسه ، وينعكس القلق الذى يوده الخوف على أنماط من السلوك غير مرغوب فيها .

كيف تكتشف الحاجة التحرر النسبى من الخوف

الطفل الذى لديه مخاوف كثيرة وقلق متواصل ، طفل يصعب تعليمه .. إن الطفل الكثير الخوف ليس طفلا متزناً ، وقد يكون ذا تأثير سيء ، (وإن كان غير مباشر) على سلوك الجماعة كلها ، ونود أن نتعرف هؤلاء الأطفال الذين لديهم مخاوف غير معقولة ومخاوف من أشياء ما كان يجب ألا يخافوا منها ، من ذلك :

– إن اهتمـامنا ينصب على السلوك المزمن للطفل الكثيـر الخـوف ، تلك السلوكيات التى تحمل طابع التميز ، إن كثيراً من المخاوف يعبر عنها الأطفال لفظياً ، وبطريقة أو بأخرى يعبرون عادة عن الخوف من أشخاص ذوى سلطة (رجال شرطة، ناظر المدرسة ، المدرسين ، الأطباء ، أو من الأب ... إلخ) وكثيـراًما يبدى الطفل خوفه من الموت ، أو أن أباه أو أمه أو معلمه سيموت.

والطفل من هذا النوع يبدى عادة اهتماماً بالحاجة للحذر من مزاولة الألعاب أو من المرض ، وقد يتحدث عن الجوانب الخطرة للآلات أو السيارات ، أو الطائرات أو الأدوات الكهربية .. وكثيراً ما يكشف هؤلاء الأطفال فى أحاديثهم عن الخوف من الحشرات والحيوانات وما شابه ذلك مثل القطط والكلاب والأسود والنمور ... إلخ ، وأحياناً نسمع طفلاً يقول إنه خائف من أطفال آخرين ، وهم الأكثر عدوانية ، أو الأكبر سناً ..

وكثيراً جداً ما يخبرنا الطفل الذى تكثر مخاوفه أنه خائف من الظلام أو الرعد أو البرق أو الرياح أو المطر أو العواصف أو النار .. وكثيراً ما يبدى خوفاً حقيقيًّا من الفشل– وهذا هو الطفل الذى يسأل : «هل سأنجح؟» ، إنه يخاف من أن يحصل على درجات رديئة فى المدرسة ، وقد يكون الخوف « مما يقوله الناس عن ملابسه ، أو حاجياته ، أو أبويه ، أو مسكنه أو ملامح وجهه ، أو كلامه أو أخلاقه .. إلخ» ويخاف أن يأخذ الشهاد المدرسية معه إلى المنزل ، والخوف من السخرية به ، كما أنه قد يكون شديد الخوف مما يقوله الناس عن حقيقة كونه فرداً من طبقة أقل اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً عن زملائه ..

– وكثيراً ما يبدى هؤلاء الأطفال الخوف من الظواهر التجريدية : الأشباح والعفاريت والرجال الأشرار والشيطان .. مثل هؤلاء الأطفال هم الذين يحتمل أن يقولوا: «العفريت سيخطفنا» ، كما قد يعبروا عن الخوف من الله .. ومثل هذا الطفل قد يخاف من نفسه ، وأحياناً يهرب من المنزل ، أو من المدرسة أو من الملعب .. وقد يظل طوال حياته مختبئاً ، وقد يقضى وقتاً طويلا فى أحلام اليقظة ، قلقاً مما قد يحدث ..

– إن الأطفال الذين تتملكهم كل هذه المخاوف من أشياء عديدة معرضون للتصرف بعصبية عندما يتقدمون للامتحان ، أو عندما يطلب منهم فى الفصل أن يكتبوا ، أو يشتركوا فى ألعاب المدرسة .. وهذا الطفل العصبى يعانى أيضاً من أعراض خوف جسمانية، عندما يتواجد مع أطفال أكثر عدوانية ومع الراشدين ذوى السلطة ..

وعندما يشاهد شخصاً مصاباً أو دماً ، وقد يشحب لونه ويرتجف أويتقيأ أو يغمى عليه.. ومن الظواهر الشائعة فى هؤلاء الأطفال تضرج الوجه والتوتر الظاهر ، والتنقل بين الاسترخاء والتوتر ، وضعف لا سبب له ، غثيان ، أرق ، سلس البول ، إجهاد ، دوار ، وعدم التحكم فى الإخراج .. إن الطفل ذا الحاجة الشديد للتحرر من الخوف قد يكون أيضاً طفلاً غير متعاون ، إنه قد يرفض الاشتراك فى الأنشطة الرياضية وغيرها من الأنشطة وقد يرفض الذهاب إلى طبيب المدرسة ، أو الاشتراك فى ألعاب المدرسة ، وقد يتوسل لإعفائه ، أو يقول إنه لا يعمل عندما يستدعى – إن هذا النوع من الأطفال يرفض عادة تجربة أشياء جديدة .

– والطفل كثير المخاوف طفل غير متزن ، وقد يكون ذا تأثير سىء على سلوك الآخرين ، ولنبحث الآن فى بعض ما قد يفعله الراشدون مما قد يؤدى إلى زيادة المخاوف غير المعقولة لدى هذا الطفل .. إننا كثيراً ما نسمع أناساً يحذرونه بقولهم مثلا : «إن الشرطة ستتولى أمرك» أو «إذا فعلت ذلك لن تدخل الجنة أبداً» ، أو «سوف تصبح مثل عمك فلان أو خالك علان» أو «سوف ينتهى بك الأمر إلى الإصلاحية» أو « السجن سيكون مأواك» إلخ .

والطفل المذعور يلقى عادة تهديدات، مثل : «سأضعك فى الدولاب إذا لم ترتدع» أو «سأضعك فى غرفة الفئران» أو «إذا لم تذاكر سوف تسقط» إن الخوف من الإصابة قد يتزايد بسبب ما قد يقال له مثل «قد تجرح إصبعك إذا استعملت هذا» أو «ستصاب وتنقل إلى المستشفى» أو «ستعيش مبتور اليد» ... إلخ . وكم من المرات سمعنا الراشدين يقولون للأطفال «لا تقترب من الكلب إنه سيعضك» أو «لا تلمس هذا إن عليه جراثيم» أو «كن حذراً وإلا أصبت بالعدوى» .

وأحياناً يبث الخوف عن طريق الاستدلال كأن يقول الراشد للطفل : «أسرع إلى الداخل إن السماء تبرق» أو «لا تخرج .. هناك الظلام سائد» . ومن بين هؤلاء الأطفال الذين يعانون من الخوف نجد أطفالا مثقلين بهموم أخرى، عندما يكثر قول أحد الوالدين له : «سوف تندم عندما أموت» ، «انتبه .. سوف تقع» و «لا تلعب معهم .. إنهم خشنون» .

– إن المخاوف غير المعقولة تنمو فى بيئة يرى فيها الأطفال الراشدين وهم يسدلون الستائر عندما تبرق السماء ، ويجرون من حيوانات غير مؤذية ، ويصرخون عندما تفاجئهم حشرة .. وأحياناً يلاحظون تكلفاً وتصنعاً فى سلوك الوالدين فى حضور «رئيس العمل» أو «الناظر» أو غيرهما من طبقة اجتماعية أخرى .. إن السلوك

غير الطبيعى أمام الموت ومداومة التحسر على كوارث حدثت أو قد تحدث ، أو رفض الذهاب إلى الطبيب بسبب الخوف ، أو التهويل من مدى الإصابات .. أو إخافة الأطفال من بعض الظواهر .. يمكن إدراجها فى قائمة الأفعال التى يقوم عليها الراشدون كثيراً فى حضور الأطفال فى الوقت، الذى يجب أن يعملوا فيه على إزالة هذه المخاوف .

– وبعد ذلك .. هل يستطيع الآباء والمربون أن يدركوا مشاعر الأطفال الذين يعتريهم الخوف ؟ .. وهل يظن الآباء أو المربون أن أياً من هذه البيانات تعبر عن مشاعر مثل هذا الطفل ؟ .. إنه يشعر بتوتر أعصابه معظم الوقت ، يحس بالتعب والغثيان عندما يخاف ، يشعر بدوار أو بالشلل فى أوقات كثيرة ، إنه يخاف من رجال الشرطة ، والناظر ، والمدرسين ، ويخاف من التسميع فى الفصل ، إنه يخشى إعادة التحدث عن تجربة خطرة أو حادثة ما .. وكثيراً ما يشعر بالاستنكار نحو الآخرين لعدم مساعدته على إزالة مخاوفه ، وقد يشعر بأن الأشياء الغريبة والخبرات الجديدة تهديد لأمانه .. وفى بعض الأحيان يخاف من أن يعتبر جباناً ، وقد يكون مندفعاً فى الظاهر ، كثير الضوضاء ، ويتظاهر بعدم الخوف ، ولكنه فى داخله يكاد يرتجف خوفاً ورعباً .

– إن مثل هذا الطفل قد يشعر غالباً بالرغبة فى الانزواء فى حجرته ، وقد يخفى رأسه بوسادته ، وقد يود أن يتغلب على مخاوفه ، وكثيراً ما يرغب بشدة فى أن يقنع الراشدين بمدى ما تتسم به بعض الأشياء فعلا من الفظاعة .

الوفاء بالحاجة إلى التحرر النسبى من الخوف :

علينا أن نحذر نحن الآباء والمربين من اعتبار «الخوف» هو سمة الأطفال الذين يطلق عليهم صفة «ناعم ، دلوعة» .. إن الطفل كثير البكاء و«الزن» ليس هو فقط الذى لديه مخاوف عميقة ، بل قد يشاركه فى ذلك أطفال يتسمون بالخشونة والعدوانية .. إننا غير متأكدين مما إذا كانت بعض المخاوف تورث فى التركيب العضوى أو مع الشخصية ، ولكننا نعلم أنه فى أولى لحظات الحياة تولد الضوضاء الشديدة سلوكاً يوصف بأنه خوف ، ونعلم كذلك : أن جزءاً كبيراً من عدم الأمان لدى الأطفال يبدو أنها تولد توتراً داخل الجسم، ولإزالة هذا التوتر يسلك الأطفال طرقاً مختلفة تميل إلى أن تتحول إلى عادات، ومن أهم الأهداف فى محاولة التقليل من الخوف خلق موقف يستطيع فيه الطفل أن يتحدث عنه . كما إن إبراز هذه المخاوف على السطح قد يؤدى إلى إزالتها إلى حد ما ، وأن إدراك الأطفال الآخرين الذين لديهم

مخاوف قد يكون ذا عون فى مساعدتهم على التخلص من مخاوفهم ، وأن إدراك الفرق بين الخوف والحذر يساعد أيضاً، عندما يبدأ الأطفال فى تعلم كيف يواجهون المواقف المخيفة بمعالجة حذرة . وبالإعداد والاستعداد ، فإن ذلك يساعدهم أيضاً فى مواجهة مخاوفهم وزيادة الأمان فى حياتهم الداخلية .. إن الطفل لا يستطيع أن يكون شخصية إيجابية إذا كان يعيش تحت ضغط شديد من الخوف .. إنه عندما يشعر بالعجز عن مواجهة مخاوفة، فإنه يتوقف عن مواصلة جهوده نحو التعلم ، ويحجم عن القيام بأنشطة بسبب التوترات المتولدة .. إن المخاوف الحقيقية والوهمية للأطفال كثيراً ما تكون أقوى من مخاوف الراشدين .. إن خيالهم الحى النشط يمكن أن يخلق كثيراً من المخاوف التى تثير الرعب فى نفوسهم .

ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة إلى التحرر النسبى من الخوف :

هناك بعض الأشياء التى يمكن للآباء والمربين أن يفعلوها للتقليل من شعور الأطفال بالخوف .. ومن ذلك :

– أن بعض الأطفال يخافوا ألا يصلوا إلى المستوى المحدد فى المدرسة، وهذا صحيح فعلا إذا كان سلوك المعلم يوحي بجزاءات وعقاب شديد للأطفال الذين لايحققون مستويات معينة .. وقد يكون الأطفال قد تعرضوا للإذلال فى الماضى عندما انتقدت استجاباتهم الشفوية فتولد لديهم خوف من التسميع أو الكلام أمام الآخرين .. وعلى الآباء والمربين أن يرتبطوا بالأطفال بطريقة حنونة ، بحيث إنهم عندما يعجزون عن تحقيق توقعات الكبار ، فإن حب الكبار وحنانهم مع الصغار لن يجعل الصغار يرتعدون خوفاً من العقاب والإهانة، التى يمكن أن تلحق بهم عند فشلهم مما قد يترك آثاراً سيئة فى نفوس الصغار تولد الخوف دائماً عند الفشل ، فعلى الكبار أن يعلموا أن ألد أعداء بناء الشخصية السوية هو الخوف .

– ويجدر بالآباء والمربين أن يؤكدوا مراراً وتكراراً على أن بعض الأخطاء الشائعة فى الحياة اليومية لا تسبب شعوراً عميقاً بالخوف ، ولكن يجب أن تواجه بذكاء، ومن الممكن انتهاز كل فرصة لإثبات أن المقص أو السكين يمكن أن يكونا خطرا ، ولكن إذا تناولناهما كما يجب فإنه لا خطر منهما بالمرة ، بل إنهما أداتان مفيدتان .. ومن الممكن تبيان أن حركة المرور فى الطرقات يمكن أن تنطوى على خطر الأطفال ، ولكن فقط إذا لم يحترسوا لأنفسهم ويكونوا حذرين أو متبعين لإشارات المرور .. والفكرة هنا هى مساعدة الطفل على إدراك أن الخوف يمكن التخفيف منه بالاهتمام الواعى بالمواقف والتخطيط السليم له .

– ويجب على الآباء والمربين أن يساعدوا على وضع سياسة تهدف إقامة ألعاب وأعمال واتصالات، تقتضى الارتباط بين الأطفال من السن نفسها أو التركيب الجسمانى نفسه ؛ فالأطفال ذوو الحجم الضئيل قد يتكون لديهم خوف من الأشخاص الضخام الأجسام إذا ما أجبروا على الاشتراك فى ألعاب يضطرون فيها منافسة أطفال أثقل منهم وزناً ، وبصفة عامة ، يجب أن يراقبوا الاتصالات والمنافسات بحيث نضمن أن تكون هذه المنافسات والاتصالات اختيارية وأن تكون المهارات متقاربة .

– وبعض الآباء والمربين يعطون انطباعاً بالخوف الشديد من الجراثيم .. وهم يؤكدون أخطار التلوث من الأيدى القذرة ، ومن أكل الفواكه دون غسلها أو الشرب من كوب شرب منه شخص آخر ، وبعض الأطفال ينظرون إلى هذه الأشياء بجدية بالغة لدرجة أنهم تمنعهم من التمتع بالطعام .. إنهم يصبحون خائفين من الجراثيم .. وهنا يجب على الآباء والمربين أن يعلموا الأطفال الحذر على ألا يفزعونهم.

– إن الطفل لن يكون فى موقف يساعده على التعلم ، إذا ما ظل يركز انتباهه على ما قد يحدث .. وهنا : يجب أن يكون الطفل حراً فى الاهتمام بما يفعله .. وعلى الآباء والمربين أن يتجنبوا السباب ، والتهديد ، والضرب كوسيلة لتغير سلوك الأطفال، وأن يحاولوا تقليل عدوانيتهم نحو الأطفال بقدر المستطاع ، وبذلك يصبح الأطفال أكثر ارتخاءً واستعداداً للتعلم وأقل خوفاً ..

– يميل بعض الأطفال لعمل أشياء «خطرة» فهم يسرعون فى نزول السلم ، أو يقفزون من أماكن مرتفعة ، أو يجلسون على إفريز النافذة ، أو يأكلون الطباشير ، أو يمضغون الورق .. وهنا يجب أن تكون نصائح الآباء والمربين فى مثل هذه المواقف رقيقة خالية من مظاهر التهويل ، وقد يحدث أحياناً أن يجرح الطفل إصبعه أو يصاب بخدوش لسبب أو لآخر ، وهنا يفيد التصرف الحكيم من جانب المربين فى ترك انطباع بالطرق السليمة لمواجهة مثل هذه المواقف ، وبدلا من أن يقضوا الوقت فى التظاهر بالخوف أو إخافة الطفل ، يجب عليهم أن يساعدوا الطفل على تحليل الموقف ، وعمل ما يجب عمله ، وربما أمكن استخلاص بعض الدروس منه .

– وفى المدرسة فى أثناء الحصص، قد تحدث عاصفة رملية تهز الأشجار أو زجاج النوافذ بشدة ، وقد تزداد الريح ويومض البرق – والطريقة التى يستجيب بها المعلم لهذه الظواهر الطبيعية ينتقل أثرها إلى الأطفال ، ويستطيع أن يشرح المعلم للأطفال بعض مخاوفه، وكيف نشأت هذه المخاوف فى فترة طفولته وكيف استطاع التغلب على خوفه ، ولا يجب أن يصف الأطفال بالغباء وسوء التصرف لأنهم ارتعدوا

خوفاً .. ولا يجب أن يقول إن هذا الجيل الجديد من الأطفال الآخذين فى النمو جبناء لأنهم استجابوا للموقف بدرجة شديدة .. بل يجب على المعلم أن يتوقع حدوث العاصفة ويتوقع ردود فعلهم لها .

ويجب على المعلم فى المدرسة أن يقلل أيضاً من المخاوف ، عندما يحاول الأطفال دراسة بعض الأشياء التى تجلب الخوف مما يتضمنه المنهج المدرسى كالعواصف أو الجراثيم أو حركة المرور أو بعض الأمراض ... إلخ ، فيجب أن يحصل الأطفال على معرفة كافية بالأسباب والنتائج .. ذلك أن الفهم العميق لهذه الأشياء يساعد على الإقلال من الخوف منها .

- إن مخاوف الأطفال واقعية وهى مهمة بالنسبة لهم ، وعندما يبدون بعض دلائل الخوف ، فعلى الآباء والمربين ألا يهزأوا منها بل يجب أن يساعدوهم على التنفيس عنها ، وأن يظهروا التقدير لها والاهتمام بما يقولونه ، وأن يكونوا متعاطفين إزاء أول بادرة للتعبير عن هذه المخاوف ، فالأطفال لن يعبروا عنها إلا إذا كان هناك ضغط شديد فى داخلهم ، وعندما يحدث ذلك .. فعلى المربين أن يقابلوها بجدية دون سخرية .

- يجب على الآباء والمربين حل مشاكل الأطفال الذين لديهم مخاوف واضطرابات ملحة .. بأن يقترحوا على الأطفال أنهم إذا كانت لديهم بعض المخاوف التى يرغبون فى الحديث عنها ، فعليهم أن يقصدوهم على انفراد، وأن يقوموا بطرح الموضوع برمته ؛ إنهم ينقلون إلى الأطفال فكرة أن الكلام عن المخاوف كثيراً ما تفيد، وأنه كلما كان لدى الأطفال مثل هذه الأشياء ليناقشوها فإنه لمما يسرهم أن يقابلوا الآباء أو المربين ، ويتكلموا معهم عن مشاعرهم واضطراباتهم حتى تخف حدتها.

- فى هذه الحقبة المضطربة من الزمن ، ينشأ كثير من الأطفال فى جو ترفرف عليه أصداء الحروب والانقلابات والهزات الاقتصادية ... إلخ ، وغالبا ما يشب الأطفال على سماع التخريب فى كل مكان .. وعلى الآباء والمربين تقع مسئولية ضخمة من أجل ترسيخ أفضل حالات الصحة العقلية فى هذه المواقف الصعبة .. إن الحقائق عن الحرب وعن معدلات الوفاة فى الحرب تفيد أحياناً ، وكذلك يفيد بث الطمأنينة فى نفوس الأطفال بتأكيد أن تحركات قوية تجرى لإحلال السلام .. وأن تعاون الشعوب القوية والمحبة للإنسانية لن يترك إنساناً يأكل أخيه جوعاً .. إن التأكيد للأطفال بأن الأوقات العصيبة تجعلنا نقترب أكثر من بعضنا البعض مما يزيد

الأمان .. إن هذه المخاوف من الحروب ، ومن القنابل الذرية ، ومن الفقر والجوع بالإضافة إلى المخاوف المجهولة عن المستقبل تعتبر ظواهر خطرة .. وتفيد أحياناً المناقشات الهادئة الرزينة بين الآباء والمربين وأطفالهم فى تهدئة هذه المخاوف .

وعلى الكبار أن يبينوا للأطفال أن الأديان السماوية فى العالم تنادى بالحب وحسن النية ، وهناك من المؤلفات ما يزخر بأسماء عظيمة وبأعمال المجموعات التى كرست للصداقة بين أفراد البشرية معظم عملها . ويجب أن يعرف الأطفال شيئاً عن الأفراد والمنظمات العديدة ، التى تعمل من أجل الوئام والصداقة والسلام بين كل الشعوب ، وعدم الانحياز ... إلخ .

– إن بعض الأطفال يشعرون بالخوف من الأفكار الجديدة لأنها جديدة وبعض الأطفال يخافون من اللعب الجديدة ، والمهام الجديدة ، والمعارف الجديدة ، والخبرات الجديدة .. إلخ ، إن هؤلاء الأطفال قد تعلموا الخوف من الجديد والغريب .. ويستطيع الآباء والمربون تحطيم هذا الخوف بكثرة تأكيد عدم علاقة عامل الجدة بذلك .. ومن الممكن مساعدة الأطفال على تحليل الموقف بدلاً من التركيز على عامل الغرابة والجدة .

– إن بعض الأطفال يخافون من أن يكونوا متخلفين .. إن لديهم ميلاً لأن يكونوا مثلهم مثل الآخرين ، ومن المحتمل أن هذا الميل يرجع إلى ثقافتنا المنزلية ، ولكن كثيراً من المدارس تعززه نتيجة للمعيار الواحد الذى تفرضه على كل الأطفال للأداء .. ويستطيع الآباء والمعلمون أن يقللوا من هذا الخوف بتبيان الاختلافات التى يحبونها .. الاختلافات بينهم وبين الإخوة والأصدقاء وأعضاء هيئة التدريس فى المدرسة ، والاختلافات فى الكتب الجارى دراستها وكيف أن هذه الاختلافات توفر برنامجاً أفضل للقراءة ، والاختلافات فى قدرات الأطفال التى تجعل من المجموعة صحبة أسعد فى العمل معها .

إن الآباء والمعلمين يمكنهم بهذه الطريقة أن يبينوا للأطفال أن الإنسان لا يجب أن يخاف من كونه مختلفاً ؛ لأن ذلك يجعل منا جميعاً متوسطين ، وبعبارة أخرى ، فهم يساعدون هؤلاء الأطفال على إدراك أن الهدف هو ألا نكون جميعاً متشابهين؛ حيث تكون الاختلافات من عوامل السعادة .

– وأحياناً يشعر الأطفال بخوف شديد من الجنة أو النار ، أو من الوالدين أو من كليهما ، أو من الكبار ، أو من الأحلام أو النوازع التى تراودهم ، أو من الجنس الآخر ، أو من المستقبل . وعندما يشعر الآباء والمربون أن مخاوف الأطفال بالغة العمق أو

الشدة من جهة أشياء لا قبل لهم بمجابهتها ، فعلى المربين العمل على عرض الطفل على أخصائى فى علم النفس الإكلينيكى أو التحليل النفسى أو الأمراض النفسية .. وهذه الوسائط تعمل أيضاً على تقليل المخاوف ..

– إن الجو الشامل للفصل والمدرسة وجدول العمل به لهما أثرهما على زيادة أو خفض المخاوف .. فهناك وقت يجب فيه الاسترخاء بعد حصة تربية رياضية مثلا ، فالمرونة فى متطلبات المدرسة ضرورية لعمل توازن مع حاجات الطفل ، وإذا ساعد المعلم الأطفال فى وضع المعايير وفى تنفيذها أدى ذلك إلى راحتهم النفسية ، وإذا كانت هناك بعض الموسيقى الخفيفة لفترة ما أثناء اليوم الدراسى ، وإذا كانت هناك حفلات وفترات للمرح ، أو رحلات وإذا كان هناك جو عام من التسامح والمشاركة .. فإن مجموع هذه الأشياء يعمل كمساعد مؤثر ومخفف للخوف .

– إن العمل مع الوالدين يمكن أن يساعد على تأكيد أهمية الدور الذى يلعبه الخوف فى تشويه السلوك ... ويستطيع المعلمون أن يساعدوا الوالدين على فهم أهمية التقارير المدرسية فى حياة الأطفال ، ويستطيع المعلمون أن يساعدوا الأطفال فى فهم العلاقة بين الإنجاز والنمو ، كما يستطيعون مساعدة الوالدين على تكامل علاقاتهم الإنسانية مع الجهود التى يحاول المعلمون بذلها . ويستطيع المعلمون عن طريق اتصالاتهم بالوالدين ، ومجالس الآباء ، ومجالس الحى ، والأقارب ... إلخ، أن يجعلوا نفوذهم مؤثراً فى التخفيف من الخوف فى حياة الأطفال ..

– إن كثيراً من الأطفال يخافون من بعض المواقف المشبعة بالخوف ، لأنهم يفتقرون إلى المعرفة وبعد النظر لفهمها الفهم الصحيح .. ويمكن فى المدرسة الحصول على بعض الأفلام التعليمية الجيدة الحافلة بعوامل الفهم وبث الثقة ، والمهم فى الأمر هو أن نجعل الأطفال يخففون من خوفهم ، بعد معرفتهم بالأسباب والنتائج المتعلقة بما يخافون منه ، فالأفلام السينمائية والراديو والتليفزيون والمسرحيات الفكاهية .. كلها تضم مواد يمكن أن تولد الخوف والقلق ، ومن المتعذر على الآباء والمربين أن يعدوا الأطفال لكل هذه المواقف ..

وعلى أى حال، من الممكن للآباء والمربين أن يتحدثوا عن هذه الوسائط التعليمية والإعلامية ، وبإمكانهم أن يشجعوا الأطفال على أن يتحدثوا عما سمعوه أو شاهدوه ، وعن أى مخاوف تكون قد نشأت نتيجة لذلك . ومتى عرفت هذه المخاوف وجرى حولها الحديث.. يصبح الآباء والمربون فى موقف أفضل لمساعدة الأطفال فى توقع هذه المواقف، وباستطاعتهم أن يساعدوهم فى تفهم معظم المواقف .

ما يجب أن يبتعد عنه المربون لضمان التحرر النسبى من الخوف :

هناك بعض الأشياء التى يجب على الآباء والمربين أن يتجنبوها؛ حتى يتمكنوا من مساعدة الأطفال على التحرر من الشعور بالخوف ، من ذلك :

– أن يعلموا أن الهدف فى حد ذاته مكافأة ، ولكن عدم الوصول إليه قد يكون أحياناً جزاءً شديد الوقع .. وإذا كان فى هذه الحالة مصحوباً بتهديدات أو تحذيرات فإن ذلك يزيد من الخوف .. ويمكن أن يتحدث الآباء والمربون للأطفال عن مغامرات جديدة وكتب جديدة ومهام جديدة لكى يكونوا على استعداد لها .. وألا يقعوا فى خطأ افتراض أن الأطفال الخائفين يحتاجون للتحدى .. إن الواقع هو العكس ..

– ألا يبعث الآباء والمربون الخوف فى قلوب الأطفال بشأن أحداث الحياة اليومية ، ولا يرووا لهم تفاصيل الحوادث الدموية ، ولا يقصوا عليهم قصصاً عن أطفال معينين أذوا أنفسهم نتيجة تناولهم بعض الأدوات أو المواد . ولا يحاولوا أن يجعلوا الأطفال يفعلون أشياء أو يتجنبون أشياءً لمجرد الخوف .. ويجب أن يساعدوا الأطفال على إدراك أن استخدام ذكائهم فى موقف ما هو أفضل عون لهم .

– يجب على الآباء والمربين ألا يجبروا الأطفال على التبارى والتنافس ؛ لأن ذلك يخيفهم أحياناً .. فلايكفى اختيار الطرفين من الأطفال دون أن يجعل الطرفين متساويين نسبيًا، وإذا اشتد العنف فى الألعاب يجب أن يتأكد الآباء والمربون من فرض بعض السيطرة، وأن الأطفال يشعرون بأنهم سيجدون حماية إذا ما اشتد العنف..

– ألا يظهر الآباء والمربون ردود فعل متطرفة إزاء سلوك الأطفال الخائفين.. وألا يفزعوا أو يصدموا لأفعالهم، ولا يقولوا لهم : «ما يحتمل أن يحدث لهم» . ولكن يمكن أن يشرحوا للطفل فى حنان وود ، الدور الذى يلعبه الذكاء فى مواجهة مثل هذه المواقف .

– ألا يظهر الآباء والمربون انفعالاً أو اشمئزازاً لمجرد القليل من الاتساخ ، أو التهويل من أثر الجراثيم .. وإذا ثار كلام حول ذلك ، فيجب أن يحاولوا التقليل من الخوف من الجراثيم، وأن يؤكدوا الدور الإيجابى نحوها ، وبذلك يستعملوا الحكمة والحذر فى الموقف .

– ألا نستغل المواقف والأحداث غير العادية لإخافة الأطفال ، أو نعطيهم الانطباع بأن ذلك يمكن أن يحدث لكل منهم فى أى لحظة ، أو أن نظهر فزعاً لمنظر

الدم أو الخوف لوجود ألم ، وأن نعترف بآلام المصاب، ونتقبل الشكوى منه ونعمل على مساعدته .

– بعض الآباء والمربين يثورون على الأطفال فيصيحون في وجوههم وينتهرونهم ويهددونهم ويرسلونهم إلى بعض الأماكن عقاباً لهم ، أو يعزلونهم وهم يسخرون من الأطفال أمام أقرانهم ، وبذلك فإنهم يستغلون الخوف كباعث .. إنهم يحاولون تغيير سلوك الأطفال عن طريق التخويف والقوة والتهديد ، وهذا خطأ كبير غالباً ما تكون له أخطاره الجسمية على الطفل .

– ألا يتجنب المعلمون مناقشة الموضوعات المخيفة في الفصل ، وعندما يعرضون مثل هذه الموضوعات، يجب ألا يبدأوا بكلمة «يحكى أن» ، ولكن يجب أن يتركوا الأطفال يستطلعون اهتماماتهم الشخصية ، ولا يقولوا إن هذه الأشياء لا علاقة لها بالمنهج ، ويحاولوا أن يقللوا من أهميتها . وأفضل طريقة ألا يستخفوا بمخاوف الأطفال أو يضحكوا منها أو يسفهوها .. مثال ذلك : يجب ألا يقول المعلم : «فلان خائف جداً من الناموس» و «فلان» هذا قد يكون على وشك أن يخبر المعلم بخوفه فعلا.. وقد يضحك الأطفال ، وقد يؤدى ضحك الفصل على «خوف فلان من الناموس» إلى إعاقة أى تعبير مستقبلى عن ذكر الطفل لمخاوفه .. إن الأطفال شديدو الحساسية أكثر من معظم الناس .. إنهم لا يريدون أبداً أن يكونوا موضع ضحك ، وينطبق هذا بصفة خاصة على مخاوفهم .

– يجب أن يتحاشى الآباء والمربون بقدر الإمكان فترات السكون والمثير للقلق، ويتجنبوا تعبيرات خاصة قد تثير الفزع أو الرعب فى قلوب الأطفال ، ويتجنبوا التفسيرات الخرافية للظواهر الطبيعية ، ولا يتحدثوا عن هذه الأشياء كعقاب عن سلوك صدر من الطفل .

– ومن الأشياء السيئة عن المخاوف أنها تميل للبقاء فى خصوصية وكتمان .. إننا بالطبع نخجل من مخاوفنا .. لذلك فمن المهم بالنسبة للآباء والمربين ألا يزيدوا من هذا الخجل أو ذاك الكتمان .. وألا يحاولوا أن يكبتوا هذه المخاوف أو يحاولوا تجنبها ، أو يعيروها عدم الاهتمام .. ففهم هذه المخاوف أو التحدث منها يساعد على خفضها .

– وإذا أثيرت فى المناقشات فظائع حرب مقبلة ، أو أهوال قنبلة أو وحشية مذبحة .. فإنه على الآباء والمربين أن يعملوا جاهدين لإزالة هذه النزعات العدوانية .. وإذا عرضت هذه الموضوعات للمناقشة .. فلابد أن يصلوا مع الأطفال إلى نتيجة

تبعث الاطمئنان فيهم ، ويتركوا الأطفال أكثر ثقة فى مواجهة المستقبل .

– عندما يواجه الآباء أو المربون مواقف جديدة فى حضرة الأطفال، يمكنهم أن يفعلوا ذلك بطريقة استطلاعية وحماسية .. وليس من المستحسن أن يكونوا مفرطين فى الحذر فى تناول موضوعات جديدة، أو تأكيد ضرورة الحذر من جانبهم عندما تطرأ أشياء جديدة .. ويجب ألا يعطوا الأطفال فكرة أن الخبرة شىء يحسن تجنبه ، بل عليهم أن يذكروا أننا فى أثناء نمونا يجب أن نستطلع الأشياء الجديدة ونرحب بها ونعمل معها ، وعندما تكون هذه الأشياء جديدة نجعلها جزءاً من حياتنا.

– ألا يؤكد الآباء والمربون على الكراهية والحسد والطمع والتهكم والمنافسة وغير ذلك من العوامل على اعتبارها الدوافع الوحيدة للحصول على أعلى المكافآت .. وألا يتركوا الأطفال مع الانطباع بأن أفضل وسيلة للتقدم هى تخطى الآخرين .. إن ذلك كثيراً ما يترك انطباعاً بالخوف ، ويصبح الأطفال فى خوف من الآخرين ويزداد اضطراب أمنهم الداخلى .

– عندما يذكر الآباء أو المربون أن سلوك أحد الأطفال مختلف .. يجب ألا يتركوا الانطباع بأنه غير مرغوب فيه إلى حد ما – ولا يتغاضوا عن ضرورة فحص مفهوم «الاختلاف» بأكمله .. ويجب ألا يكافئوا الطفل على التطابق أو التقليد ، ولكن يكافئوته عليه إذا كان هذا التطابق عن شىء يستحق ذلك .. والواقع أنه يجب أن يكافئوا على الاختلافات بقدر الإمكان ، وأن يشمل ذلك أكبر قدر من التنوع فيها بقدر ما يستحق الاهتمام بها ، وكل هذا يؤدى إلى التقليل من مخاوف الأطفال الذين يخافون من أنهم مختلفون .

– ألا يتجنب الآباء والمربون الفرص للكلام عن خبرات الأطفال خارج المدرسة ؛ خاصة فى مجال الراديو والتليفزيون والسينما .. إن هذه الوسائط الإعلامية تؤثر فى نمو الأطفال ، وليس من الحكمة أن يعتبروها غير مهمة، بل يجب أن يخصصوا لها وقتاً واعتباراً أثناء العمل مع الأطفال ، ولا يتوانوا عن فعل كل ما يمكنهم لكى يجعلوا الأطفال يستوعبونها بذكاء أكثر .

– يجب ألا يواصل الآباء والمربون الضغط على الأطفال طوال اليوم، فيجعلونهم يركزون طوال الوقت على العمل المدرسى المكثف .. وبدلاً من تكرار كلمة «أسرع أسرع» يحسن اقتراح أهداف أو جزاءات أو مكافآت الطفل، ويجب أن يستخدموا أساليب التنوع فى الحياة اليومية للأطفال.. إن الزخارف التى فوق الجدران ، والمناضد الإضافية فى الحجرة ، وترتيب المقاعد – كل ذلك قد يوحى بالجمود

والتشدد ، ولكن الآباء والمربين المرهفى الحس يمكن أن يتوصلوا إلى طرق متنوعة لتحسين بيئة الطفل .

– يجب ألا يحاول الآباء والمربون أن يتصرفوا فى المشاكل النفسية العميقة للأطفال، محاولين أن يقوموا بدور الطبيب النفسي أو المحلل النفسى ، وبدلاً من ذلك يجب أن يحاولوا التوصل مع الأخصائى المؤهل أو الاتصال بالمسئولين؛ لمعرفة ما يمكن عمله للحصول على مساعدة الأخصائيين .

الحاجة للأمان الاقتصادى : The need for economic security

وتشير هذه الحاجة إلي مدى شعور الطفل بالوفاء باحتياجاته الأساسية ، فالشهور المبكرة من حياة الطفل النامى توفر له الشعور بالأمان الاقتصادى عن طريق إمداد وافر بالطعام ، والكساء الملائم ، والمأوى .. وفى معظم الأحيان يوجد استقرار فى علاقات الحياة طوال تلك الفترة من العمر .. ولعل السبب فى ذلك أن الطفل الصغير لا يستطيع إيصال ردود فعله ، وليس لديه مقاييس للأمان الاقتصادى .. إن هناك ميلاً ليتعلم أن بيئته الخاصة مهما كان شأنها هى بيئة يمكن الاعتماد عليها والثقة أنها ستستمر .. وإذا توافرت له الثقة فى استمرار الإمداد باحتياجاته الأساسية فى الحياة .. فإن هذا المقياس يصبح مقبولاً .. ولكن هذا المقياس يتغير كثيراً تبعاً لاختلاف الأسر ، وبقدر ما يشعر الطفل بأن نظام حياته والوفاء باحتياجاته الأساسية سوف يستمر، فإنه تتاح له فرصة أخرى لبداية جديدة متينة وسط مجموعة الأشياء التى نسميها «بالأمان الداخلى» . وبمرور الشهور والسنين يجب أن يستمر هذا الموقف مأموناً نسبيًا .. أما إذا واجه تهديداً أو شكوكاً قوية وقلقاً حول أمنه الاقتصادى فإن الشخصية تهتز .. وإذا ما صادف احتياج الطفل للأمان الاقتصادى معوقات أو إحباطات .. فإننا نعود فنتوقع نتائج سيئة، تنعكس على شخصية الطفل النامى .

كيفية اكتشاف الحاجة للأمان الاقتصادى :

لا يقاس الأمان الاقتصادى بالثراء أو الممتلكات ، بل فى استقرار المركز المالى وضمان استمراره .. وسنحاول فيما يلى تعرف الأطفال الذين يعانون من اضطراب أو قلق بسبب أن مركزهم الاقتصادى (بصرف النظر عما إذا كان سيئاً أو حسناً) غير مستقر ، فبالنسبة لهؤلاء الأطفال، يبدو المستقبل القريب بالنسبة لهم إما غير ثابت أو مهدد .. إنهم قلقون خوفاً من أن يتغير الموقف الحالى تغيراً كبيراً ، وفى بعض الأحيان يعبر هؤلاء الأطفال عن قلقهم بصوت عال .. فقد نسمعهم يقولون : «قد يفقد أبى وظيفته» أو «عندما أصبح عجوزاً هل سأكون فقيراً مثل جدى» .

– وعادة نسمع هؤلاء الأطفال يعكسون قلق والديهم .. كأن يقول الطفل : «ماما قالت إنه إذا مرض أبى فإنها لا تعرف ما الذى سنفعله» أو «قال أبى إننا إذا أنجبنا أطفالاً آخرين فسيكون من الصعب أن نحصل على احتياجاتنا» ، وقد نسمعهم يقولون: «إننى فى حاجة للذهاب إلى طبيب الأسنان، ولكن ماما تقول إننا يجب أن ننتظر وربما لن أستطيع الذهاب أبداً» أو «لقد وعد أبى مرات عديدة أن يحضر لنا أشياء ، ولكن يحدث ما يحول دون ذلك .. هل سيكون الأمر دائماً على هذه الحال ؟ ..» أو «كنت واثقاً تماماً من أننى سأحصل على بدلة جديدة ولكن أخى مرض» و «فى كل مرة تقريباً أحتاج لشيء .. يقول والداى إن أحداً لا يستطيع أن يعرف ماذا سيحدث» .

– وعادة ما يقلق الطفل الذى من هذا النوع نحو احتمال الانتقال من مسكنهم؛ ولذا أحياناً نسمعه يقول : «إذا لم تتحسن الأحوال فلن نعثر على مسكن جديد غير مسكننا هذا الآيل للسقوط» ، أو يقول «سوف يضطر أخى الأكبر لترك المدرسة والعمل لأن مرض أبى طال» .. أو يقول : «سأضطر للعمل بعد الظهر وبعد خروجى من المدرسة حتى أستطيع أن أساعد أسرتى» أو يقول : «مش عارف إذا كنت سأستمر فى المدرسة، أم سأضطر لتركها والعمل من أجل كسب العيش ، أو الصرف على أسرتى» ... إلخ .

– وكثيراً ما يشير الطفل الذى يفتقر إلى الأمان الاقتصادى إلى وظيفة أبيه غير الثابتة ، أو إلى الأجور أو غير ذلك من العوامل المادية، التى يشعر بأنها قد تتعرض للتهديد إما حالياً أو فى المستقبل ؛ أى إنه يفتقر عادة إلى الثقة فى المستقبل .

– وأفعال هؤلاء الأطفال كثيراً ما تعكس أعراض عدم الأمان الاقتصادى : فأحياناً نجد طفلا يبدو منزعجاً حول خلفيته الأسرية .. إنه قد يحاول عادة أن يحول دون الناس ومعرفة أى شيء عن مركزه الاقتصادى ، وقد يرفض قبول المساعدة أو الهدايا .. ومثل هذا الطفل قد يكون حساساً بدرجة غير عادية لمواقف الآخرين ، وقد يبدو متحدياً .. وقد نجد أن الطفل يميل للدفاع كثيراً عن مركزه الاقتصادى ومركز أسرته ، وقد يتفاخر بما يمتلك أو ما تملكه أسرته .. ومن جهة أخرى قد نجده يبدو وكأنه فقد احترام الذات، وفى هذا النوع قد نجد أيضاً أطفالاً يميلون إلى اقتناء عديد من الأشياء عديمة الفائدة .

– ونجد أن الطفل الذى يعيش فى وسط ينمى الحاجة للأمان الاقتصادى ويزيد هذه الحاجة مع مرور الزمن .. قد يبدو عليه الشعور بأن عدم الأمان والنقص لامجال لهما فى الظروف الفعلية ، وربما شعر بأن وظيفة الأب قد لا تستمر ، وأن الغد غير

مأمون ، وقد يشعر بالانزعاج لبعض الأخبار التي تتعلق بمشاكل المجتمع الاقتصادية، وربما تذكر «الأوقات السعيدة» ، وقد يشعر باكتئاب نحو عدم الاستقرار الحالي .. وبالمرارة تجاه موضوعات الأغنياء – الفقراء ، وقد يشعر بأن المجتمع كله مسئول عن سوء مصيره .

وهكذا تبدو مظاهر عدم الأمان الاقتصادي، كما وصفناها سابقاً، من خلال علاقة الطفل بالنواحي الاقتصادية .. ولكن كيف ينمو عدم الأمان الاقتصادي لدى الطفل : في الواقع أن الطفل الذي ينشأ لديه هذا الإحساس، إنما يتكون لديه في إطار اجتماعي يظل مؤثراً فيه .. وبعبارة أخرى : فإن عدم الأمان قد نشأ فعلا ، والآن فإن المؤثرات نفسها تزيد من حدته :

– وفي المنزل يناقش الوالدان أحياناً شئون المنزل المالية أمام الطفل بطريقة تخلق جواً من عدم الاستقرار بالنسبة للمستقبل .

– والنوع نفسه من القلق قد ينشأ عن أسباب لا حصر لها، يقولها الوالدان أو يفعلانها لطفلهما في أمور تتعلق بالنقود أو الممتلكات المادية ..

– وفي المدرسة نجد عدم الأمان الاقتصادي قد يتزايد عندما يحدث جمع نقود في الفصل لعمل وسائل تعليمية مثلا أو القيام برحلات أو تبرعات ، أو عندما يطلب من الأطفال شراء ملابس خاصة «للتربية الرياضية أو للتدبير المنزلي» أو معدات وأدوات مدرسية .. وكذلك يحدث في المدرسة مثل ما يحدث في المنزل.. فإن المدرسين قد يوحون للأطفال بشعور عدم الأمان الاقتصادي، من خلال الطريقة التي يتحدثون بها عن المستقبل .

وهنا .. نعود مرة أخرى ونشير إلى أن مشاعر عدم الأمان الاقتصادي تتولد في الأطفال من كل المستويات الاجتماعية .. فقد يتواجد في الفصل الواحد أطفال من أسر من الطبقات الفقيرة ومن الطبقات الوسطى ومن الطبقات العليا وقد نجد أطفال الطبقتين الأخيرتين يتحدثون كثيراً عن النفقات وارتفاع أسعار كل شيء ، وارتفاع الضرائب ، والتضخم ، وقد يبدون تشاؤماً نحو المستقبل .. إنهم لا يدركون أن بعض ما يقولون له وقع شديد على الاستقرار العاطفي لأطفالهم .. وبذلك .. فإن الإحساس بعدم الأمان الاقتصادي يمكن أن يتواجد بين أطفال الأغنياء ، مثلما يتواجد لدى أطفال الفقراء .

الوفاء بالحاجة للأمان الاقتصادى :

يمر الطفل النامى فى أولى أيام حياته بكثير من العلاقات الاقتصادية مع أمه فعندما يكون الطعام جيداً ، وعندما يكون هناك انتظام فى الحصول عليه ، وعندما تكون هناك ثقة بأن الجوع لن يمر دون إشباع ، فإنه يشعر بأن البيئة قد هيأت له الأمان الاقتصادى بالمعنى الدقيق .. وعندما يتعرف الطفل المأوى أو مصدر الإنفاق.. فإنه يختبر هذا المصدر فى إطار من الود فى حياته مع أمه ، ويصل إلى أن يتوقع أن يكون هذا المصدر راسخاً ومستمراً ..

إن الأمان الاقتصادى يبدو كأنه استمرارية لما كان قد أبقى على الحياة فى ذلك الإطار من الدفء والثقة المتبادلة .. وبنمو الطفل فى مثل هذا الجو يحس باستمرارية فى الضروريات الأخرى : الملابس ، اللعب ، الزينة ، المسرات الأخرى .. إن هذا الاستقرار المستمر للبيئة المعينة يرتبط بعلاقات سارة ، ويعمل الإحساس بالأمان الاقتصادى على بناء ثقة بأن هذه المتطلبات سوف تجاب فى المستقبل .

وبذلك يبدو أن الأمان الاقتصادى لا يرتبط بشكل أو بآخر مع الوفرة ، أو بامتلاك القدر نفسه الذى يمتلكه أفراد الطبقة الوسطى أو العليا ... عندئذ نقول : إن الأمان الاقتصادى شيء نسبى، وتصبح مسألة المساواة مع الأسر الأخرى ليست هى المقصودة بأمان الطفل الاقتصادى ، وإلا فإن الأمان الاقتصادى لن يتحقق .. وبذلك فإن مفهوم الأمان الاقتصادى، يرتبط بالثقة فى العلاقات التى تعطى الأمان والتى تتفاعل فيها احتياجات عاطفية أخرى ، وينظر إلى الأمان الاقتصادى على أنه قلق نحو المستقبل الاقتصادى سواء كان هذا المستقبل هو القريب أو البعيد .. فعندما يقلق الأطفال بشأن وظيفة أبيهم أو ينزعجون بسبب أن المعلمين أو الوالدين قد أوحوا ببعض المخاوف نحو المستقبل – نقول : إن الأمان الاقتصادى فى حياة الطفل أصبح مهدداً .

وعندما يشعر الأطفال بأن ضروريات الحياة هذه هى أقل من الحد الأدنى للإبقاء على الحياة وعلى الصحة ، نقول : إن الأمان الاقتصادى معرض للخطر، وعندما يشعر الأطفال بأن المدارس وغيرها من المؤسسات الاجتماعية تفرض أعباءً على ميزانية الأسرة لا يمكن مجابهتها ، عندئذ يظهر الإحساس بأن الأمان الاقتصادى مهدد ، وعندما تكون كل عملية شراء يفكر فيها الطفل ترتبط بميزانية يجرى التحدث عنها وكأنها مشكوك فيها .. فهنا أيضا يصبح الإحساس بالأمان الاقتصادى فى خطر .

ما يجب أن يفعله المربون للوفاء بالأمان الاقتصادى :

هناك بعض الأشياء التى يستطيع أن يفعلها الآباء والمربون، للمساعدة فى إعادة الإحساس بالأمان الاقتصادى لدى الأطفال ، من ذلك :

- يجب أن يهتم المربون بصفة خاصة بالفصول التى تضم أطفالاً من أسر تتفاوت كثيراً فى دخولها ، وأن يكونوا حذرين من أن المطالب المالية التى تعتبر سهلة التحقيق لطبقة أعلى تكون بالغة الصعوبة للمجموعات ذات الدخل الأقل .. ولذلك يجب على المعلمين عندما يطلبون أدوات ومعدات مدرسية تتعلق بالكتب والكراسات والأقلام .. وغيرها أن يكون شراؤها فى مقدور جميع الأطفال من المستويات المختلفة .

يجب على المربين فى المدرسة أن يتعاونوا مع المسئولين عن الخدمات الاجتماعية الأخرى فى المدرسة؛ بحيث يستطيع أطفال بعض الأسر الحصول على عدة خدمات هم فى حاجة إليها . وبذلك يتسنى لهم الحصول على هذه الخدمات.. بما لا يجرح شعورهم ، فإذا قام المربون بإجراء بحوث دقيقة عن مثل هذه الخدمات فإنهم يستطيعون مساعدة كثير من الأطفال، فيما يختص بالخدمات الطبية ، أو البصرية ، أو الوجبات الغذائية ، وأحياناً الملابس ... إلخ .

- إن بعض الأطفال الذين ينوءون تحت ثقل كوارث اقتصادية حلت بأسرهم، ويبدو لديهم إحساس بفقدان الأمل فيما يختص بالمستقبل القريب ، لابد من الحديث مع هؤلاء الأطفال وطمأنتهم للمستقبل ودراسة حالاتهم بسرعة وتشجيعهم على دراسة سيرة العظماء، الذين اجتازوا مثل هذه الأزمات بالعمل والصبر والتنازل عن بعض الاحتياجات لفترات مؤقتة، والمشاركة مع هؤلاء الأطفال فى إدراك أنه مهما يحدث لبلد بأكمله يحدث لنا جميعاً ، وأننا جميعاً بالعمل معاً لابد وأن نتمكن من حل هذه المشاكل ، وأنه لا داعى لأن يخشاها الطفل .

- يستطيع المربون والآباء أن يساعدوا أطفالهم على النظر بوضوح إلى الدور الذى تلعبه الأشياء المادية فيما نسميه بالحياة الطيبة ، وإفهامهم أن دور الأمان الاقتصادى ليس مجرد تجميع الأشياء المادية واكتناز الممتلكات ، بل الوفاء باحتياجاتهم الأساسية ومساعدة غيرهم . وإذا حدث أن قال الوالدان للأطفال إن شيئاً معيناً كانوا يرغبون فى شرائه، ولا يمكن شراؤه الآن ، أو أنه يجب تأجيل ذلك بسبب عدم الاطمئنان للمستقبل ، فيحسن أن توجد مساحة كافية ليستطيع الأطفال التحدث

إلى المعلم عن مثل هذا الموقف، وليمكن أن يطمئنهم بطريقة تخفف من الشعور العميق بعدم الأمان الاقتصادى .

– يجب أن يؤكد المنهج الدراسي المساهمات التى قدمتها كل طوائف الشعب فى سبيل النجاح كأمة .. وبذلك يستطيع المربون أن يساعدوا طلابهم على إدراك التقدم الذى حققته المجموعات ، وهى تعمل فى سبيل تحقيق أهداف مهمة . وأن يوضح المنهج أن هناك حالات كثيرة جداً من الحرمان، قامت بدور التحدى للأمان الداخلى وليس بتهديده .. وهنا يكون العمل المدرسى خاصًا بمساعدة الأطفال على إدراك الدور، الذى تلعبه الأشياء المادية فى حياة المجموع وفى حياة الفرد .

– ويستطيع المربون مساعدة الطفل بطريقة شخصية بحتة ، وبأن يرتبوا لحصوله على المال اللازم إذا كان لذلك أهمية بالغة ، أو لحصوله على تذاكر لأحد العروض أو الحفلات الموسيقية أو المباريات الرياضية، أو يرتبوا لعملية تبادل الملابس التى يقدمها ممثلون من الآباء ... إلخ؛ حتى يمكن تخفيف عبء تدبير الملابس عن ميزانية الأسر ، ويجب أن يتم ذلك بمنتهى التكتم ، مع الاهتمام بالأمان الداخلى للأطفال الذين يتم العمل معهم .

– وهناك أطفال كثيرون يريدون فعلاً لو تتاح لهم فرصة لكسب بعض المال ، وأحياناً لا يهتم الآباء والمربون بهذه الناحية الاهتمام الكافى . ولكن يجب عليهم التوصل إلى معرفة احتياجات الأطفال الصغار ، ويمكن أن يقوموا بمبادأة فى مساعدتهم على التخطيط للحصول على دخل إضافى، مهما كان صغيراً كأن يشتركوا فى مشروعات إنتاجية من خلال الجمعيات المدرسية المختلفة المنتجة مثل عمل المربات والشربات والعطور ... إلخ .. المهم أن يساهم فيها الطفل بالعمل ليكسب المال الذى يحتاجه .

– وأحياناً فى محاولة المربين مساعدة طفل ما ، يحاولون الحصول على معلومات عن الوالدين، طارحين أسئلة حول عملهم، وعلى المربى الذى يعمل بهذا الشأن أن ينتبه إلى أن الأطفال ذوو حساسية نحو مثل هذه الموضوعات . ولذلك يجب أن نقدم لهم بحذر شديد مع ضمان الخصوصية والتكتم ، وينطبق ذلك خاصة عندما تجرى تحريات عن أطفال المدرسة أو الفصل، الذين يحتاجون لمساعدة معونة الشتاء مثلا .. إلخ ، لابد وأن يتم فى تكتم وسرية، وبذلك تحمى إحساسهم بالأمان ولا نجرح شعورهم ..

– ويستطيع المربون أن يقدموا لأطفالهم معلومات عن سياسة الدولة فى توفير

الأمان والضمان الاجتماعى للصغار والكبار على السواء بطريقة ، تزيد من إحساسهم بالأمان الاقتصادى .

– ويستطيع الآباء والمربون أن يساعدوا أطفالهم فى إدراك أن التعليم واكتساب المهارات الخاصة ، والمثابرة ، والمشاركة .. تستطيع كلها أن تساعد على تحسين الموقف الاقتصادى .. ويستطيعون عندما يتحدثون مع الأطفال أن يدخلوا عليهم الإحساس بالأمان ، بإقناعهم أن كل جهد له عائده بصرف النظر عن المجال الذى يبذل فيه ، ويستطيعون أن يساعدوا الأطفال على أن يدركوا أن العالم يحتاج إلينا، وأنه يستفيد منا كلنا .

ما لا يجب أن يفعله المربون لحماية الأمان الاقتصادى للطفل :

هناك طرق كثيرة يمكن بها تهديد الإحساس بالأمان الاقتصادى ، فقد يحدث أن يتعطل الوالدان عن العمل لبعض الوقت بسبب المرض أو أى سبب آخر ، أو ينخفض مرتبهما أو أجرهما ، أو تزداد المصروفات بدرجة كبيرة لأزمة ما حلت بالأسرة أو .... إلخ .. كل ذلك يجعل الأطفال يحسون بهذه الأخطار المجتمعية .. وإذا أحسوا بعدم الأمان على الجبهة الاقتصادية .. فإن أمانهم الداخلى يصبح مهدداً .. ولذلك يجب على المربين حماية الأمان الاقتصادى لأطفالهم .. ويتم ذلك بعدة طرق، منها:

– على الآباء والمربين ألا يخلقوا أعباء مالية إضافية غير ضرورية على جميع الأطفال فيما يختص بالاحتياجات العامة ، وألا يظهروا امتداحاً لأولئك الأطفال الذين يتأنقون فى ملابسهم أو يتفاخرون بممتلكاتهم .

– يجب أن يتحاشى المعلمون بالمدرسة تدوين أسماء الأطفال، الذين تبرعوا لمشروع ما أو الذين لم يتبرعوا ، ويجب أن يتحاشوا أى إشارة إلى واقع أن «الجميع اشتركوا فيما عدا ثلاثة من الفصل» ؛ لأن ذلك فيه إشعاراً للطفل بتهديد الأمان الداخلى لديه، بخطورة الموقف الاقتصادى الذى يشعره بالنقص .

– وإذا أتيحت خدمات أو تبرعات من قبل المدرسة من النوع الذى ذكرناه ، فعلى المربين ألا يحرجوا الأطفال بأى شكل كان أو تلميح من قريب أو بعيد حتى ولو كان فى صورة مدح .. كأن يقول المدرس «على الرغم من ظروف عمرو الاقتصادية الرقيقة لكنه أشطر طفل فى الفصل ..» .. إلخ ؛ بل يجب أن يراعى بكل حرص إزالة الحرج .

– يجب أن يتحاشى المربون التعميم فيما يختص بمستقبل غير مضمون، وأن يتجنبوا عند الحديث مع الأطفال القول بأن «الأوضاع تبدو سوداء» أو «لا يمكن أبداً أن نتنبأ بما يخبئه المستقبل .. فقد نفقد كلنا وظائفنا بعد قليل» أو «قامت حرب .. إلخ» . وأن يتحاشوا زيادة مخاوف موجودة فعلا، وإضافة مخاوف جديدة تتعلق بالموقف الاقتصادى .

– يستطيع الآباء والمربون أن يتحاشوا إعطاء الأطفال فكرة أن : «الفقراء سيكونون دائماً كذلك» وأن الموقف الحالى سوف يستمر إلى ما لا نهاية ، وأنه لا أمل فى التغيير ، بل يجب أن تبقى وتظل لدى الطفل فكرة أنه من خلال الجهود الفردية والجماعية، يمكن علاج الأوضاع الاقتصادية مهما كانت .

– وعلى الآباء والمربين ألا يقعوا فى الخطأ الشائع بأن يحكموا على الناس من واقع ثروتهم أو ملابسهم ، أو ممتلكاتهم ، وعليهم أن يتحاشوا زلة لسان ، أو إجراء غير واعٍ قد يوحى للأطفال بأن أفضل الناس هم دائماً أكثر مالاً .

ويجب ألا يوحوا للأطفال بفكرة أن بعض الطبقات الاجتماعية هى الأفضل وأنها قد تظل كذلك ، ويجب أن يتجنبوا الإيحاء بأن الفروق تعنى أن هناك أطفالاً دائماً أفضل من زملائهم الآخرين .

– يجب على المربين فى محاولة العمل على زيادة دخل بعض الأسر أو بعض الأطفال، أن يتجنبوا ما يصاحبها من إعلان أو الحديث عنها مع الأفراد المختصين ..

– يجب عندما يفكر المربون فى نشاط جديد على المنهج الدراسى، أن يكون هذا النشاط بعيداً عن المصروفات ، بحيث لا يضيف نشاطاً بعد الآخر أعباءً جديدة على ميزانية الأسر .

– أن يتم الاستقصاء عن حياة الأسرة بطريقة لا تشعر الطفل بالحرج ، وألا يصر المربون على جمع بيانات لا يستخدموها، أو لا تفيد فى تقدير الوضع الاقتصادى للطفل، وأن يتحاشوا كل مناسبة تؤدى إلى تكثيف عدم الأمان الاقتصادى.

– يجب على المربين أن يتجنبوا الحديث عن بعض المهن، وكأنها أقل قيمة من غيرها ، وأن يتجنبوا الإشارة إلى أن بعض المهن حقيرة ، وأن يكونوا حذرين فى الإشارة لكل المهن لأنهم؛ بذلك قد يحبطون الشعور بالأمان الاقتصادى لدى بعض الأطفال الذين يعمل أحد أبويهم فى هذه المهنة ، وأن يتجنبوا إبداء أى ملاحظات مسفهة عن الأفراد الذين يعتمدون على معاشات الضمان الاجتماعى ، أو الذين

يحصلون على مساعدات من المؤسسات الاجتماعية ، ويستطيعون أن يتجنبوا الإيحاء بأن الخدمات الاجتماعية لا تقبلها سوى الأسر التى تفتقر إلى احترام الذات .. وأن يساعدوا الأطفال على إدراك أن أسراً تحترم نفسها تطلب هذه المساعدات، عندما تحتاج إليها فعلاً ، وأن ذلك لا يستتبع أى فقدان لاحترام الذات .

– يجب على المربين والآباء أن يبثوا فى الطفل روح المنافسة الشريفة، ولايقولوا للطفل بأن «كل واحد يكفى نفسه» . ويجب أن يتجنبوا استخدام هذه العبارات فى مواقف لا تنطبق عليها ؛ حيث يمكن أن يكون لها تأثيرات ضارة بمشاعر الأطفال بالكفاية الاقتصادية .

كيفية إشباع حاجة الطفل للأمان الاقتصادى من خلال برامج التليفزيون:

تستطيع قصص الأطفال والأفلام والمسلسلات التليفزيونية وبرامج الأطفال الخاصة أن تشبع جوانب عدة للحاجة إلى الأمان الاقتصادى :

– فمثلا الحاجة إلى الأمن المادى تستطيع أن تشبعها بعض القصص التى تصور كفاح من عانوا من الفقر ، ولكن بإصرارهم وجدهم وعملهم تخطوا عقبات الفقر والحرمان ، واستطاعوا أن ينموا حياة جديدة فيها استقرار وأمن مادى ، فقد تبعث مثل هذه القصص فى نفوس الفقراء من الأطفال طاقة على مواجهة ظروفهم مثل أبطال هذه القصص، حينما يتخذونهم مثلاً وقدوة لهم مثل قصة طه حسين، وكيف واجه الفقر والعمى ووصل إلى أعلى المستويات .

– والبرامج الدينية لها دور كبير فى إشباع حاجة الطفل للأمن الاقتصادى، حين يعرض على الطفل صور التكافل الاجتماعى للمسلمين الأوائل ؛ خاصة عندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، وكيف آخى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين المهاجرين والأنصار ، وكذلك التكافل الاجتماعى فى الإسلام المتمثل فى الزكاة سواء كانت زكاة الفطر أو زكاة المال ، حيث يعطى الغنى الفقير مما أعطاه الله .. وبذلك لا يشعر الفقير بأن الغنى يملك كل شىء ولا يعطى أى شىء .

– كذلك.. فإن صور الجهاد المختلفة التى مر بها أصحاب العقائد قد تستحث الطفل على أن يتشبه بهم، ويبذل مثلما بذلوا من جهد وذلك لتأكيد قيمة ، أو الدفاع عن عقيدة وقدرته غير المحدودة ... إلخ .

الحاجة إلى الفهم : The need for understanding

إن لعب الطفل المبكر وتناوله لكل ما حوله ، وما يقع تحت بصره ويده وبحثه هنا وهناك ، وتنقيبه فيما تحت يديه أو حوله ... إلخ ، ليس إلا إشباعاً لحاجته إلى المعرفة والفهم ، وليس إلا رغبة فى وجود معنى لما حوله واكتساب المعارف والمهارات الأساسية لحياته .. ويرى «مكدوجل» أن الذى يجعل الطفل يعبث فيما حوله من أشياء، هو حب الاستطلاع والرغبة فى فهم العالم ..

كما أن الطفل يكتسب معلوماته وتنمو معارفه عن طريق خبراته، التى يمارسها بنفسه نتيجة استعماله لعضلاته أو عن طريق حواسه المختلفة التى تعتبر أبواب المعرفة، وعن طريق التساؤل والاستفسار عما لا يعرفه ، واستخدام مهاراته المختلفة فى سبيل المعرفة ، مستخدماً فى ذلك كل ما يتاح حوله من كتب أو دوائر معارف ، أو برامج تليفزيونية .. إلخ ، يقرأ ، ويسمع ، ويعمل ، ويمارس ، ويعبث ، ويتأمل ، وصولاً إلى المعرفة (١٦) .

كيفية اكتشاف نقص الحاجة إلى الفهم :

إن بعض الأطفال يحيرهم هذا العالم ، إنهم لا يستطيعون تفسير ما فيه تفسيراً معقولاً ، ونحن عندما نشعر بالحيرة ، وعندما لا نستطيع فهم ما يحدث حولنا .. فإن الأرض من حولنا تبدأ فى الاهتزاز .. إننا نعتقد أن الآخرين الكبار والأطفال فى حالة طيبة ، ولكننا نحن لسنا كذلك .. إننا نعتقد أن ثمة أشياء يجب علينا أن نعرفها ؛ لأن معرفتنا بها تعطينا ثقة فى أنفسنا ولكننا لا نعلمها ، وبالتالى يضعف إيماننا بأنفسنا .

إن هناك أطفالاً بهذه الحالة .. لا يعرفون الأسئلة التى يجب أن يسألوها وأحياناً أخرى يسألون ويسألون، ولكنهم لا يحصلون على إجابات تشبع حاجتهم لمعرفة ما .. إن أسئلتهم فى بعض الأحيان تكون مباشرة بشكل مزعج ، وتختص بمسائل شديدة التعارض فى الطبيعة ، فإذا أهملت هذه الأسئلة فى المدرسة ، وإذا كانت الإجابات المقدمة تؤدى إلى مزيد من الارتباك ، وإذا ظن الطفل أنه لا يفهم ما يجرى حوله.. فإنه قد يصاب باضطراب عاطفى ، ولننظر الآن إلى بعض الأعراض التى قد تظهر على هذا النوع من الأطفال :

– إنه يدأب على إلقاء أسئلة حول موضوعات منوعة ، مطالباً بإجابة فورية عنها ، ويدأب على التحرى لاستكشاف تفاصيل الأشياء والمواقف ، وعندما يحصل على إجابات من والديه ومدرسيه .. فإنه قد يشك فى صحتها . ومن بين الأسئلة العديدة التى يطرحها : قد يقول «إنه يود لو يعلم لماذا تنشب الحروب بهذه الكثرة فى

الوقت الذى يقول فيه الجميع إنهم يريدون السلام» .

«إنه يريد أن يعرف لماذا يقول الناس إن الجميع متساوون فى حين يمتلك البعض أموالاً طائلة وغيرهم لا يمتلكون إلا القليل» ، «إنه يود لو أن أحداً ساعده على معرفة الفرق بين الصواب والخطأ» ، «إنه يود أن يعرف شكل الله سبحانه وتعالى وهل هو رجل أم امرأة» ، «إنه يود أن يعرف كيف جاء أخوه الصغير إلى الدنيا» .. إلخ.

– وكثيراً ما يكشف مثل هذا الطفل عن عدم رضائه وفهمه للأشياء والمواقف كما يفسرها له الكبار ، وقد يقول «إنهم يحاولون إخفاء شىء عنى» أو قد يسأل «لماذا يطلب منى الناس السكوت كلما سألت عن الفرق بين الولد والبنت، أو عن الجنس» .. وربما يقول هذا الطفل «إنه يود لو يعلم كيف يبحث بنفسه ، وفى الوقت نفسه» وكثيراً ما نسمعه يقول «إنه يود لو أن أحداً ساعده على أن يبت فى الأمر عندما لا يكون واثقاً» ، «أو أنه يود لو يكف الكثيرون عن إثارة الارتباك فى نفسه حول ما يعتقده» وكثيراً ما يعبر هؤلاء الأطفال عن رغبتهم فى مزيد من المعلومات ، وقد نسمع الطفل يقول : «إنه يود لو عرف كيف يحب وطنه حباً شديداً ، وفى الوقت نفسه يحب الناس فى البلاد الأخرى أيضاً» ، «أو أنه يرغب لو أن أحداً ساعده على إدراك حقيقة أهدافه» ، «أو إنه يود لو أن والديه ساعداه أكثر على فهم نفسه» ، «أو إنه يود لو استطاع الحصول على مساعدة لمعرفة ما يجب أن يعتقده» ، وأحياناً قد يقول لنا هؤلاء الأطفال إنهم يودون لو فهموا تلك الكلمات الطويلة التى يقرأونها .

– وكثيراً ما يتخذ الطفل المحتاج للفهم عبء مسئولية الحصول على معلومات على عاتقه وحده .. إنه يغفل آراء الآخرين دون سؤال ، وقد يقرأ باستمرار ، وقد يكون «حجة» فى الطيور أو الأسماك أو الصقور أو النباتات أو طوابع البريد أو العملات أو الطائرات أو البنادق .. أو غير ذلك» وكثيراً ما يصبح مثل هذا الطفل عدوانياً فى بحثه عن المعلومات .. إنه قد يسأل مراراً وتكراراً : «لماذا ؟ ..» ، وقد يتشكك دائماً فى السلطة ، وقد يكون غير متسامح ومتحامل – ومثل هذا الطفل قد يدأب على فك الأشياء الآلية إلى أجزائها ، وكثيراً ما ترى مثل هؤلاء الأطفال يتخذون عادات عمل ناضجة وقد يكونون قادرين على التمييز ، يقرأون كتباً أعلى من مستوى سنهم فى مختلف الموضوعات ، وقد يكثرون من استخدام المكتبة .

– وعادة يوحى الوالدان لهؤلاء الأطفال بأنهم سيفهمون فيما بعد ، وأن الراشدين والمدرسين سوف يفسرون لهم الأشياء التى تثير حيرتهم» ولكن هذه

التفسيرات عادة لا تأتى ، ويستمر المنهج على رتابته ، وغالباً ما نجد بعض الراشدين يقولون لمثل هذا الطفل : «سوف تعرف الإجابة عن ذلك عندما تكبر» أو «لقد شرحتها لك ثلاث مرات قبل ذلك» أو «بلاش كفر فيه حد يسأل عن الخالق جل شأنه هذه الأسئلة.. ؟ » أو «إيه قلة الأدب ده .. لما أنت لسّه صغير وبتسأل الأسئلة دى أمال لما تكبر حتعمل إيه .... ؟ » .. إلخ ، وعندما يواجه الطفل التأنيب باستمرار بتعليقات مثل «عمرو .. إنك تكثر من الأسئلة ، لماذا لا تهدأ ؟ » .. فكيف يكون شعوره ؟ إذا لم نجب عن أسئلته لكى يفهم ؟

إن هذا الطفل يشعر بالارتباك والحيرة : إن هناك كثيراً مما يود معرفته ولكن الناس لا يجيبون عن أسئلته إجابة شافية .. إن هؤلاء الراشدين أغبياء ، والمدرسة غبية ، ولا تثير اهتمامنا .. إنه يريد أن يفهم الأشياء التى تحيره ، إنه يشعر بإحباط شديد لأن الناس لا يريدون مساعدته ، ويظن أنهم يتعمدون إرباكه ، وكثيراً ما يشعر بأن الراشدين لا يقولون له الحقيقة ، وكثيراً ما يخشى إلقاء الأسئلة .. إنه يستنكر الراشدين الذين يقولون له إنه ما زال صغيراً على الفهم .. وعادة يشعر باقتناع أن هذا العالم هو عالم الراشدين ، ولكنه لا يفهم السبب فى ذلك .. إنه يشعر بالحيرة للفروق بين ما يقوله الراشدون وما يفعلونه ، بل إن فضوله فى ناحية معينة قد يزداد عندما يجد تهرباً من الإجابة عن أسئلته .. إنه يشعر بارتياح عظيم عندما يحصل على إجابات عن الأسئلة المهمة ..

الوفاء بالحاجة إلى الفهم :

إن الأطفال فى دور النمو يبدو أنهم متشبعون بفكرة أن هناك إجابات مناسبة عن كل أسئلتهم .. إن هؤلاء الأطفال فى سنواتهم الأولى يسألون ويسألون ويعيدون السؤال. إن كل طفل يبدو وكأنه يريد أن يجعل حياته ذات معنى ، وذات غرض يمكن التفاعل معها وفهمها .. إنه يريد أن يضفى على العالم نوعاً من النظام .. إنه يريد أن يرى نفسه فى علاقة هادفة مع العالم الذى يعيش فيه ، وعندما يتقدم به السن يجد نفسه فى مواجهة قطاعات فى العالم تبدو غير ذات صلة بعضها ببعض .. إنه يذهب إلى السينما ويستمع إلى الراديو ، ويقرأ الصحف والمجلات .. ويشاهد التليفزيون ، ويستمع إلى أصدقائه ومعلميه وأفراد أسرته وأقربائه .. إنه يذهب إلى المسجد أو الكنيسة .. إنه يتعلم الأشياء عن المرض والموت والحوادث والحرب والزواج والطلاق والحج والأعياد إلخ .. إنه يلتقط أفكاراً عن العنصرية ، والطبقات الاجتماعية ، والحكومة ، والحرية والجمال ، والحكمة .. وعندما يتقدم به السن يحاول أن يستخلص

معنى لكل ذلك .. إنه يطرح مئات من الأسئلة، ويبحث دائماً عن طريقة ما لاحتوائها كلها .

ومن الغريب أن هذه التساؤلات من جانب الأطفال يبدو أنها تتراجع فى المواقف المدرسية .. وهناك بعض الأدلة على أن معلمى الصف السادس يسألون أسئلة أكثر مما يسألها الأطفال، كما أن هناك دليلاً على أن أطفال الصف الأول يسألون أسئلة أكثر من أطفال الصف السادس .. ومن الواضح أن الطفل يسأل الأسئلة عندما يسمح الموقف بذلك .. إن الطفل يبتدع الفرص عندما يضمن أن له الحرية فى الكلام عن الأغراض .. وعندما يشعر بأنه ضائع فى هذا العالم ، وعندما يشعر أنه لا يفهم مكانه فى هذا العالم ، وعندما تلقى أسئلته جانباً دون اهتمام لها أو بها ، وعندما لايزال يرغب فى أن يعرف فإنه يصبح مضطرباً.. وفوق كل ذلك فإن أسئلته هى الأهم بالنسبة له، ولمساعدته فى أن يصبح شخصاً أكثر تكاملا.. فإنه من الضرورى جداً أن نساعده على فهم بعض مشاكله الخاصة وعلاقته بها .. إن إدراك الذات فى غاية الأهمية .

وبعبارة أخرى.. فإن منهج مدارسنا يجب أن يأخذ فى الاعتبار تلك المسائل ذات الأهمية بالنسبة للطفل ، إن كل طفل يبدو وكأنه يسأل : «ماذا تنوى أن تفعل عندما تكبر ؟» .. إن أسئلة الطفل الفورية تتحول إلى حقائق عندما تطرح عليه أسئلة عن مستقبل بعيد وأقرب إلى الغموض .. إن هذه الاتصالات المختلفة عن الحياة والطرق المتنافرة فيها تركت كثيراً من الأطفال فى حالة إحساس بالارتباك أو التصارع أو عدم اليقين .. إن كل طفل يبحث عن التوجيه لنفسه ، ومهمتنا أن نساعده على الطريق؛ حتى يستطيع تشكيل أغراضه الخاصة تشكيلاً ذكياً، عندما يتمكن من فهم هذا العالم .

ما لا يجب أن يفعله المربون للوفاء بالحاجة إلى الفهم :

هناك بعض الأشياء التى يمكن للآباء والمربين أن يفعلوها للوفاء بحاجة الأطفال إلى الفهم ، منها ما يلى :

– ربما يكون من الأهم أن يهيئ الآباء والمربون للأطفال جواً من التسامح : ونقصد بالتسامح أن يحاول الآباء والمربون خلق موقف يشعر فيه الأطفال بالحرية فى إلقاء الأسئلة وتبادل الأفكار ، ويكون فيه هذا التسامح محكوماً بالأغراض التى يسعى الطفل إلى معرفتها .. وعندما تبرز اهتمامات الأطفال الخاصة وأسئلتهم ، وعندما يعبرون عن جهل بالمؤسسات الاجتماعية والمشاكل الاجتماعية .. فيجب أن يدرك

الآباء والمربون على الفور أن ذلك ما هو إلا علامة على الحاجة إلى الفهم .. وإذا لم يكونوا حذرين ومتسامحين مع أطفالهم .. فإنهم سيكبتون هذه العلامات ، ثم يظنون أن أطفالهم ليست لديهم أية مشاكل وهذه ليست الحقيقة ، حيث إن أطفالهم يحتاجون إلى كثير من الإجابات والاستفسارات التى كبتت، وكبتها بالطبع لا يعنى زوالها .

– فى استطاعة الآباء والمربين أن يبذلوا اهتماماً كبيراً بالغرض الذى يسعى الطفل إلى معرفته بطريقة مستمرة ، وربما يكون هذا التستر هو أكثر الطرق فاعلية ، وعندما يعمل الأطفال فى مشروعات جماعية أو شخصية، يستطيع الآباء والمربون أن يثيروا معهم التساؤل عما يأملون فى تحقيقه وعن السبب فى أهميته . وعندما يتكرر ذلك وتتشكل أغراض الأطفال، وتصبح موضوعاً للفحص والتحليل.. فإن الأطفال يبدأون فى إدراك أن آباءهم ومربيهم يظنون أن أغراضهم مهمة .. وفى بعض الأحيان قد يطرأ سؤال عن موضوع يبدو غير لائق ، وفى مثل هذه الظروف يمكن للمعلمين التوصل إلى وسائل لاستخدام جزء من السبورة لكتابة الأشياء، التى سوف تناقش فيما بعد .. وفى مناسبات أخرى يقول المعلمون أو الآباء للأطفال الذين يعرضون مشاكل كبرى : «هل يمكن لنا ، أنا وأنت أن نتكلم عن ذلك فيما بعد .. ؟» ، وفى بعض الأحيان يقولون بصراحة وصدق إنهم لا يستطيعون المساعدة فى هذا السؤال، ويقترحون أن يكون مشروعاً يطلبوا فيه مشورة خارجية .

يستطيع الآباء والمربون أن يبذلوا مجهوداً لتوفير مصادر أكثر للمعلومات ويطلبوا مزيداً من المجلات تمثل مختلف وجهات النظر لتوزيعها .. ويستطيعوا أن ينتقوا صحفاً ومجلات مختلفة؛ لكى تعطى مجالاً أوسع من الموضوعات .

– بعض الأسئلة التى لدى الأطفال تتصل مباشرة بمشاكل فى غاية الأهمية على الصعيد المحلى والقومى والعالمى .. ومثل هذه الموضوعات تتسم بالتعقيد الشديد، ويشعر كثير من الأطفال بالحيرة إزاءها .. ويجدر بالآباء والمربين أن يعدوا برامج جماعية، يقدم فيها أفراد مختلفون وجهات نظر مختلفة بما يجعل الموضوعات أكثر وضوحاً .. وتتبع هذه البرامج بفترات مناقشة وفترات أسئلة، ثم يعوّد الأطفال بعد ذلك بفترة ليثيروا التساؤلات التى نبعت لديهم فيما بعد . ويمكن أن تصبح هذه الأسئلة موضوعاً لمزيد من الإيضاحات .. وبذلك فإن الأطفال يشعرون بأن الآباء والمربين يحترمون حاجاتهم للفهم وحاجتهم فى تطوير الغرض ، وإذا تم ذلك فى جو مناسب ، يزداد شعور الأطفال بالأمان الداخلى .

– وأحياناً يطرح الأطفال أسئلة بطريقة ساذجة بعيدة عن الخداع ، وما لم يكن

الآباء والمربون شديدى الحرص من أن يعطوا انطباعاً بالدهشة لأن هذه الأسئلة بهذا القدر من السذاجة والبراءة ، وأنها أسئلة سخيفة لا يجب إثارتها ، أو أنها محظورة ، أو أن الطفل لابد وأن يكون شخصاً غير سوى لتقديمه مثل هذا السؤال .. وبذلك يجب أن يوجه الآباء والمربون أنفسهم عدداً لا حصر له من الأسئلة المتباينة ، وأن يخلقوا بيئة تحترم حاجة الأطفال للفهم وغرض الطفل من الأسئلة .

– عندما يختار الآباء أو المربون الأفلام السينمائية أو التسجيلات أو المقروءات أو الخبرات المباشرة .. فإننا نميل أحياناً لقصر اهتمامنا على ما يشتمل على إجابات جاهزة .. ونحن كآباء أو مربين، نحتاج لزيادة معرفتنا بالطرق البارزة وبكيفية خلق مواقف تحث الأطفال على التفكير فى أسئلة أخرى واهتمامات أخرى . وعندما يشترك كل من الآباء والمربين فى هذه المواقف غير المحددة بعضهم مع بعض، ويتحدثون عن خبرات المنهج التى لم تتضمن إجابة صحيحة .. فإنهم يطرحون أسئلة تستحق مزيداً من البحث ، وهم عادة يطرحون أسئلة تختص بغرض وبقضية وبإجراء .. والمواقف التى يضطرون فيها للاختيار بين عديد من الجيد الحسن أو الاختيار بين عديد من المواقف السيئة الرديئة ، أفضل كثيراً لإثارة التفكير والتخطيط من المواقف النمطية؛ حيث يكون الاختيار الوحيد بين شيئين أحدهما جيد جداً والآخر ردئ جداً .. إن الحياة ليست كذلك، فلا يجب أن نعود الطفل وجود جانبين فقط لأى مشكلة أو موقف؛ حيث إن الاستجابات لأى موقف لا يجب أن تحتمل الصواب والخطأ فقط .

– إن الأطفال أنفسهم لا يثيرون بعض الموضوعات الكبرى، وهم يعملون فى حدود اهتماماتهم – فإن المعلم (الأب) الحساس يحب أن يثير معهم بعض هذه الموضوعات ، وقليل منها يعتبر تمثيليًّا ، ولكن هناك كثير جداً غيرها : ما مصادر الحقيقة ؟ .. ما المعانى المختلفة للحرية ؟ .. ما الذى يفسر مختلف المستويات الاقتصادية فى أسراتنا ؟ هل أصبحت الحروب من مميزات العلاقات الإنسانية فى العالم ؟ .. وهل من الضرورى الربط بين الوسيلة والغاية ؟ .. هل من المستحسن إجراء تجارب على كائنات بشرية ؟ هذه موضوعات قليلة من كثير ، ويجب ألا تناقش أبداً بطريقة تجريدية .. فالآباء والمعلمون وذوو الحساسية يجب أن يثيروا تساؤلات كهذه فى مجال حل المشاكل ذات الأهمية بالنسبة للطلبة .. إن طرح مثل هذه التساؤلات تساعد الأطفال على فهم العالم الذى يعيشون فيه ، وتساعدهم على إرساء قاعدة أكثر صلابة لتطوير أغراض خاصة بهم .

– فى المدرسة يستطيع الناظر أن يرتب مع الصحف المحلية ، أو الإذاعة أو التليفزيون تنظيم سلسلة من الندوات، تناقش فيها موضوعات كل أسبوع على مدار

السنة الدراسية .. وبعض هذه الندوات يمكن أن تكون ندوات مع الطلبة ، وبعضها مع الراشدين من المعلمين والآباء، ويمكن أن تضم هذه الندوات بعض الخبراء سواء من المدرسة أو من خارجها ، ويمكن أن تطبع ملخصات لهذه الندوات وتستخدم موضوعات للقراءة ، أو يمكن للأطفال الذين حضروها أن يقدموا ملخصات شفوية ، ويمكن تطبيق ذلك أيضاً على الندوات التى تعقد فى الراديو والتليفزيون ، ويجب أن يتم ذلك فقط فى حالة ما إذا رأى المعلمون أنه بالإمكان تكامل هذا النوع من التفكير مع العمل الجارى فى المدرسة ، والهدف هو تكوين فهم أكثر وتطوير الأغراض .

– وفى الندوات ، والمناظرات ، والمشروعات ، وتقارير اللجان ، والمناقشات التى تتعلق بمشاكل الحياة .. نستطيع أن نساعد الطفل على إدراك أن مجتمعنا قد تأسس على يد أسلافنا ، وأننا الآن جارين فى تكوين مجتمع جديد بما تفعله ، وبإمكاننا أن نحترم الأسئلة التى تدور حول كيفية إنشاء هذا المجتمع كيف نعمل الآن على إقامته ، ونستطيع أن نساعدهم على إدراك أنهم يستطيعون فهمه ، ويستطيعون التأثير فيه ، ونستطيع أن نسألهم كيف يريدون أن يتم تغييره ، ولماذا يريدونه أن يتغير .

ما يجب أن يفعله المربون من أجل الوفاء بالحاجة إلى الفهم :

هناك أيضاً بعض الأشياء التى ينبغى أن يتجنبها الآباء والمربون؛ حتى يتجنبوا إحباط حاجة الطفل للفهم ، ويشبعوا حاجته النفسية .. من ذلك ما يلى :

– عندما يثير الأطفال اهتماماتهم حول العالم ومكانهم فيه ، ويجب على الآباء والمربين ألا يقولوا لهم : «إننا لا نرى ما علاقة ذلك بالحساب أو القراءة أو ما ندرسه بالمدرسة» أو «إن هذا الموضوع سوف تعلمه عندما تكبر» أو «ليس هذا بمهم فى الوقت الحاضر» – وهم فى هذه الظروف إنما يحرمون الطفل من فرصة التعبير عن اهتمامه بأنه لا يفهم العالم من حوله .. إنهم بذلك يكبتون حاجة الطفل ، ولكن إذا كانوا يرغبون فى بناء الطفل من أجل النمو، يجب أن يوفروا له التسامح والحرية بدلا من الكبت ..

– ألا يشعر الآباء أو المربون بأنه ضعف فى معلوماتهم واستعداداتهم إذا لم يستطيعوا الإجابة عن كل الأسئلة التى يطرحها الأطفال .. الواقع أن المعلم أو الأب ربما يكون على استعداد للإجابة عن جزء بسيط منها ، ولكن يجب أن يتجنب إعطاء إجابة يحاول أن تجعل الأطفال يعترفون بالسلطة ، ولكن يجب أن يعقد معهم لقاءات ويشاورهم ، ويسأل الخبراء والمتخصصين حول الموضوع ، وأن يجتنب إحراج الأطفال الذين يطرحون مثل هذه الأسئلة ، ويجب أن يمتدحهم لطرحها ، ويبين لهم أن العمل مع هذه الأسئلة قد يساعد الجميع لفهم العالم فهماً أفضل .

- يجب ألا يتقبل الآباء والمربون الموارد المكتبية المتاحة بالمدرسة كما هى عليه ، أو مصادر القراءة كمراجع ثابتة ، بل يجب من خلال التنظيمات بين الوالدين والمدرس أن يتوصلوا إلى اعتمادات إضافية؛ للحصول على مزيد من الموارد وتنوع أوسع فى وجهات النظر حول تلك المراجع ليتنوعوا من مصادر المعرفة .

- يجب أن يتجنب الآباء والمربون تأكيد «العمل الشاغل» للأطفال فالغرض الحقيقى ليس هو إشغالهم ، ولكن هو القيام بالعمل الذى يسهم فى نموهم .. وجزء من هذا النمو هو ما يتعلق باستيضاح الأغراض وزيادة فهم البيئة ، وعندما يعمل الأطفال معاً .. لا يتجنب المربون إثارة الأسئلة المتعلقة بالغرض والقيمة الذى هم بصدده ، ذلك لأن إحساس الأطفال بالأمان الداخلى يزداد رسوخاً كلما اتضح لهم غرضهم وقيمته.. عندئذ يسعون إلى ما يحاولون عمله ؛ خصوصاً أنه سيزيدهم فهماً لما يستفسرون عنه ويودون معرفته .

- إن كون بعض الأسئلة أو الموضوعات تتسم «بالضخامة» ليس سبباً فى استبعادها من اهتمامات الآباء أو المعلمين ؛ إذ إن معظم المجتمعات تساعد فى توضيح هذه الأمور ، وبذلك يجب ألا يرتكب الآباء أو المربون خطأ التفكير فى إبعاد بعض الموضوعات عن مجالات أسئلة وتفكير الأطفال ، بل يجب أن يهيئوا أطفالهم لمزيد من فهم الغرض لأسئلتهم؛ حتى يتم التخلص من كل الأسئلة التى تراودهم عن تلك الموضوعات، وأن يكلفوا بعض المجموعات من الأطفال بعمل ملخصات كنتيجة ملموسة لأى عمل يقومون به أو بمناقشته ، وأن يتجنبوا إعطاء الانطباع بأن هذه الموضوعات تخرج عن نطاق إدراكهم، وأنها لا ترتبط بتعليمهم الحالى .. وبدلا من ذلك، يجب أن يحاولوا بقدر الإمكان أن يساعدوا أطفالهم فى إدراك العلاقات بين حياتهم الحالية وتلك المشكلات .

- ألا يبدى الآباء أو المربون أى ملاحظات عن الطبيعة السخيفة أو الساذجة لبعض الأسئلة ، ولا يتركوا انطباعاً بأنها غير مهمة أو لا صلة لها بالمنهج .. وأن يخلقوا وسائل لاعتبارها أو لتأجيلها ، أو لإعطاء الطفل انطباع بأن مقابلة شخصية سوف تساعده على تحديد الأشخاص الذين يمكنهم مساعدته .

- ألا يكتف المعلم بمجرد إضافة أنشطة إلى المنهج، حتى ولو بدت «حديثة أو تقدمية» .. إن الغرض هو فهم أفضل وقصدية متطورة، وألا يقتبس أشياءً جديدة أو إضافية، ما لم يستطع إدراك كيفية مساهمتها فى نمو الأطفال .

- ألا يتجنب الآباء أو المربون تلك الموضوعات «الضخمة»، ويحاولوا أن

يتعرفوا آراء المتخصصين عن تلك الموضوعات التى يتساءل حولها الأطفال ، تلك الموضوعات المهمة بالنسبة للعالم ، وأن ينقلوا تلك الموضوعات إلى أطفالهم ولا يخشوا إمكاناتهم الشخصية المحدودة ، ولا يتغاضى الآباء أو المربون عن الموضوعات الحساسة والموضوعات التى تمس الأخلاق والدين والجنس ، ولا يتغاضوا عن الفرص التى تتيح لهم مساعدة الأطفال على فهم العالم الذى يعيشون فيه ..

– ألا يعطى الآباء والمربون أطفالهم فكرة أن مجتمعهم أصبح الآن كامل الصنع، وأنه صنع بنوع من السحر ، وأنه لن يتغير ، ويجب أن ترفض الأفكار التى ترمى إلى التغيير .. بل يجب استطلاعها بحماس ، وأن تفحص التحديات التى يبرزها الأطفال ، ويشترك الراشدون فى رسم الصورة الكاملة أمام الأطفال بقدر الإمكان ..

كيفية إشباع الحاجة إلى الفهم، من خلال تثقيف الطفل عن طريق برامج التليفزيون :

إن المحرك الأساسى وراء تحصيل الطفل هو حبه للمعرفة وحاجته إلى الفهم، وهذه الحاجة يمكن أن يشبعها الطفل – إلى حد ما – من تفاعله مع برامج التليفزيون وما تقدمه من أفكار وأشكال سلوك ومفاهيم واتجاهات وقيم ، وأساليب تفكير .. إلخ – ولا شك أن ذلك يساعد الطفل– ولو إلى حد ما– على أن يتعرف أسرار الكون وغوامض الحياة .. ولهذا تنادى التربية الحديثة بمبدأ تعدد الخبرات (ويا حبذا المباشرة) ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال استثارة تساؤلات الطفل وتوجيهه إلى البحث والاستفسار والمعرفة ؛ لذلك يحسن ألا تعطى هذه البرامج الحلول والمعارف جاهزة للطفل ، بل الأفضل أن توجهه لأن يبحث فى الكتب فينمى عادة القراءة، من خلال بحثه عن إجابات لتساؤلاته ، على أنه فى حلقة أخرى تناقش معهم بعض الإجابات وتشجعهم على الاستمرار فى البحث؛ حيث إن نمو الطفل الإيجابى المتكامل غالباً ما يتم على قدر التشجيع والمؤثرات التى يتعرض لها ويتفاعل معها .

وهنا يبرز بوضوح الدور الذى يمكن أن تلعبه دوائر المعارف للأطفال ، حيث تقدم لهم بشكل مبسط الرد على تساؤلاتهم ، ومعرفة حقائق الكون وأسرار الحياة ، وللأسف لا زالت مكتبة الطفل المصرى تفتقر إلى هذه الدوائر .

ولا شك أن ما يقدم للأطفال فى برامجهم، إذا أراد واضعو هذه البرامج إشباع معظم حاجات الأطفال ، فلابد وأن يتصل بمختلف أنواع الأدب ، وأجناسه ، ليتيح للطفل أن يعيش تجارب الآخرين ، وتتسع خبراته ، وتثرى حياته وينمو فهمه ، وتزداد قدرته على التذوق وإحساسه بالجمال ، واستمتاعه بالحياة ، ويضيف إلى عمره أعمار الآخرين من خلال تفاعله مع تجاربهم .

تعليق

بعض التعليقات الخاصة بالوفاء بالحاجات النفسية

وبعد كل هذا لنا أن نطرح تساؤلاً .. وماذا عن فائدة مفهوم الحاجات بالنسبة للمعلم والمربى ؟ ..

هناك من الدراسين من يقللون من شأن مفهوم الحاجات على أساس أنه غير ضرورى أو لا فائدة منه، أو أنه لا يتسم بالعمق – فبعض المحللين النفسيين وعدد من علماء النفس الإكلينيكيين يقولون إن تناول الحاجات لا يحل مشكلة الطفل العدوانى أو المتباعد أو الخاضع أو المعتل الجسم لأسباب نفسية أو المرتد، وحجة هؤلاء النقاد أن أقصى ما يمكن للحاجات أن تعمله هو مجرد خفض للقلق والتوتر .

والحقيقة : فإن المربين من آباء ومعلمين فى تعاملهم اليومى مع الطفل لايحاولون حل مشاكل نفسية عميقة الجذور ولكن الهدف يكون موجهاً دائماً إلى مساعدة الأطفال على التعلم .. فإذا كان هناك التعلم المدرسى فإن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل بأوسع معانيها هى عملية تعلم .. ولا شك فى أن السلوك العدوانى يعترض طريق التعلم كما تعترضه كل ظواهر الإحباط الأخرى .. وهنا : لا يحاول المربون التوصل إلى أغوار الخلل لدى الطفل البالغ الاضطراب، ولكن هدفهم هو معاملة الطفل المضطرب على أساس بعض عناصر التشخيص التى فصلناها من واقع تشخيص نقص بعض الحاجات العاطفية .. ولقد أثبتت التجارب أن أعراض العدوانية تميل للانحسار حتى فى شدة التعبير عنها ، وأن الطفل يتعلم كيف يسيطر على سلوكه فى تلك المواقف ويزداد تعلمه ويقل تدخله فى تعلم الآخرين ..

وإذا وجد المربون بعض الظواهر الأكثر عمقاً من المشاكل النفسية البسيطة فيجب إحالة الطفل لأخصائى لعلاج أفضل – أما الأطفال الأقل اضطراباً فأعتقد أن الانخفاض فى القلق والتوتر قد يكون هو ما يتطلبه الطفل للتوصل إلى مزيد من السيطرة على سلوكه ..

ولا شك فى أثناء عمل المربين للوفاء بحاجات الأطفال وجدوا أن ذلك لابد أن يكون مفيداً فى خفض التوتر والتقليل من السلوك الناتج عن الإحباط .. وقد يكون

الموقف كذلك بالنسبة لأخصائى نفسى أو لمحلل نفسى – وإذا كان الأخيران لا يميلان لرؤية الطفل كثيراً وإنما على انفراد فى عيادة خاصة، فإن المربى لديه فرص للتفاعل مع الطفل عدة مرات فى اليوم . وإذا كان الأخصائيون فى المشاكل النفسية يحاولون مساعدة طفل ما على حل مشكلة عميقة ذات دلالة فإن المربى يحاول مساعدة الطفل فى خفض التوتر والقلق الذى يثيره إحباط لبعض الحاجات فى أثناء التعامل اليومى .

ولقد ساد فى مجال الطب فى فترة ليست بعيدة اعتقاد بأن كل الأمراض تنتج من جراثيم ، ولكن هذا الاعتقاد قد زال وأصبح هناك اعتراف بوجود مسببات عديدة للأمراض ، وأصبح هناك إدراك مسبق أن المريض يواجه صعوبات عاطفية وشدات انفعالية – ونحن نؤكد بشدة إحباط الحاجات العاطفية ، والنتائج المحتملة لهذا الإحباط، ولكن لا نقصد بذلك أن الحاجات العاطفية المحبطة هى أسباب كل الصعوبات فى نمو الطفل ، وإنا لنعتقد أن الصحة الجسمانية والحاجات العاطفية والتفكير المستقل والقيم والمكانة بين الأقران .. كلها تلعب أدواراً مهمة فى نمو الطفل.. ونعتقد أن كلا منها له ما يسهم به إذا توافر عمق النظر لدى المربين ..

الباب الثالث

نتائج عدم إشباع الحاجات الإحباط

مقدمة :

الفصل الثامن: بعض العوامل المؤدية إلى تعميق الشعور بالإحباط:

(أ) الإحساس بالتهديد فى مواقف التعلم .

(ب) المواجهات بين الأطفال الناتجة عن الفروق الفردية .

(جـ) إثارة الجدل بين الأطفال .

(د) سلوك المربين فى مواقف التعلم .

(هـ) المنافسة .

الفصل التاسع: النتائج السلوكية لعدم إشباع الحاجات (الإحباط):

(أ) السلوك العدوانى .

(ب) الخضوع .

(جـ) الانسحاب .

(د) الارتداد .

(هـ) المرض الجسمى النفسى .

الفصل العاشر: الحيل الدفاعية الناتجة عن عدم إشباع الحاجات:

(أ) حيل خداعية .

(ب) حيل هروبية .

(جـ) حيل استبدالية .

خاتمة : اتجاه السواء .

الأسلوب السوى فى المعاملة الوالدية .

مقدمـــة

قد أوضحنا فى الفصول السابقة النفسية الاجتماعية الأساسية للطفل ، ثم بيّنا كيف يمكن للآباء والمربين الوفاء بهذه الحاجات وإشباعها بالأساليب التى تحقق الصحة النفسية للأطفال .. وفى أثناء حديثنا عن الحاجات الانفعالية الاجتماعية بصفة خاصة ، حاولنا البحث عن السلوك المميز الصادر عن الأطفال الذين يبدو أن لديهم نقصاً فى الوفاء بهذه الحاجات ، أو أنه يوجد إحباط لها .. وفى ضوء ما أوضحناه يبدو أمامنا عدد من التساؤلات، منها :

ما الذى يستطيع أن يفعله الآباء والمربون للمساهمة بقدر ملموس فى تحقيق الأمل فى الإصلاح من أجل حياة أفضل؟ وما الذى يمكن أن يسهم به المربون لتكوين ذلك الشعور الداخلى بالهدوء ، والذى نسميه عادة بالسعادة التى نرغب فى أن تنعكس على سلوك الأطفال ؟ وما الذى نستطيع أن نفعله ليصبح أطفال هذا الجيل أكثر حماساً وسعادة وتعاوناً ، وأكثر اهتماماً بالآخرين واهتماماً لهم ، وأكثر تحمساً للعمل والإنجاز ؟ ما الذى نستطيع أن نفعله الآن من أجل زيادة استخدام هؤلاء الأطفال لطاقاتهم وذكائهم وقيم مجتمعهم من أجل سعادتهم وسعادة البشرية جمعاء وبالتالى التغلب على آفات وآلام الفقر والجهل والمرض ، ولاستخدام ما لديهم من قوة فى التخطيط للاستخدام الفعلى لموارد المجتمع لتكون الحياة ممكنة ومثمرة ؟

إن هذه الأسئلة تتسم بالصعوبة البالغة ، ومع ذلك فلا بد لنا من مواجهتها ، ومهما يكن من أمر ، فإننا الآن نحاول أن نوضح الطريقة التى سيواجه بها أطفالنا مشكلاتهم ..

– إن أول ما يجب أن نبدأ به : هو بذل كل الجهد فى سبيل الصحة البدنية والنفسية لأطفالنا – فالأطفال الأصحاء أكثر استعداداً للتعلم والنمو ، وأكثر استعداداً للرؤية المتعمقة والبحث عن البدائل والاختيار لأنفسهم منها .. وإذا كنّا نمتدح الصحة الجيدة ونقدر أهميتها – لذلك يجب أن تكثف جهودنا لتحسين صحة أبنائنا ، ولمنع الأمراض ، وعلاج العيوب بأسرع ما يمكن .. إن الصحة الجيدة تتوقف على الغذاء الجيد والراحة والترويح ، كما تتوقف على السكن الجيد ، وتوفير الحماية لأطفالنا الذين لم يستكملوا نموهم بعد لكى يتولوا بأنفسهم المحافظة على الحياة وعلى أعضاء الجسم.

إن الصحة الجيدة لها أهمية بالغة لدرجة أننا نقترح أن يكون الفحص الطبى الدقيق هو نقطة البداية فى كل بحث عن أسباب الصعوبات، التى يواجهها الأطفال فى التعلم - فالخطوة الأولى إذاً هى الصحة البدنية لأطفالنا ..

- ونحن جميعاً متفقون على أن النقطة الثانية هى الأمانْ العاطفى الذى يعد جزءاً جوهرياً للإحساس بالسعادة .. وسوف نناقشٍ فيما يلى العلاقة الوثيقة بين أنماط معينة من سلوك الأطفال وبين الحاجات التى لا تشبع أو لا يوفَّى بها .. فقد ثبت أن العدوانية نحو الأشخاص ونحوِ الممتلكات يمكن أن تكون فى الواقع علامة على واحدة أو أكثر من الحاجات التى لم تشبع .. وإذا تعاملنا مع مثل هذا الطفل العدوانى بطريقة يمكن أن نشبع حاجاته العاطفية فيصبح تساؤلنا هنا : هل يؤدى ذلك إلى تغيير سلوكه؟، إن هناك كثيراً من الدلائل التى تؤيد احتمال أنه فعلا سيتغير .. وعلاوة على الأشكال العدوانية الإصرارية والمتطرفة : فإن هناك أنماطاً أخرى من السلوك للطفل تشير إلى أن بعض الحاجات العاطفية لا يوفى بها مثل : عزل الذات أو الشعور بالاغتراب والتباعد ، والهرب من الناس وعدم الميل للتواجد معهم ، والوقوف فى وضع المراقب دائماً وليس المشارك ، القيام بدور الإنسانِ الذِى لا يهتم به أحد - كل هذه دلائل محتملة لواحدة أو أكثر من الحاجات التى لم يوف بها .

كذلك : فإن من مظاهر السلوك الدال على عدم الوفاء بالحاجات العاطفية كالارتدادات (النكوص) إلى مرحلة سابقة من النمو، فكثيراً ما يعود طفل الرابعة أو الخامسة إلى مص إبهامه ، أو يفقد التحكم فى عادات الإخراج ، أو يستخدم أسلوب الأطفالِ الصغار فى الكلام ، أو يعود ثانية إلى مرحلة الطفولة المبكرة .. إن مثل هذا الطفل يعتقد أنه طفل يواجه واحدة أو أكثر من الحاجات العاطفية التى لم يوف بها .

ثم إنٍ ظهور حالة متطرفة من الخضوع يعتبر عادة علامة على وجود حاجات عاطفية لم يوف بها .. إن الطفل يبدو وكأنه لا سند له .. إنه أسير الذين يحيطون به ، إنه يخشى إظهار عدم الموافقة أو التعبير عما يفضله ، وهو عادة يميل للتملق والتزلف .. وكثيراً ما تكون هذه الأعراض مصحوبة بالشكوى والبكاء .. إنه يبدو وكأنه لا وجود للذات القوية .. والافتراض المعقول فى هذه الحالات هو أن هذا الطفل لا يشعر بالأمان العاطفى ..

ونستطيع أن نذكر أعراض المرض الجسمى النفسى .. التى يتعذر على الأبوين والمعلمين أن يقوموا بتشخيصها .. بل يقوم بذلك الطبيب المتخصص ، وفى المدرسة نجد أن الطفل الذى تبدو عليه أعراض المرض الجسمى النفسى يمكن أن يتعرض

لتزايد أعراض الحالة فى أوقات معينة من اليوم - فقد يشعر بصداع شديد يظهر كلما جاءت حصة القراءة أو تسميع الأناشيد أو الحساب أو عندما تحل فترة اللعب .. وتكرار مثل هذه الشكوى الصحية البدنية فى أوقات منتظمة يدل على وجود ارتباط بين الحادثين ، ويثير تساؤلاً حول الأمان الاجتماعي والعاطفى فى هذا الموقف الخاص .. وإذا حدثت أزمات ربو فى أوقات معينة ، أو بدأت المعدة فى الإيلام ، أو ازدادت الحاجة إلى إفراغ المثانة أو الأمعاء فى أوقات معينة .. فإنه من المناسب أن نفترض وجود اضطراب نفسى . وفى هذه الحالة يجب أولاً الرجوع إلى الوالدين ، وقد تكون هناك واحدة أو أكثر من الحاجات العاطفية لم يوف بها .. ويستطيع المعلم الجاد أن يفعل الكثير للتخفيف من هذه الحالة ..

وفى كل هذه الأنماط الخمسة المتطرفة من السلوك التى سوف نفصلها فيما بعد، يستطيع المراقب القريب من الطفل اكتشاف وجود توتر وشدة انفعالية وإجهاد وافتقار لذلك الشعور الداخلى بالسعادة .. علاوة على ذلك : فإن كل هذه الأنواع من السلوك يبدو أنها تؤثر على سلوك الطفل وتصرفاته وعلى أسلوب تعلمه .. إن الطفل يواصل التصرف امتثالاً لدوافعه بلا تعقل يذكر .. إنه يبدو وكأنه لم يتصالح مع نفسه ومع حاجاته الخاصة .. ولا يحتمل أن يكون على القدر الكافى من الاتزان للنظر إلى البدائل والاختيار من بينها .. إن هناك مظهراً سلوكياً يبدو غير ناضج .

ولنفترض أننا أسمينا هذه الصور السلوكية الخمس بالسلوك المتطرف، فقد لاحظنا أيضاً أنه نتيجة للإحباط تظهر صور سلوكية أخرى غير سوية قد أطلقنا عليها أعراض الحيل الدفاعية التى يلجأ إليها الفرد بطريقة لا شعورية للتغلب على الحاجات المحبطة، مثل: الكبت ، والتبرير للأفعال ، وإسقاط المشاعر ، والإسراف فى أحلام اليقظة ، والتعويض عن العقد والنقائص ، والتقمص ... إلخ . وهذه السلوكيات كثيراً ما يواجهها الآباء والمربون .. وغالباً ما تدل هذه الأنماط السلوكية على واحدة أو أكثر من الحاجات التى لم يوف بها ..

والواقع أن المعلمين وهم يعملون فى الفصل مع أطفالهم فى الوفاء بالحاجات التى عرضناها ، لا يتحملون مسئولية أكبر من المربين العاملين فى المؤسسات الاجتماعية الأخرى أو أقل من مسئولية الآباء ؛ فمهمتهم الأساسية هى تنمية التعلم . فإذا ما اعترض التعلم أى شيء بما فى ذلك كيفية مسايرة الآخرين ، فعلى المعلم اتخاذ إجراء ما نحو ذلك ؛ أى إنه إذا كان هناك إحباط فى الاحتياجات يبدو وكأنه يعوق عملية التعلم فإنه سيحتاج لعمل شيء نحوه ، وليس منتظراً من المعلم أو المربى أن يكون عالماً نفسياً ، أو محللاً كلينيكياً ، فإذا كانت هناك أسباب تدعو للشك فى أن لدى

الطفل مشاكل نفسية عميقة .. فعلى المربى أو المعلم مسئولية عرض الأمر على الأخصائيين ..

وإذا كان للآباء والمربين أن يحاولوا الوفاء باحتياجات أطفالهم بأن يحاولوا عدم إحباط هذه الحاجات .. فهناك بعض الاقتراحات التى يجب أن تراعى فى العمل مع الأطفال ، منها :

– الاقتناع بأن المهمة ليست هى إخفاء الأعراض أو تجاهل السلوكيات ، ولكن هى التوصل إلى الأسباب المؤدية إلى السلوك غير الاجتماعى .. وبذلك فمن المحتمل إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن أغراضه ، وبالتالى إعطاء فرصة لفهم سلوك الطفل .

– أن يلم المعلم أو المربى من وقت لآخر بأن أهم شىء فى حياة أى طفل هو فكرته الخاصة عن نفسه وعن نموه ، وأن يكون سعيداً ، وأنه يريد أن يكون خلاقاً ومستقلا ، ولكن الحاجات غير الموفى بها تقف فى طريقه .

– يشعر الآباء والمعلمون أحياناً فى داخلهم ... بالميل للتحيز إلى حد ما نحو طفل أو طفلين من بين أطفالهم .. فإذا وجد هذا التحيز يجب على الأب أو المربى أن يجعله يطفو إلى حيز الوعى ويعترف به لنفسه ، وبذلك تتاح لهذا الطفل المهضوم حقه فرصة أفضل للتحسن .

– إن سوء معاملة الطفل تستغرق من الوقت بقدر ما يستغرقه التلطف معه .. ويجب أن يتأكد الآباء والمربون من عدم ضياع وقت ثمين إذا أرادوا للأطفال أن يشعرو بمزيد من الأمان ..

وسوف نتحدث فى نهاية هذا الباب بشىء من التفصيل عما يجب على الآباء والمربون أن يتبعوه من الأساليب السوية فى تنشئة الطفل ؛ تجنباً لإحباط حاجاته وظهور الأعراض السلوكية المتطرفة لديه .

وسوف نتناول فى هذا الباب ما يلى :

الفصل الثامن : بعض العوامل المؤدية إلى تعميق الشعور بإحباط الحاجات .

الفصل التاسع : النتائج السلوكية لإحباط الحاجات .

الفصل العاشر : الحيل الدفاعية الناتجة عن إحباط الحاجات .

محاولين ما أمكن أن نعرض لكيفية التصدى لأنماط السلوك الناتجة عن الإحباط بإشباع حاجات الطفل المحيطة ...

الفصل الثامن

بعض العوامل المؤدية

إلــى تعميـق الشعـور بالإحبــاط

- مقدمة
- العوامل المؤدية إلى تعميق الشعور بالإحباط:

(أ) الإحساس بالتهديد فى مواقف التعلم .

(ب) المواجهات بين الأطفال الناتجة عن الفروق الفردية .

(جـ) إثارة الجدل بين الأطفال .

(د) سلوك المربين فى مواقف التعلم .

(هـ) المنافسة الحادة .

مقدمة :

الشخصية السوية هى الشخصية التى تتوافق مع نفسها ومع أفراد المجتمع الذى تنتمى إليه ، وهذا على خلاف الشخصية غير السوية التى تعانى إحباطاً لحاجاتها أو صراعاً بين هذه الحاجات ، وعدم توافق مع الذات أو مع الآخرين الذين يعيشون فى المجتمع المحيط بهم . ومما لا شك فيه أن هناك كثيراً من العوامل، التى يمكن أن تكون سبباً فى إحداث عدم السواء فى الشخصية .. وإذا كان نقص الحاجات وعدم إشباعها قد يؤدى إلى خلق الشخصية غير السوية .. فإن هناك بعض العوامل التى تؤدى إلى تعميق الشعور بالإحباط وبالتالى تسهم فى خلق الشخصية غير السوية .. وهذه العوامل غالباً ما يواجهها الطفل فى مواقف التعلم والتنشئة الاجتماعية اليومية .. ولذا فإننا سنحاول فى هذا الفصل أن نبين هذه العوامل حتى يستطيع المربون فى أثناء تعاملهم اليومى مع الأطفال ، والمعلمون فى مواقف التعلم المدرسية أن يتجنبوها، وبالتالى يتمكنون من إشباع حاجات الطفل حتى لا يتهدد شعوره فيحرم من الأمان والثقة بالنفس.

من هذه العوامل ما يلى :

(أ) التهديد الذى يواجهه الطفل فى المواقف التعليمية .

(ب) المواجهات بين الأطفال الناتجة عن الفروق الفردية .

(جـ) إثارة الجدل بين الأطفال .

(د) سلوك المربين فى مواقف التعلم .

(هـ) المنافسة الحادة .

وسنوضح فيما يلى هذه العوامل بشىء من التفصيل .

(أ) الإحساس بالتهديد في مواقف التعلم :

– على المربين أن يفكروا فى مدى التهديد الذى يواجهه الطفل من موقف جديد فى حضور مجموعة ، ومهما يكن الشيء الجارى تعلمه فهو فعلا جديد ويشتمل على عنصر المخاطرة من جهة إدراك الأطفال له .. ويتطلب منا كمربين أن نقدم الأفكار الجيدة بالطريقة التى لا تسبب لهم إزعاجاً وربما بعض التهديد لأمانهم النفسي. فكيف نستطيع أن نفعل ذلك بمهارة ؟ وكيف نستطيع فى الوقت نفسه أن نفعل أشياء تبعث الاطمئنان فى قلوب المتعلمين ؟

إننا نعلم أنه فى المدى الطويل وفى معظم الحالات، يحدث التعلم عندما يشعر المتعلم بثقة عميقة وأساسية فى الموقف ، أن الأطفال يحتاجون لهذا الإحساس بالثقة والأمان لدرء تهديد ما هو جديد ..

– وهناك أقلية من المعلمين يبدو أنهم يجدون متعة خاصة فى بث الخوف والقلق والخشية ، بل وشيء من الذعر فى قلوب أطفالهم، ويتبعون الأسلوب نفسه عندما يقدمون لهم وسائل تعليمية جديدة ، أو يطلبون منهم المشاركة فيها ، ويعتقدون أنهم يستطيعون بذلك أن يحدثوا التعلم بطريقة أفضل .

– والواقع أن جزءاً مهماً من التعلم يتكون من محاولات لبث مشاعر الثقة فى كل موقف تعلمي . وقد سبق أن عرضنا عدداً كبيراً منها ، وأننا فى سبيل ذلك نقوم بإظهار الصبر مع الأطفال ونطمئن الأطفال إلى أنهم إذا لم يستوعبوا الدرس سريعاً فسوف نعيد شرحه لهم ثانية وإذا اقتضى الأمر مرة ثالثة ورابعة .. إننا نوضح لهم أننا على استعداد دائماً لمساعدتهم إذا ما صادفتهم متاعب.. إننا نحثهم على ألا يتعجلوا.. إننا لا نحاول أن نخيفهم أو نهددهم بعقوبات ممكنة ، وبطريقتنا الهادئة ننقل إليهم الإحساس بأننا نهتم بهم، وأننا سنساعدهم كلما احتاج الأمر للمساعدة، وأننا نعاونهم فى جهودهم وأننا لن نضيق بهم ، وأننا موجودون لإرشادهم .. أى إننا موجودون لنعلم.

– وإذا كنا نحاول تعليم بعض المهارات، يجب أن ندرك أن الأطفال يختلفون من حيث الوقت اللازم لإتقان المهارة ، أما استعجال الأطفال وحثهم على الإتقان بعد فترة قصيرة – يعنى أننا نخلق عدم الأمان لديهم .. وإذا تركنا تعليم مهارة ما لنعلم مهارة أخرى بينما الأولى لم تتعلم بعد .. فإن ذلك يعد وسيلة لخلق عدم الاستعداد، وأحياناً الخجل والارتباك فضلاً عن عدم الأمان .. لماذا كل هذا الاستعجال ؟ أهو وسيلة لمضايقة الأطفال ؟ إن موقفاً كهذا لا يتطلب من الوقت

لبث الطمأنينة أكثر مما يتطلبه للتشدد فى النقد – فلماذا لا نضفى الأمان على عملية التعلم ؟

– وفى مناسبة مشابهة نسمع أحياناً أحد المربين يقول لطفل فى الصف السادس «كان يجب أن تتعلم ذلك فى الصف الرابع» فإذا كان ذلك مهمّاً لهذه الدرجة – أى لدرجة إحراجه أمام أقرانه– فلماذا لا نبحث عن طريقة لإتاحة الفرصة للطفل ليتعلمه الآن ؟ – وإذا كانت الظروف لم تواتِ الطفل ليتعلم هذه الحقيقة أو المهارة – فعلينا أن نصحح هذا الخطأ فى أسرع وقت ممكن .. علينا أن نعد الترتيبات اللازمة للطفل ليتعلمها الآن ولا نذله .. علينا أن نبث فيه مزيداً من الإحساس بالأمان نحو الموقف التعليمى .

(ب) المواجهات بين الأطفال الناتجة عن الفروق الفردية :

هناك بعض المواجهات التى قد تحدث بين الأطفال أو بين الطفل وأحد المعلمين التى قد تحدث بين الأطفال أو بين المربين وأحد المعلمين أو بين الطفل والوالد ... إلخ . وفى كثير جداً من الأحوال تكون هذه المواجهات مصحوبة ببعض مشاعر الغضب أو العداء أو الخوف .. ومن المحتمل أن تكون هذه المشاعر نتيجة للإحباط – من ذلك :

وجود الاختلافات بين الأطفال والفروق بينهم فى القدرات والمهارات المختلفة .. وهنا نتساءل لمذا تمثل هذه الاختلافات تهديداً للطفل ؟ هل صحيح أن الاختلاف ينظر إليه على أنه عدم مساواة سواء كان جيداً أو رديئاً ؟ هل نخشى الاختلاف ؟ وهل عندما يظهر نشعر بالقلق وربما عدم الأمان ؟ وكيف نستطيع أن تنشئ الافتخار بالتنوع والتفضيل للاختلاف وليس مجرد تسامح إزائه ؟

ربما يكون من الواجب علينا أن نزيد من التأكيد على الطرق التى يختلف فيها الواحد عن الآخر .. إننا نستطيع أن نساعد الأطفال الصغار على إدراك الاختلافات فى الطول وربما الوزن أيضاً ، نستطيع أن نجعلهم يرسمون تخطيطات للأصابع أو اليدين ويقارنون بينها .. ونستطيع أن نعلق صوراً فوتوغرافية على لوحة ونطلب من الأطفال التمييز بينها ونتابع ذلك بأن نسألهم عن مدى تأكدهم من صحة تمييزهم ، ونستطيع أن نستخدم ختامة وورقة، ونشجع الأطفال على مقارنة بصمة أصابعهم ببصمات أصابع أطفال آخرين .

ونستطيع أن نثيرمناقشة عن الإخوة والأخوات، ونسأل ما إذا كانوا يتشابهون فى المظهر – أو الفعل وما أوجه الاختلاف بينهم ، ويمكن أن نرسم لوحة لحيوانات

أليفة ونبين أى الأطفال لديهم حيوانات منها فى بيوتهم وأى نوع من الحيوانات هى ويمكن أن تكون هذه اللوحة قوية التعبير عن أوجه الشبه وأوجه الاختلاف .

ونستطيع أن نساعد الأطفال على أن يتعلموا كيف تختلف فصائل الدم ، ونستطيع أن نتحدث عن المرات العديدة التى غيرنا فيها مسكننا أو المدينة التى نقيم فيها ، ويمكن أن نتحدث عن سفرياتنا بالقطار وبالمشى ، وبحراً وبالسيارة ، وبالجو ... إلخ .

الواقع أن الاختلافات عن الآخرين ترجع جذوره عادة إلى اختلاف الخبرات التى اكتسبها كل فرد فى حياته .. وبذلك نمهد الطريق للوصول إلى فكرة مواجهة الاختلافات .. إن قيمنا واتجاهاتنا وأغراضنا وتطلعاتنا واهتماماتنا ومشاعرنا كلها تنبثق من الحياة التى عشناها والخبرات التى اكتسبناها .. فإذا كانت لدينا مجموعة كبيرة من الاختلافات فى الخبرات، كان علينا أن نتوقع أننا نختلف عن كثيرين فيما نؤمن به أو نظنه ، أو ما نحبه وما لا نحبه – هل نستطيع أن نساعد الأطفال على أن يدركوا ذلك ؟ هل نستطيع أن نساعدهم على إدراك خبراتنا الماضية . وقد تكون مغايرة تماماً للشخص الذى إلى جوارنا وهى التى تجعل منا ما نحن عليه . وإذا اختلفنا فماذا يحدث ؟ وهل يجب علينا أن نتوقع الاختلاف ؟ لقد أدركنا إلى أى حد نحن مختلفون فى كثير من الوجوه .. علينا أن نساعد الأطفال على أن يدركوا بوضوح أين توجد الاختلافات ، ولنساعدهم على أن يتعلموا أن يقولوا : «إننا نختلف فى هذه النقطة» .

(جـ) إثارة الجدل بين الأطفال :

يجب على المربين أن يساعدوا الأطفال على استخدام أفضل لغة عندما يثار جدل ، ومن الأفضل إن نقول «إننى لا أتفق مع هذه الفكرة» بدلاً من أن نقول : «إننى لا أتفق معك» – أن ذلك يميل إلى إبعاد المناقشة عن الشخصية ويساعد الطفلين المتناقشين على الإحساس بمزيد من الأمان وبتهديد أقل .

ونستطيع أن نكون أكثر حساسية نحو الطرق التى يتبعها الأطفال فى ذكر اعتقاداتهم – كأن يقول المربى : «إننى أثق فى شخص ما» يعنى أننا أبعدنا الموضوع عن استمرار الحديث فيه أو عن هذا الطفل المتهم .

وفى مواجهة الجدل، يجب على المربين أن يساعدوا الأطفال على طرح السؤال: «هل يؤثر ذلك تأثيراً سيئاً على حياتى؟» – وإذا لم يكن له أى تأثير سيء أو حسن فلماذا نجادل فيه ؟ .. وأحياناً نستطيع أن نخمد جدلاً متوقعاً بأن نقترح تأجيله

لوقت آخر وعادة يكون معنى ذلك هو نهاية الجدل ، وأحياناً نستطيع أن نقترح أن الاختلاف يجب مناقشته بين الأطفال كلهم – وأنه من المحتمل أن يكون هناك عدد كبير من الأطفال مؤيدين لرأى ، وكثيرون آخرون مؤيدين لرأى آخر ،وهنا لابد أن توضح للطفل ، أنه إذا كانت لدينا خلفيات مختلفة لخبراتنا.. فإنه من الطبيعى أن تصبح لنا اعتقادات أو اتجاهات مختلفة ..

كذلك .. يجب أن يتبين الأطفال أن تغيرات كثيرة حدثت فى المجتمع وبعضها تغيرات مفيدة ، وقد نتمكن من مساعدة الأطفال على أن يتكيفوا مع فكرة التغير ، عندما نقدم لهم الأفكار التى تقبل حقيقة وجود اختلافات كثيرة بين الأفراد وقد يتوصلون لإدراك الأخطار المحتملة من أى جدل عنيف نتيجة الاختلافات كما تعرضه شاشات التليفزيون . إن هذا الجيل الناشئ قد ينحاز لجانب المناقشة الهادئة التى تسمح بالاعتراف، وتقبل كثير من وجهات نظر الآخرين .

(د) سلوك المربين في مواقف التعلم :

لكى يشعر الأطفال بالأمان، يجب أن يتصف سلوك المعلم بصفات معينة، منها:

* أن يكون سلوك المعلم على درجة عالية من التماسك ، وأن يكون باستطاعة تلاميذه التنبؤ به والاعتماد عليه . ويجب أن يكونوا متأكدين منه نسبياً .. فالمعلم لا يجب أن يكون بالغ التسامح فى لحظة ما وشديد التقييد فى اللحظة التالية ، كما لا يجب أن يكون لطيفاً حنوناً ومتقبلا فى لحظة ما وعكس ذلك تماما فى اللحظة التالية.. فإذا كان على درجة عالية من عدم الثبات والتماسك.. فإن تلاميذه لن يستطيعوا أن يعرفوا كيف يمكنهم الارتباط به .. إنهم سيكونون فى حالة عدم أمان ، وبدلا من أن يكونوا فى حالة هدوء فى أثناء دراستهم وعملهم .. فإنهم سيضطرون لتخصيص عين وأذن للرقابة ..

* إن الأطفال فى حاجة لمعرفة حدود السلوك المقبول : وعلى المربى أن يجعلهم يعرفون أن هناك قواعد وأنه سوف يعاملهم طبقاً لهذه القواعد . ومع ذلك فهناك بالطبع استثناءات فى ظروف غير عادية، ولكن هذه الاستثناءات يجب ألا تكون مثلاً على المحاباة لطفل أو لعدد قليل من الأطفال .. ومن المستحسن أن تشترك المجموعة فى وضع هذه القواعد وتضعها فى مكان بارز (وخاصة فى المدرسة) .. وبذلك يشعر الأطفال بمزيد من الأمان، عندما يعرفون عن يقين ما هو مقبول وما هو غير مقبول .. ويشعرون بمزيد من الأمان إذا لم تكن هناك قواعد أكثر مما يجب .

* إن الأطفال فى حاجة للشعور بالأمن والأمان الجسمى : إنهم فى حاجة للشعور بأن المربى هو المدافع عنهم فى كل أوقات الأزمات أو الخطر – فإذا تعرض طفل لحادثة ما فإنه يريد من معلمه أو من أبيه المساعدة والمواساة .. وإذا واجه طفل تهديداً من طفل آخر قد يكون أكبر سناً وأضخم جسما.. فإنه يرغب من المربى أن يتوسط فى الأمر ، وإذا لم يكن يشعر الطفل بأن حالته الصحية على ما يرام، فإنه يود أن يبدى المعلم أو الأب اهتماماً خاصاً به .. وأن يبادر بالدفاع عنه إذا لزم الأمر .. مما يساعد على تحقيق الأمان العاطفى .

* إن كل طفل يشعر بمزيد من الأمان، إذا عرف أن المربى لن يقلل من مكانته أمام أقرانه .. وهذا يعنى أن كل العقوبات سوف توقع عليه على انفراد .. ولذا يجب ألا يلقى الطفل التأنيب والاستهزاء به أو السباب من مرب غاضب أو ثائر فى موقف جماعى .

* إن الأطفال يريدون معلماً يستطيع أن يجنبهم المهانات .. إننا قد تعلمنا كثيراً من خلال الأخطاء التى وقعنا فيها ، غير أنه فى بعض الأحيان يمكن أن تكون الأخطاء التى ترتكب فى حضور أقراننا شديدة الإذلال لنا ، وأحياناً يستطيع المربى أن يبادر إلى التأكيد بأنه هو نفسه مسئول جزئياً عن الموقف ، ويستطيع أن يكرر ما قاله أحد الأطفال بطريقة تجرده من أثره العكسى ، وأحياناً قد يحوله إلى دعابة عن نفسه – ومهما فعل فهو يحاول التخفيف من أثر الخطأ؛ لكى يساعد الطفل على تجاوز موقف صعب .

* إن الأطفال يشعرون بمزيد من الأمان عندما يكون المربى هادئاً ولطيفاً ، إنهم يحبون أن يرحب بهم فى الصباح ، ويحبون أن يكون هناك من يلقى إليهم بتحية المساء ، ونجد بعض المعلمين قد اعتادوا أن يصافحوا كل تلميذ فى فصلهم بعد انتهاء اليوم المدرسى ، والبعض يحرص على أن يتمنى لهم عطلة نهاية أسبوع طيبة ، وكثير من المعلمين والآباء يتميزون بروح مرحة ويشاركون فى نكتة أو قصة فكاهية مع أطفالهم .

* إن الأطفال يشعرون بمزيد من الأمان، عندما يكون شرح المعلم وتوجيهاته وتعليقاته واضحاً وفى الموضوع .. أما إذا تركهم فى حالة ارتباك، فإنهم يشعرون بعدم الأمان .. إن الأطفال يجب أن يشعروا بحرية إلقاء الأسئلة ، وأن يعترفوا بذلك للمدرس عندما لا يفهمون الدرس، ويتوقعون إجابة لطيفة من المعلم لاتشعرهم بالدونية .

* إن الأطفال يشعرون بمزيد من الأمان عندما يكونوا مع معلم يعتقدون أنه عادل – وكلمة «عادل» يستخدمها الأطفال كثيراً عندما يعلقون على معلميهم .. إننا قد نحب أن يعمل كل الأطفال ، ولكنه ليس من العدل فى كثير من المناسبات أن نطالبهم بأداء أعمال متطابقة تماماً .. إن التكليفات والاختبارات والامتحانات يجب أن تكون عادلة ، والعقاب والثواب ، وكذلك يجب أن تكون الدرجات والمكافآت عادلة .. إن المعلم العادل ينمي الأمان العاطفى لدى الأطفال .

* إن الأطفال يشعرون بمزيد من الأمان عندما يعتقدون أن المربى (أب أو معلم) مخلص لهم .. ومعنى ذلك أن يفى بوعوده ، وينظر إلى مثل هذه الوعود نظرة جدية .. إن ذلك يعنى أنه لن يثرثر مع المعلمين الآخرين بشأن أخطائهم ، ولن يخبر أطفالاً آخرين بأى من هذه الأخطاء، ولن يصدق ما يقوله الأطفال عن بعضهم إلى أن يبرز دليل حقيقى بذلك .

* إن الأطفال يشعرون بمزيد من الأمان عندما تصبح المدرسة ، والمنزل مكاناً يستطيعون أن يعيشوا فيه ، وليس مكاناً محكوم عليهم أن يقضوا فيه وقتاً محدداً .. يجب أن يسمح بأنماط عديدة من السلوك طالما لا تتعارض مع الغرض من التعليم والتربية .. إن الأطفال يرغبون من وقت إلى آخر أن يمشوا فى هدوء مع أقرانهم ، وأحياناً لعمل شيء ما لمجرد التحرر من الضغط لبضع دقائق .

(هـ) المنافسة الحادة :

ونعنى بذلك العوامل المتعلقة بالتحكم فى المنافسات بين الأطفال فى العمل المدرسى من أجل الجوائز أو الدرجات أو المكافآت أو المديح .. إلخ، وما عساها أن تؤثر على الشعور بالأمان لدى الطفل .

فعندما يحاول الأفراد التفوق على بعضهم البعض، يميلون للتقليل من قيمة العلاقات الإنسانية ، وعندما تصبح المنافسة أكثرة حدة فإن ذلك يؤدى إلى أن تزداد حدة التناقض بين الوسائل والغايات .. وهناك من يرغبون فى التقليل من التنافس فى أعمال الإنسان باعتبار أن ذلك سيكون مصحوباً بتحسن فى العلاقات الإنسانية والأمان الداخلى فيما بين الأفراد والجماعات، وإن كان المعارضون والمؤيدون للمنافسة يبدو أنهم يعتقدون أن أقوى الشخصيات إنما تبرز من خلال عمليات المنافسة، وأن الأفراد يكونون فى أحسن وضع لاختيار أفكارهم وقدراتهم من خلال الصراع التنافسى من أجل الهدف أو المكافأة الفردية .. ويفترضون أن المنافسة عملية تساعد على التمييز بين السابقين المتفوقين والتابعين .

إن ما يهمنا هو مدى انعكاس هذا التنافس على الشعور بالأمان الداخلى للأطفال فى المواقف التعليمية . ولذا سنبدأ أولا بإثارة عدد من التساؤلات تعتبر بمثابة المعايير التى يجب أن تحكم الجهود التنافسية ؟

المعايير التى تحكم عملية المنافسة :

*** هل يجب أن تكون المنافسة من جانب الذين يتنافسون ؟**

هل هذا الاختيار متاح لكل الأفراد فى مدارسنا فيما يختص بالأنشطة التى يرغبون فى مزاولتها ؟ هل هم أحرار فى اختيار الوقت والمكان والظروف التى يقبلون فيها على المنافسة ؟ – إذا لم يكن الأمر كذلك فإن المدارس إنما تنحرف عن الظروف الصحيحة لإجراء المنافسة .

*** بعد اتخاذ القرار بالتنافس : هل الأطفال أحرار فى تحديد المجالات التى سيستمرون فى المشاركة فيها ؟**

هل نميل فى مدارسنا لخلق مواقف طوال اليوم المدرسى، نتوقع فيها أن يتنافس كل تلميذ من أجل الدرجات والجوائز ؟ أو نهيئ اختيارات للوقت والموضوعات عندما يفضل كل فرد أن يكون منافساً ؟ – فإذا لم نفعل فإننا بذلك ننحرف عن المعيار الحقيقى للتنافس؛ مما يؤدى بنا إلى خلق مشاعرعدم الثقة والأمان .

*** هل الموقف التنافسى له تأثير مدمر على الأشخاص المشتركين فيه ؟**

إذا كانت نتائج الموقف التنافسى ذات تأثير ضار على شخصيات الذين يشتركون فيه، فإن الحذر فى هذه الحالة واجب .. فهل نحن فى مدارسنا نستطيع أن نحمى الأطفال من تحطيم أنفسهم عند الفشل فى موقف التنافس أو فى المجال بأكمله الذى ينافسون فيه ؟ هل نخطط بعناية لتوقع نتائج المنافسة ونعد أنفسنا لتجنب بعضها وتحمل البعض الآخر؟ – ما الموقف داخل المدارس ؟ – هل نقدر مشاعر الثقة والأمان فى أطفالنا ؟

*** هل أهداف المنافسة مرنة وقابلة للتغير ؟**

فى مدارسنا فإن فريق كرة السلة مثلا قد لا يكون هدفه الفوز فى كل مباراة ، وقد تكون هناك بعض الفرق قد أثبتت أفضليتها؛ بحيث يكون من الغباء أن نحاول الفوز عليها – وفى مثل هذه الظروف هل نساعد فريقاً على أن يحدد لنفسه أهدافاً أكثر واقعية ؟ هل نساعدهم على إدراك أن باستطاعتهم فى هذا الموقف التنافسى أن يقللوا من الهزيمة بمقدار من عشر إلى عشرين نقطة مثلاً ، ومن ثم ينافسون على شىء له

معنى واقعى لهم ؟ هل نفعل الشيء نفسه فى فصولنا بطريقة أكاديمية بأن نضع أهدافاً ونهيئ للتغيير عندما يتغير الموقف ؟ أم هل نجعل الأطفال أكثر توتراً ، وأكثر تنافسا وأكثر عدم أمان ؟

*** هل ظروف المنافسة تخضع لسيطرة معقولة ؟**

إن ذلك لذو أهمية بالغة .. ومن ثم يجب عمل الكثير لجعل المنافسة أقل خطراً بالنسبة للكثيرين منا الذين يقفون على الحياد أحيانا .. وإذا كانت المنافسة تؤدى لأعمال تهدد أمان أحد المنافسين أو حياة أو مشاعر الآخرين، فهى منافسة تبتعد عن المبادئ الإنسانية .. وهنا نتساءل : هل كنا فى مدارسنا على قدر من الحساسية للآثار المحتملة على الأطفال من بعض أشكال التنافس فى فصولنا ؟ هل نبذل جهداً كبيراً لكى تكون الظرف التى ينافس فى الأطفال بعضهم بعضاً متماشية مع ما نعرفه عن حياة الأطفال ونموهم ؟ .. وفى مجال التربية البدنية أخذ كثير من هذه الأشياء فى الاعتبار ، ولكن فى تصرفاتنا اليومية الفعلية فى الفصول بالنسبة للدروس هل نفتقر إلى الحساسية نحو الحاجة لمشاعر الثقة والأمان ؟

*** هل هناك أماكن يجب أن تستبعد فيها المنافسة ؟**

هناك عدد من المواقف التى يشعر الكثيرون بأنه لا مجال فيها للمنافسة إطلاقاً.. فالأطفال يجب ألا يتنافسوا من أجل حب الأم، ويستند هذا الشعور إلى افتراض أن هناك من الحب ما يكتنف الأسرة بأكملها، وأن حرمان البعض منه قد تكون له آثار مدمرة .. إن علاقات الغزل قبل الزواج تتسم بعادة بالتنافسية ولكن الزواج مفترض فيه أن يعمل كابحاً للمنافسة المطلقة فى سبيل الحب – فهل لدينا أطفال يتنافسون من أجل حبنا واهتمامنا بهم فى الفصول، أم هل أعطينا فعلاً فكرة أن هناك من الحب والاهتمام ما يمكن أن يشمل الجميع ؟ هل ترى عدداً من المواضع التى لانريد أن تكون المنافسة هى الدافع لها ؟ فإذا لم يكن الأمر كذلك فإننا فى حاجة للسعى نحو علاقات تنمى الثقة والأمان .

*** وماذا بشأن التصرفات غير العادية واللاأخلاقية ؟**

عندما تركز الأهداف فى التغلب على الآخرين ، وعندما تكون المكافآت أو الدرجات متركزة على إرضاء المعلمين والآباء.. فإن الموضوع قد يكتسب من الأهمية ما يجعل المشتركون فيه يغشون أو يسرقون أو يأتون أفعالاً أخرى فى سبيل الحصول على الجائزة المنشودة، وهذا موجود فى أغلب مدراسنا ، فإن الذين يتورطون فى مثل هذه الطرق الحادة الماكرة أو أى طرق أخرى من أجل الفوز.. إنما يقللون من شأن

أنفسهم ومن شأن الآخرين .. إن توقيع العقاب على مثل هذا السلوك لا يفيد كثيراً .. إن مساعدة الأطفال على فهم ما يعملونه ولماذا يعملونه قد تكون أول خطوة تتخذ ، والخطوة الثانية تكون بتوضيح الأغراض الحقيقية للتواجد فى المدرسة ، وكيف يمكن تحقيق هذه الأغراض إلى أحسن قدر ، وما إذا كان التعاون وسيلة أفضل لتحقيق مشاعر الثقة والأمان .

*** وماذا بشأن ضمانات الأمان :**

هل نضمن فى مدارسنا فرص الأمان لأطفالنا ؟ هل نستطيع أن نخفض من الضغوط والوساوس التى ترتبط بالمنافسة من أجل الحصول على الدرجات والجوائز؟ هل نستطيع أن نضفى مزيداً من تأكيد مشاعر الثقة والأمان ؟

*** هل يجب أن نتنافس دائماً على المستوى الأعلى ؟**

فى معظم المناسبات يقال للأطفال إنه يجب عليهم بذل أقصى جهدهم دائماً أو معظم الوقت . ونحن كمربين فى كثير من الأحوال نفعل ما يتطلبه الموقف أو يحتاج إليه، ولسنا متحمسين لعدد كبير من الإضافات التى تجعل مجهوداتنا أحسن ما فى استطاعتنا – وفى هذا الوقت وهذا الموقف نكون واثقين تماماً من أننا قد حققنا المتطلبات تماماً.. ألا يجدر بنا أن نساعد الأطفال على أن يدركوا متى يكون «أقصى جهد» مطلوباً فعلا ، ومتى يمكن لهذا المستوى ؟ ومتى يجب أن يتخفف ؟ ألا يجدر بنا أن نقلل من الضغط والجهد والوسواس الشديد ؟ أليس جزءاً من مهمتنا أن نساعد الأطفال على أن يكونوا أكثر أمانا عند وجود البدائل ؟

*** هل الجدول المدرسى أكثر أهمية من أى شىء آخر ؟**

إذا لم يكن لدى الأطفال سوى اختبارات قليلة جداً لما يفعلونه فى أثناء اليوم.. فإن إحجامهم يكون مناهضاً للنظام .. يجب عليهم أن يتنافسوا فى موقف يتضمن القليل من الاختبارات .. وعندما يكون لديهم شعور بأن الجدول المدرسى محدد فى دائرة محكمة الغلق، وأن كل يوم هو مثل اليوم السابق، وفى كل حصة من اليوم يجب عليهم عمل ما يتطلبه الجدول اليومى.. فإنهم لا يملكون كثيراً من الأمان فى الموقف التنافسى .. إن اليوم بأكمله وكل حصصه تكون تحديدا لحاجاتهم إلى شىء من الحرية للاختبار وشعوره بالتراضى .

بعد أن عرضنا معايير المنافسة.. فإننا نعود ونتساءل هل المنافسة سيئة ؟ إن المنافسة ليست سيئة كلية ، فباستطاعتنا أن نجعلها تقوم على علاقات الصداقة بين

المتنافسين ، ونستطيع أن نساعد الأطفال على توقع إمكانات الخسارة ، ونستطيع أن نتحدث عن الفوز أو الخسارة والظروف التى تجعل المنافسة عادلة بالقدر المعقول – ونستطيع فى أثناء ذلك أن نساعد أطفالنا على إدراك أن العملية تتطلب سيطرة كاملة، على أساس من الثقة والأمان .

الفصل التاسع

النتائج السلوكية للإحباط

١– السلوك العدوانى .

٢ – الخضوع .

٣ – الانسحاب .

٤ – الارتداد .

٥ – المرض الجسمى النفسى .

النتائج السلوكية لإحباط الحاجات

مقدمة :

من المعروف أن كل سلوك له سبب .. وبدراسة سلوك الإنسان نستطيع الاستمرار في اكتشاف كثير عن السبب الذي يجعله يسلك بالطريقة التي يتبعها .. ولقد قدم كثير من الدارسين والباحثين افتراضاً مؤداه أن العدوانية ترجع دائماً إلى الإحباط ، ويقولون : إن السلوك العدواني يفترض الوجود المسبق للإحباط ، وبالعكس فإن وجود الإحباط يؤدي دائماً إلى شكل ما من أشكال العدوانية .

واستناداً إلى الافتراض الذي قدمه دولارد Dollard في كتابه «الإحباط والعدوانية ١٩٣٩» (٣٤) ، وإلى افتراض روثز Louis E. Roths في كتابه «احتياجات الأطفال (٣٩)» الذي مؤداه أن هناك أربع ظواهر سلوكية أخرى تدل على وجود الإحباط : فعندما يكون الأطفال خاضعين عادة وباستمرار.. فإننا يمكن أن نجد أن بعض احتياجاتهم العاطفية لم تشبع .. وبالمثل فعندما يميل الطفل عادة للانسحاب من المجموعة ومن الاحتكاك بالآخرين ، فإن ذلك : يدل على أن بعض الاحتياجات العاطفية لم تشبع .. كذلك : فقد أجري في السنوات الأخيرة عديد من الأبحاث في مجال الطب النفسي، التي قام بها دونبار Dunbar وآخرون ، والتي دلت على أن كثيراً من أعراض المرض الجسماني لها أصول انفعالية عاطفية .. ثم أن الأطفال الذين يرتد سلوكهم إلى مرحلة سابقة من مراحل النمو-كطفل في الصف الأول من المدرسة الابتدائية يتصرف ويتكلم كطفل في الثالثة من عمره .. يدل على نقص في إشباع حاجاته العاطفية أو إحباط لهذه الحاجات ..

وبناء على ما سبق، نستطيع القول بأن الإحباط للحاجات العاطفية يميل للظهور في خمسة أنماط سلوكية عامة، هي : العدوانية ، والخضوع ، والانسحاب ، وأعراض المرض الجسمي النفسي ، والارتداد .. ويلاحظ أننا لم نذكر ، أن كل من يشعر بالإحباط يتصرف بهذه الطرق الخمس ، ولكن نذكر أن كل من يتصرف بهذه الطرق قد يكون في حالة إحباط .. وبعبارة أخرى : إن هذه الأنماط السلوكية الخمسة تدل على أن ثمة حاجات عاطفية يحتمل أنه لم يوف بها أو لم تشبع .

وسنتعرف فيما يلي على هذه الأنماط الخمسة من السلوك ..

أولاً - الإحباط والسلوك العدواني

يجب على الآباء والمربين أن يكونوا شديدى الحساسية لحقيقة أن أياً من أنماط السلوك الآتية لا يدل بذاته على العدوانية أو على وجود حاجة لم يتم إشباعها . إن كل الأطفال يظهرون عدوانية بشكل أو بآخر ، وفى أوقات مختلفة .. ونحن نحاول هنا إظهار سلوك الطفل الذى يبدو عدوانياً بدرجة أو بأخرى .. إننا نبحث عن أطفال يميلون فى مناسبات عديدة وفى مواقف متباينة إلى إظهار سلوكيات من النوع الذى سنصفه فيما يلى .. إننا ندرك بالطبع أن بعض العدوانية يتجه استدلالياً خلال العمل الذى نقوم به .. إن بعض الأطفال لديهم طاقة مكبوتة ينفسون عنها بالألعاب والأنشطة الرياضية المعتادة ، أو فى التنافس الدراسى ، وبذلك يطلقون العنان لهذه العدوانية بطريقة لا تضر بالآخرين أو الممتلكات أو بأنفسهم .

وفى هذا المجال نلفت نظر المربين إلى تركيز الاهتمام على نمط، يكاد يكون ثابتاً من الأنشطة العدوانية التى تتضمن العداء ، وعلى الطفل الذى يميل بدرجة ما من الاستمرارية إلى القيام بالأعمال التى نسميها هنا بالعدوانية بطريقة غير اجتماعية.. ويجب أن تلاحظ أن هذه الأفعال إذا بدا أنها تظهر فى شبه استمرارية وبشدة أكثر من المتوسط .. فعلى المعلم أو الأب أن ينتبه فوراً إلى احتمال وجود بعض الاحتياجات العاطفية لم تشبع ، وسلوك كهذا لا يشير إلى حاجة واحدة محددة ، ولكن لتحذير المعلم أو الأب أو المربى الحساس من أن الأطفال الذين يسلكون بهذا النمط هم أطفال قد يعانون من اضطرابات داخلية ..

مظاهر السلوك العدوانى :

يشير العدوان إلى أنواع السلوك الذى يستهدف إيذاء الآخرين، أو تسبيب القلق عندهم ، وهو عند الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة يتضمن الضرب وتدمير الممتلكات والهجوم اللفظى ومقاومة ما يوجه إليه من طلبات وأوامر ...

وميل الطفل إلى أن يكون عدوانياً صريحاً يتوقف على عدة عوامل، منها :

١ - شدة رغبته فى إيذاء الآخرين وإيلامهم .

٢ - درجة إحباط البيئة وإثارتها للميول العدوانية .

٣ - كمية القلق والشعور بالإثم المرتبط بالعدوان (٥ : ٣٥٧) .

- إن بعض الأطفال يكتشفون عن العدوانية فى لغتهم : كالتلفظ بالسباب أو الشتائم ،

والصراخ ، والكلام المتسم بالسيطرة ، والتحدث بما سوف يفعلونه بأشخاص آخرين، وتعبيرات تدل على الاستياء من سلطة الراشدين أو الآباء أو الأقران أو الأخوة، أو الأقليات .. إن تعبيرات مثل : «أنا لا أحبك» و «أنا أكرهك» هى من التعبيرات التى تدل على رفض الآخرين ..

إننا نسمع الأطفال أحياناً يتحدثون عن الانتقام لضرر ألحقه بهم الآخرون سواء كان حقيقياً أو تصورياً - فيقولون «سوف أربيّه» ، وكثيراً ما نسمع الأطفال يتباهون ويدعون التفوق .. إن الموضوعات التى يتحدث فيها الأطفال كثيراً ما تكون كاشفة: القتل ، الحرب ، التعذيب ، وغير ذلك من مظاهر القسوة .

- وتظهر العدوانية كذلك فى الأفعال العلنية التي يقوم بها الأطفال : إن بعضهم يدفع أو يشد أو يصارع ، أو يضرب ، أو يقرص أو يركل ، وبعضهم يلقى بأشياء على الآخرين ، وأحياناً يحملون أو يلوحون بمسدسات أو مدى أو أسلحة أخرى ..

- كذلك فإن العدوانية كثيراً ماتتجه نحو الممتلكات مثل خدش الأدراج أو الكتابة عليها ، أو تهشيم الكراسي ، أو الكتابة على الجدران .. ويبدو أن الأطفال العدوانيين ينفذون ما يشبه خطة موضوعة لإتلاف ممتلكات المدرسة ، أو ممتلكاتهم الشخصية ، أو ممتلكات الغير . إن ثقب إطارات السيارات وتفريغها من الهواء ضرب آخر من ضروب العدوانية التى تميل لإتلاف ممتلكات الغير .

- إن بعض الأطفال يلطخون ملابسهم أو ملابس الآخرين أو يمزقونها ، وبعض الأطفال يبدو أنهم يعملون على إغاظة والديهم بأن يتكرر فقدانهم لبعض ملابسهم أو أشياء تخصهم مثل اللعب أو الدراجة أو الكتب أو غير ذلك ..

إن حركات بعض الأطفال العدوانيين يمكن أن توصف بأنها سريعة حاسمة مهتزة ، وأحياناً وبغير سبب واضح يعاكسون الأطفال الآخرين أو ينتزعون منهم أشياءهم ويستغلون الآخرين بطريقتهم الخاصة لإلقاء اللوم عليهم .. وأحياناً يظهرون قسوة بالغة بالحيوانات ..

- وفى علاقاتهم مع المعلمين بالمدرسة يظهرون أحياناً بمظهر الوقاحة أو قلة الحياء ، ويظهر بعضهم بمظهر التحدى .. وهؤلاء الأطفال العدوانيون يميلون دائماً إلى المشاحنة والاعتداء لدرجة يصبحون بها المشكلة الرئيسية وسط المجموعة ..

دور المربين إزاء السلوك العدوانى :

وبالنسبة للآباء والمعلمين، فإن السلوك العدوانى من جانب الأطفال يشكل مشكلة كبرى، فهو فى المقام الأول يميل لعرقلة حسن سير العمل بالنسبة لمجموعات الفصل – ولذلك فهو يؤثر على التعليم ويزيده صعوبة .. وثانياً فهو يخلق مشاكل تتعلق بحسن النظام وهذه بدورها لها نتائج شتى معظمها سىء .. وثالثاً : فإن الطفل العدوانى يسلك بطريقة تجعل تعلمه أكثر صعوبة .

ورغم أن مشاكل السلوك التى تتعلق بالعدوانية يبدو أنها أصعب المشاكل التى تواجه الآباء والمعلمين، فإن كتاب Dollard وزملائه يقدم نقطة البداية للعمل مع هؤلاء الأطفال ..

ويبدو فى البداية السؤالين التاليين، اللذين يبرزان دور المربين إزاء السلوك العدوانى .

وهما : إذا كانت العدوانية مسبوقة دائماً بالإحباط ، وإذا كان الإحباط تتبعه دائماً عدوانية – أفلا يمكن معرفة أسباب الإحباط لدى هؤلاء الأطفال العدوانيين ؟ – وهل يمكننا عمل شىء حيال ذلك ؟ وإذا حاولنا أن نفعل شيئاً : هل تقل حدة السلوك العدوانى أو تكرار حدوثه أو الاثنان معاً ؟

ويبدو على المربين إزاء السلوك العدوانى تعرف :

(أ) الحاجات المحبطة للطفل العدوانى :

فى أواخر العشرينيات، بدأ بعض الدارسين فى مجال علم النفس والتربية بحافز من آراء فرويد فى دراسة بعض أو أهم حاجات الأطفال .. وقد رأست Dr. Lire Kaliher, Dr. Caroline Zachry (٣٤) لجاناً كانت تعمل على تأكيد الاحتياجات – هل كان من الممكن أو المحتمل أن بعض احتياجات الأطفال تلقى إحباطاً ، وأن العدوانية كانت نتيجة هذا النوع من الإحباط ؟

لقد بدا هذا السؤال جديراً بأن يكون افتراضاً ، وقد أجريت أعمال اختيارية عديدة للتأكد من هذا ، وكانت النتيجة أن افتراض Dollard وجد تأييداً إلى حد كبير ، وأصبح الآباء والمعلمون يميلون لتقبل الفكرة كنقطة بداية للعمل مع الأطفال العدوانيين.

إن الحاجات إذا واجهت إحباطاً – فما تلك الحاجات ؟ وكيف يمكن اكتشافها ؟

وكان هناك اتفاق كبير على عدد من هذه الاحتياجات ، وأصبح من المسلم به بدرجة كبيرة أن الكائنات البشرية في حاجة إلى الحب ، وأنها فى حاجة إلى الإحساس بالانتماء ، وتعرف الآخرين ، وأنها فى حاجة إلى الإحساس بالإنجاز، وأنها فى حاجة إلى شعور باحترام الذات وبالقوة ، وأنها فى حاجة للتحرر نسبياً من المشاعر العميقة بالخوف والذنب ، ولعل الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى يعيشها العالم أوجدت الحاجة إلى الأمان الاقتصادى ، كما دلت زيادة الاهتمام بالتحليل النفسى وبالعلاج النفسى على الحاجة إلى فهم الذات .

هذا .. ولم يكن هناك اتفاق كبير بين الذين وضعوا قوائم الحاجات، وفى كثير من المناسبات لم تكن هناك نظرية واضحة للعمل بها ، ولكن اتضح وجود علاقة بين العدوانية والحاجات التى لم تشبع .. وبذلت محاولات للحد من العدوانية .. وبالطبع فإن ذلك ضرورى جداً من أجل صحة وأمان الطفل نفسه والأطفال الآخرين ، وبمعنى أكثر شمولا .. فإن ذلك يعنى إلى حد ما أنه مبدأ ثأرى .. وفى ميدان نمو الطفل : نستطيع أن نبدأ فى وضع بعض الفروض المتعلقة بالسلوك لتكون عوناً لنا فى علاج أسباب العدوانية .. إننا لا نعرف بشكل إيجابى وعلمى أن كل حالة سلوك عدوانى مزمن ترجع إلى حاجة عاطفية واجهت إحباطاً .. غير أننا نستطيع أن نبدأ فى بحث سلوك الطفل وكأن بعض حاجاته قد أحبطت ، ونستطيع أن نحاول أن نفعل شيئاً حيالها ، وعندما نجد أن تغيرات فى السلوك قد حدثت يمكننا أن نستريح للتحقق من فرضنا ، علاوة على ذلك فإنه من المحتمل أن نجمع عدداً من الحالات، يكون الدليل فيها على إحباط الحاجات مرتبطاً بدلائل على السلوك العدوانى .

إن استخدام لفظ الإحباط يعنى أننا نريد شيئاً أو نريد أن نفعل شيئاً، ولكننا نجد أنفسنا عاجزين عن تحقيق ذلك ، فنحاول ونكرر المحاولة المرة بعد الأخرى لتحقيق ما نرغب فيه ولكنه يصعب علينا .. ومع ذلك فما زلنا نرغب فيه ، وستستمر هذه الرغبة معنا .. إن رغبتنا الشديدة فى هذا الشيء والحيلولة دون تحقيقه والاستمرار فى الرغبة فيه يجعلنا ننفس عن مشاعرنا على الناس من حولنا أو على الممتلكات ، فإذا كان الوالدان هما العامل الحائل أو المحبّط ، فقد نفقد أو نتلف أو ندمر ملابسنا أو ممتلكاتنا الخاصة ، بما فى ذلك اللعب والكتب وكثير من الأشياء الأخرى التى يكون الوالدان قد أنفقا فيها مالاً كثيراً واعتزازاً أكبر ، وليس بإمكاننا أن نضرب والدينا ، بل وقد لانستطيع تحديهما دون أن ننال جزاءنا ، ومن هنا – وربما دون وعى – تمتد أيدينا وتحطم شيئاً يقدرانه كثيراً ويمتلكانه ويعتزان بامتلاكه .

ولنفرض مؤقتاً أن طفلاً معيناً قام بهذه الأفعال ، ولنفترض أيضاً أنه يشعر بأنه مهمل ، غير محبوب ، بل وربما غير مرغوب فيه من والديه .. إن احتياجاته للحب والأمان والدفء ، والإحساس بالثقة بهما ، ورغبته فى أن يكون لهما مثل هذا الإحساس بالثقة به .. (ثم إذا به أتلف أو فقد شيئاً قيماً يملكه ، فى هذه الحالة ، ومع أن ما نحتاج إليه أكثر من أى شىء آخر هو الحب والحنان) .. فإنه من غير المحتمل أن يحصل عليهما . إن أشكال العدوانية ، وغالباً كلها تتميز لسوء الحظ بأنها تجذب الاستجابات التى بدورها تزيد من الإحباط ، وبالتالى تولد مزيداً من مظاهر العدوانية، وهكذا تدور الدائرة ولا تتوقف .

إذا أعتقدنا بأن السلوك مسبّب ، وإذا تقبلنا افتراض الإحباط / العدوانية ، وإذا شعرنا أن طفلاً معيناً كان الإحباط لحاجته الشديدة إلى الحب هو السبب فى عدوانيته ، فماذا نحاول أن نفعل ؟ .. أعتقد أنه يجب علينا أن نضفى على هذا الطفل حبّاً وحناناً، وكيف نعرف أن سلوكه العدوانى يشير إلى حاجته إلى الحب ؟ وقد افترضنا أن الحاجات المحبطة يمكن تشخيصها من سلوك الطفل نفسه» . وقد وصفنا سلوك الطفل فى ظروف نقص حاجات ثمان هى :

الحاجة للحب والحنان ، والحاجة إلى الإنجاز ، والحاجة إلى الانتماء ، والحاجة إلى احترام الذات ، والحاجة إلى الفهم ، والحاجة إلى الأمان الاقتصادى ، والحاجة إلى التحرر من الشعور بالذنب .. والحاجة إلى التحرر من الشعور بالذنب، ولاختبار أى من أو كل الافتراضات ، فمن الضرورى بادئ ذى بدء تعرف الطفل العدوانى ، ثم يجب علينا أن نلاحظ سلوكه عن كثب فى محاولة لمعرفة أى الاحتياجات هى التى لم يوف بها تماماً ... ، ومن ثم فمن الضرورى أن نحاول الوفاء بهذه الاحتياجات ، كما أنه : من الضرورى إعادة تقييم سلوك الطفل لإصدار حكم على فاعلية هذه المعالجة .

وبذلك .. يمكن أولا تعرف الأطفال الذين يقع سلوكهم بين السلوك الخاص بالأطفال الذين يوجد لديهم إحباط فى حاجاتهم ، فتجرى محاولة تحليل احتياجاتهم العاطفية ، ويعتبر السلوك الذى يبدو وثيق الصلة بنقص الاحتياجات .. وكيف يمكن إصدار قرار بأن الطفل ذو طابع عدوانى مميز .. أما وصف العمليات التى يتطلبها ذلك ليس سهلاً ، وقد ذكرنا عدداً من أنماط السلوك يقترن عادة بعدوانية «سيئة» .. فإن المربين ذوو الخبرة يكونون حساسين لحقيقة أن أى سلوك واحد ليس فى حد ذاته دليلاً على العدوانية أو على حاجة لم يوف بها .. إن المربى يبحث عن الطفل الذى يميل فى كثير من المناسبات وفى مواقف مختلفة لإظهار تلك الأنماط السلوكية التى

ربطنا بينهـا وبين العـدوانيـة أنه يبـحث عن نمط ثابت ومـتـواصل من هـذه الأنماط السلوكـيـة .. إنه يبحث عن طفل اعتاد أن يميل إلى حد ما ، إلى إظهـار حـالات من السلوك العدوانى ، وعندما يجد المربى أن هذه الحـالات تظهر بكثرة وبحدة أكثر من المتوسط .

- عندئذ نقدم على الخطوة الثانية وهى إعادة الفحص .. إن أنماط السلوك العدوانية لايبدو أنها تشير إلى احتياجات معينة، غير أنها تنبه المربى إلى أن الأطفال الذين يسلكون بهذه الطريقة يمكن فعلاً أن يكون لديهم اضطراب داخلى .. وهنا يجب أن يصبح المربى على علم بكل تحاليل الاحتياجات العاطفية الثمانية ، ويجب علينا أن نؤكد ملاحظة سلوك الطفل عن كثب بمعيار الأوصاف، التى ذكرت لكل حاجة وهو يجـرى تشـخـيـصـاً تجـريبيًا ، ومن هذا المنطلق يستـمـر المعلم أو المربى فى ملاحظة سلوك أطفاله عن كثب .

وفيما يلى صورة لنموذج يمكن للمعلم أو المربى أن يلاحظ أطفاله فى ضوئه، ويمكنه التسجيل لمدة أسبوعين ثم يتركه لمدة ثلاثة أسابيع، ثم يعاود التسجيل لمدة أسبوعين ، ثم يقارن بين التسجيلين ..

اسم الطالب . التاريخ

راجع الاحتياجات التى نحاول مساعدة هذا الطالب فى الوفاء بها :

ـــــــــ الانتماء	ـــــــــ الحب والحنان .
ـــــــــ الإنجاز	ـــــــــ للتحرر من الخوف .
ـــــــــ الأمان الاقتصادى	ـــــــــ احترام الذات .
ـــــــــ التحررمن الذنب	ـــــــــ فهم الذات .

١- مـا الطريقـة التى استطعت بهـا أن تعكس الود والأمـان والثقـة بالنفس فى علاقاتك مع هذا الطفل اليوم ؟

٢- مـا المواقف التى جدّت وواجه فيهـا هذا الطالب نقداً أو عقـاباً أو رفضاً أو إحساساً بعدم الأمان أو الضغط أو التوتر أو العصبية ؟ موجزاً .

٣- هل استجدت مواقف أخرى بخلاف ما تم تسجيله أدت إلى إرضاء الطفل ، أو جعله أكثر أماناً ، وأكثر سعادة ، وأكثر احتراما للذات ؟ ربما ساعده أطفال آخرون .

٤- هل كان هناك أى شىء مختلف أو غير عادى فى سلوك الطفل اليوم ؟

وبعد ذلك ، ننفذ للنقطة الثالث فى تعرف الطفل العدوانى والحاجات المحبطة لديه ، وهى عبارة عن جهد منظم لمحاولة المساعدة على الوفاء باحتياجات الطفل : وقد أوضحنا هذه النقطة فى وصف ما يجب أن يفعله الآباء أو المربون للوفاء باحتياجات الطفل ، وما لا يجب أن يفعلوه من أجل حماية الطفل من عدم الوفاء باحتياجاتهم.. وسوف نشير ثانية فيما يلى إلى ما يجب أن يفعله المربون إزاء السلوك العدوانى للطفل.

(ب) **ما يجب أن يفعله المربون إزاء السلوك العدوانى :**

إن اهتمامنا كآباء أو معلمين مهنيين متمثل فى السؤال : هل تستطيع أن تفعل شيئاً لمساعدة الأطفال العدوانيين ؟ .

إن عرضنا السابق يلقى بعض التأييد المنطقى ، فإن العدوانية التى تظهر فى السلوك قد تكون علامة تخفى وراءها حاجة عاطفية واجهت إحباطاً ، فإذا كان ذلك افتراضاً معقولاً فإن ذلك يستتبع ألا يكون اهتمامنا موجهاً نحو علاج هذه العلامة ، أو نحاول إخمادها .. إن اهتمامنا يجب أن ينصب على بذل الجهد للكشف عما إذا كانت بعض الاحتياجات لم يوف بها ثم نحاول الوفاء بها .. إن هذا الضرب من التفكير يستند إلى الافتراض بأنه إذا بذلنا جهوداً للوفاء بالحاجات العاطفية للطفل العدوانى ، غالباً ما نتوقع تغيراً فى سلوكه يؤدى إلى انخفاض ملحوظ فى أعراض العدوانية .

ويجب ملاحظة أن أى إفراط فى عقاب العدوان قد يؤدى إلى ازدياد الدافع إلى العدوان ، كما أن الإفراط فى التسامح مع عدوان الطفل قد يكون نوعاً من الإثابة التى تؤدى إلى زيادة تكرار العدوان الصريح .. وهناك بيانات أخرى تدل على أن الآباء والمربين الذين يسمحون بالعدوان فى بعض المناسبات ويعاقبون عليه فى مناسبات أخرى .. ينشأ أطفالهم فى غاية العدوان .. وأن التناقض فى السياسة التربوية التهذيبية يخلق موقفاً محبطاً يزيد من اهتمام ظهور السلوك العدوانى عند الطفل .. وقد رأى «سيرز» وأعوانه على أساس من أبحاثهم التى قاموا بها : أن أفضل الظروف لمنع العدوان عند الطفل هو تثبيطه بشرط أن نتجنب العقاب البدنى على السلوك (٥ – ٣٦٠ : ٣٦١) .

وعلى ذلك :

فإن الاستجابات العدوانية تكون عالية فى معارج الاستجابات للإحباط ،

والسبب فى هذا السلوك العدوانى يكون فى أغلب الأحيان وسيلة فعالة للتغلب على التدخل ؛ ولذلك يواجه الإثابة .. ولذلك فعلى الآباء والمربين فى محاولتهم كبح السلوك العدوانى أن يلاحظوا :

١- كمية الإحباط فى هذا الموقف .

٢- مقدار التسامح أو العقاب الذى يواجه به العدوان فى هذا الموقف .

٣- ما لدى الطفل من قلق من التعبير العدوانى .

٤- السهولة التى يؤدى بها الإحباط عامة إلى الغضب عند الطفل .. (أو بعبارة أخرى مبلغ تحمل الطفل للإحباط) (٥ : ٣٨٦) .

وقد اتضح أن الإحباط لا يؤدى إلى العدوان إلا بعد أن يصل الطفل إلى مرحلة من النمو ، يتيسر له فيها أن يميز ما يترتب على أفعاله وسلوكه العدوانى من آثار على الشخص أو الموضوع الذى ينصب عليه العدوان .. كذلك لا ينبغى أن نتوقع قيام علاقة مباشرة بسيطة بين الإحباط والعدوان، فالإحباط لا يؤدى إلى العدوان إلا إذا كان العدوان يلقى من الوالدين أثناء عملية التطبيع الاجتماعى شيئاً من الإثابة والتدعيم - فمثلاً إذا حدث أن كانت الأم مصدراً للإحباط بالنسبة للطفل ، ثم ترتب على هذا الإحباط أن ثار الطفل ومال إلى العدوان على الأم ، وهمّ الطفل بالعدوان فعلاً عليها فوجد من الأم تساهلاً أو ترحيباً بهذا العدوان ، فإن الميل إلى العدوان يتدعّم ويقوى عند الطفل - أما إذا كان ميل الطفل إلى العدوان يجابه بعدوان أكبر ومزيد من الإحباط من جانب الأم، لم يعد الإحباط الأول يؤدى إلى العدوان، وبالتالى لم تعد العلاقة بين الإحباط وميل الفرد إلى العدوان علاقة بسيطة .. ولهذا يؤكد «سيرز» وأعوانه أن العلاقة بين الإحباط والعدوان علاقة مركبة وغير مباشرة تتوقف على ما يكون بين الطفل وأمه من تفاعل .. (٢ : ٩٩) .

ثانياً - الإحباط والخضوع

عندما تواجه الاحتياجات العاطفية اعتراضاً ، فإن بعض الأطفال قد يبدو عليهم هذا الإحباط بتحولهم إلى العدوانية كما سبق أن أوضحنا .. وليس كل الأطفال الذين لديهم إحباط يواجهون مواقف الحياة بأفعال عدوانية ، فبعض الأطفال قد يحاولون أن يكونوا عدوانيين ويفعلون ذلك فى ظروف معينة يلقون فيها عقاباً شديداً ، والبعض الآخر من الذين تواجه احتياجاتهم اعتراضاً على مدى فترة طويلة، قد

يظهرون استسلاماً .. إنهم يفقدون الجرأة والثبات ويصبحون خاضعين بدرجة غير عادية ، إنهم يبدون فى حالة رعب ويفتقرون إلى حاسة التوجيه لأنفسهم ويميلون للالتجاء إلى الآخرين فى طلب الرأى فيما يفعلونه ومتى يفعلونه ، وأين ، ومتى يتوقفون عن فعله- هذا السلوك هو ما يطلق عليه اسم «الخضوع» .

مظاهر الخضوع :

نود فى البداية أن نشير إلى أنه لا يوجد طفل يتخذ كل مظاهر السلوك التى سنوضحها فيما بعد ، فهناك نوع أو نوعان أو حتى ثلاثة أنواع من هذه السلوكيات ليست بالضرورة دليلاً على الخضوع المزمن. وقد أظهرت الدراسات أن بعض الأطفال الذين أظهروا عدوانية فى أحد المواقف التى أحبطوا فيها قد تلقوا عقاباً شديداً، وكانت النتيجة أنهم قد فقدوا ثباتهم ..

- وإذا كنا سنفحص السلوك الذى يتبعه طفل خاضع .. فإننا قد نجد أن له درجة غير عادية من تفضيل الأشياء القديمة والمألوفة .. إنه يشعر بالتهيب من تجربة أشياء جديدة ، وهو بالغ التردد فى محاولة تجربة أفكار جديدة .. إنه عادة يخاف من مقابلة أشخاص جدد ، ويجد صعوبة بالغة فى اتخاذ قراراته أو اختياراته .. إنه نادراً ما يحتج إذا وجد دفعاً لتصرفاته ، ويندر أن يقاوم عند معاكسة الآخرين له ، ويبدو أنه يفزع بسهولة ، ويخضع للسلطة دون تردد أو اعتراض ، ونادراً ما يبدى اعتراضاً على أى قرار من المجموعة ، وكثيراً ما يجعلك تدرك أنه يشعر بأن الأطفال الآخرين يعرفون أكثر منه ، وأنهم يستطيعون الإجادة خيراً منه ، وهو كثيراً ما يحتاج إلى نصيحة محددة لكى يوجه سلوكه ، وهو عادة يخشى أداء الألعاب الخشنة ، وأحياناً يعتبره الأطفال الآخرون «دلوعة» ، وهو يبدو خائفاً من الوقوع فى الخطأ .. وكثيراً ما تجرح مشاعره ، وهو لا يشترك عادة فى المنافسات ويبدى اعتماداً كثيراً على الآخرين .. والطفل الخاضع عادة لا يبدى ، فضولاً أو طلباً ، وهو غالباً مقلّد ، ويبدو أنه يتخذ الطرق الأقل مقاومة ، ونادراً ما يجرؤ على التطوع فى الفصل ، وهو شديد الإحجام عن التقدم إلى المجموعات ، وإذا واجه مشكلة ، فهى عادة من صنع الآخرين .
- وإذا توقفنا لحظة للنظر إلى الأشياء التى يحتمل أن يفعلها الآخرون للطفل الخاضع أو من أجله : سنلاحظ أنه كثيراً ما يتعرض لدفع الآخرين له .. أن آراء الطفل الخاضع قلّما يطلبها أحد ، وإذا عنّت له بعض الأسئلة فكثيراً ما تهمل أو تتجنب أو ترفض ، وهو أحياناً يستغل ككبش فداء للأطفال الأكثر عدوانية ، وكثيراً ما تجد

الطفل الخاضع مرفوضاً من الجماعة ، وهذه عادة تقلل من شأن إنجازاته، هذا إذا أدى أى إنجاز .. وهو عادة يتعرض للنقد الشديد ، وكثيراً ما يعاكس من الآخرين .. وإذا حدث أن قدمت أى وعود لطفل من هذا النوع ، فنادراً ما يوفى بها .. والآخرون يميلون لتوقع طاعة عمياء منه، وكثيراً ما نشاهد الأطفال الآخرين يضايقونه أو يعيرونه أو يستغلونه بدرجة كبيرة ...

– وإذا نظرنا إلى العلاقات التى قد توجد بينه وبين الآخرين : نجد أن الطفل الخاضع قلّما يجد له رفاقاً ، وهو قد يحاول اكتشاف الرفاق بالتملق والتزلف ، أو بمساعدة الآخرين .. وأحياناً يحقق رغبته بالمداهنة أو التوسل أو البكاء .. باستمرار سلوكه الخضوعى .. فعادة ما يفقد الآباء أنفسهم اهتماماتهم به ، ويميل المعلمون إلى اعتباره غير موجود فى الفصل ، ومن وقت لآخر، نجد الآباء والمعلمين يفرطون فى ملاطفة مثل هذا الطفل وتدليله .. وإذا بحثنا سلوكه خارج المدرسة قد نجد أنه لا ينام جيداً ، وعادة نجد أن الراشدين يودون لو أن له مزيداً من المهارة والصلابة والتوجيه الذاتى والحماس . ونجد أحياناً أن كلامه يعكس نضجاً ؛ مما يدل على أنه يحاول أن يرتبط بمجتمع الكبار .. وهذه الظاهرة هى عادة نتيجة عدم قدرته على خلق صداقات مع أقرانه ..

– وإذا حاولنا ملاحظة الطفل الخاضع، بحثنا عن بعض الأعراض الجسمانية فمن المحتمل أن نلاحظ أن وجنتيه تحمران خجلاً بسهولة وبكثرة .. وقد نجد أنه يقضم أظافره أو يمص إبهامه أو يغطى فمه بيده عندما يتكلم ، وقد نجد بعض التوترات فى الجسم ، وبعض التيبس عندما يطلب منه عمل شىء أمام المجموعة ، وقد نشاهد بعض الارتعاش فى أصابعه أو أن عينيه تطرفان .. وقد نلاحظ أنه يكثر من تحريك أصابعه أو يديه أو العبث بملابسه ..

وفى كل هذه الحالات نشاهد أدلة على أن الطفل أصبح خاضعاً فى علاقاته مع الآخرين – أقرانه – والراشدين فى مجتمعه القريب .

دور المربين لتغيير سلوك الطفل الخاضع :

والنقطة التى تبرز هنا هى أن هؤلاء الأطفال الخاضعين، هم أيضاً أطفال قد تكون لديهم احتياجات عاطفية لم يوف بها ، وإننا إذا حاولنا الوفاء بهذه الاحتياجات فإن سلوكهم الخضوعى قد يتغير ، ومن المحتمل أن يصبحوا أكثر تركيزاً ويميلون إلى المشاركة فى شئون المجموعة ، وإذا نجحنا فإننا قد نلاحظ أن الطفل الخاضع سيتغير إلى حد لا يجد نفسه فيه مدفوعاً من الآخرين، وسوف يصبح لديه مزيد من الأسئلة

ليسألها ، وتصبح آراؤه محلاً لمزيد من الاعتبار ، وهو يكف عن أن يكون كبش فداء لأطفال أكثر عدوانية ، ويلقى مزيداً من التقبل من مجموعة الفصل ، وبدلاً من أن تلقى إنجازاته تقليلاً من شأنها كما يحدث عادة : فإن المجموعة قد تقلل من انتقاداتها له .. وسينشأ المزيد من الاحترام له .. ويقل ما يلاقيه من معاكسات ومضايقات .. وإذا نجحنا فى الوفاء باحتياجاته : فإن الطفل الشديد الخضوع قد يقلل من درجة التملق الذى يستخدمه ، إن تزلفه للآخرين يقل ، ويقل تعرضه لتوجيهات الآخرين من أقرانه .. وقد نتوقع انخفاضاً فى أنينه وبكائه – وعندما يبدأ الطفل فى إظهار بعض الجرأة ، لنا أن نتوقع من الآباء والمدرسين بأنه نومه بدأ فى التحسن عن ذى قبل ، وقد يذكر والداه أو أقرانه أنه ازداد مهارة وصلابة وهمة – ولنا أن نتوقع أن يكون أقل ميلاً لمصاحبة من هم أكثر منه أو أصغر منه ، وأن تواجده مع أقرانه فى السن قد أصبح أكثر من ذى قبل .

وعندما نعمل مع الطفل الخاضع محاولين أن نوفى باحتياجاته ، قد نلاحظ بعض التغيرات فى الأعراض الجسمانية ، ومن الممكن أن احمرار وجنتيه أخذ يقل ، وقد تدل ملاحظتنا على أنه يقلل من قضم أظافره ، وأنه بدأ يقلع عن مص إبهامه .. وقد يقل توتره ويزداد ارتخاؤه عند العمل مع الآخرين . كما أن بعض حركاته العصبية بأصابعه أو أطراف عينيه تبدأ فى الزوال ، ويقل عبثه بأصابعه أو يديه أو ملابسه ..

ثالثاً – الإحباط وأنماط السلوك الانسحابي

يبدو أن الانسحاب هو نمط لحياة بعض الأطفال ، وهو مع البعض خضوع ، ومع آخرين نوع مستمر واصرارى من العدوانية .. فما السبب فى اختلاف ردود الفعل ؟ ..

الواقع أننا لا نعرف – فقد تكون مرتبطة بعوامل وراثية ، أو لبنية الجسم أو لشكل التكوين الأسرى ، وقد تكون نتيجة لسلوك طارئ فى بعض المواقف الحرجة .. إن الطفل قد ينال مزيداً من الحب والرعاية عندما يكون مناوشاً أو ميالاً للمخاصمة – ومعنى ذلك أن سلوكه قد تعزز ، ومع التكرار يصبح عادة ، وثمة طفل آخر يكون قد حاول العدوانية ثم عوقب عليها عقاباً شديداً .. إن اختيارا عشوائياً لخضوع بسيط قد يلقى ثوابا كبيراً ، وإذا ما تكرر يثاب ثانية . والعادات قد تبدأ بهذه الطرق ، بل هى تبدأ بها فى الغالب الأعم ، كما أن الانسحاب من الاتصالات الاجتماعية قد يكون له

السبب نفسه ، ولا يسعنا إلا التخمين فيما يختص بالأسباب المحتملة .. فنحن فى الواقع لا نعلم .

مظاهر الانسحاب :

هناك بعض الأطفال لا يختارون العدوانية أو الخضوع كوسائل للتعبير عن إحباطاتهم ، ولكنهم بدلاً من ذلك يميلون نحو نمط وجدانى (انفرادى) من السلوك ، وبمعنى آخر : الانسحاب من المجتمع – وفيه :

- يتجنب الطفل التعرض للناس أو للمواقف أو الأشياء التى تثير فى نفسه القلق الضيق بعد أن حدث له إحباط حاجات تتعلق بها ، وإذا اضطرته الظروف إلى مواجهة هذه المواقف انطوى على نفسه وتقوقع وعاش مع الناس دون أن يتعايش معهم .. ويكف من أية محاولة للتوافق مع الموقف المثير للإحباط .. وهذا يعنى اعتراضاً ضمْنياً منه بصعوبة الوصول إلى حل الأزمة التى يعانيها (٩ : ٢٧٣ – ٢٧٤) .
- ومثل هؤلاء الأطفال ينفرون من الاحتكاك بزملائهم ، وهم فى أغلب الأحيان يلعبون بمفردهم ، كما أن المجموعة لا تختارهم أعضاء فيها ، ولا يقع عليهم الاختيار للمشاركة فى الألعاب ، وعادة يذهبون إلى المدرسة ويعودون منها إلى المنزل منفردين ، وعندما تحين فترة الفسحة كثيراً ما نجدهم باقين فى مقاعدهم ، وإذا كان برنامج المدرسة يتطلب الخروج.. فإنهم يلكأون داخل المدرسة .. إنهم يقضون وقتاً طويلاً فى ترتيب أدواتهم قبل مغادرة الفصل للفسحة ، أو قد يذهبون إلى دورات المياه ويتلكأون فيها لفترة ؛ وبذلك يتجنبون الاحتكاك لأطول فترة بزملائهم فى فناء المدرسة .. وأحياناً يفضل مثل هؤلاء الأطفال مقعداً فى الفصل يعزلهم عن الآخرين ، وأحياناً أخرى نراهم يحومون حول أنشطة المجموعة ولكنهم يتجنبون المشاركة فيها .. ومراراً وتكراراً يفضلون أن يكونوا فى موقف المشاهد للأنشطة الجماعية دون الاشتراك فيها ..
- والطفل المنسحب يعوض النقص فى الاشتراك فى الموضوعات الخارجية بخلق موضوعات خيالية يتعامل معها .. فهو يميل إلى الخيال ، وقد يؤدى ذلك إلى تحويل اهتمامه إلى الفن والقراءة وحب الطبيعة، فيهتم بهذه الموضوعات أكثر من اهتمامه بالأشخاص (١٧ – ١٠٢) .

ومن الطرق التى يتبعها الأطفال الانعزاليون، نستطيع أن نشاهدها فى نوع من التخصص يقدمون عليه ، فنجدهم يقضون وقتاً طويلا جداً يبنون نماذج للطائرات ، أو يرسمون مناظر طبيعية متشعبة وصعبة ، أو فى تصميم ملابس معقدة للدمى ، وكلما

زاد الوقت الذى يقضيه فى مثل هذا النشاط الذى يعزله عن الآخرين.. تتاح له فرصة تكوين مهارات وقدرات فى مجال النشاط الذى اختاره .. وليس من النادر أن نجد المعلمين أو الآباء يمتدحون الطفل كثيراً على هذا التخصص، الذى كونه لنفسه – الأمر الذى يحفزه على زيادة الوقت الذى يقضيه فى ممارسة نشاطه ، وهو فى الواقع يجد تشجيعاً على الابتعاد عن المجموعة أكثر مما كان يرغب هو فيه ..

– وضمن هذا الفريق من الأطفال الانسحابيين يجب أن نضمن الأطفال الذين لديهم رغبة شديدة للانتماء للمجموعة ، ولكن لسبب أو لآخر يرفضون وقد يكونون غير مهرة أو أنهم لا ينتمون لأسر مقبولة ، أو أن بهم تشوهاً خلقياً منفراً .. إلى غير ذلك من العوامل . إن هذا الميل من الطفل ليكون منفرداً بنفسه أو أقرب فى احتكاكه بالكبار وليس بأقرانه بهدف القيام بنشاط يؤدى بطريقة طبيعية بعيداً عن الآخرين ، وأن يكون على هامش الأشياء وليس فى وسطها ، ويميل لمقاومة محاولات بعض الراشدين حسنى النية لحثه على المشاركة .. كل هذه المظاهر سلوكيات تدل على أن الطفل من هذا النوع المنسحب .

دور المربين لتغيير سلوك الطفل الانسحابى :

غالباً ما يكون هذا النوع الانفرادى من السلوك نتيجة عدم الوفاء ببعض الاحتياجات العاطفية . وإذا عرفنا كيف نحدد بعض هذه الاحتياجات ، وحاولنا الوفاء بها .. فإن الطفل سوف يصبح أكثر حيوية ، وأكثر مشاركة فى مجموعة الفصل بدلاً من أن يظل على هامش الأنشطة ، ويصبح لديه ميل ليكون عضواً متفاعلاً مع المجموعة ، وبدلا من أن يقنع بالاهتمامات الفردية نجده يبدأ فى الاهتمام بأشياء هى مبعث سرور للآخرين أيضاً .. وإذا نجحت جهودنا فى الوفاء باحتياجاته ، فقد تزداد محادثاته مع الأطفال الآخرين ، وقد يجد زميلا يرافقه فى الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل ، أو قد يدعو طفلاً أو عدة أطفال إلى منزله ، وقد يكون البادئ بفكرة الذهاب إلى السينما مع آخرين أو مرافقتهم إلى النادى لمشاهدة الأحداث الرياضية .

ومع نجاح محاولاتنا للوفاء بالتزاماته : نتوقع منه أن يزداد اندماجه مع المجموعة .. إنه لن يظل مصراً على العزلة ..

وعلى المربين مراعاة : أن كل طفل منعزل يعنى أن لديه احتياجات لم يوف بها ؛ فهناك احتمال قوى بأن بعض هؤلاء الأطفال يعيشون حياة داخلية بالغة الثراء:

- إنهم يشعرون برضاء بالغ فى التعبير عن هذه القدرة الخلاقة فى الأنشطة، التى لا يستطيع الأطفال الآخرون المشاركة فيها .

- إن لبعضهم خيالاً واسعاً وقدرة على الخلق .

وبعض هؤلاء الأطفال الانعزاليين لهم صديق واحد فقط ، وهم يرون أن ذلك مناسباً تماماً .. ويستطيع المعلم المتبصر أن يلاحظ فى سلوك الطفل الانعزالى ما إذا كان السلوك الانعزالى مبعث سرور بالغ للطفل نفسه ، أم أنه تباعد عن صراع ما ؟.. والمعلم قوى الملاحظة يستطيع أن يلاحظ ما إذا كان الطفل الانعزالى يشعر بسعادة كبيرة فى عزلته، أم أنه مضطر إلى ذلك تجنباً لمواقف يشعر أنه فى غنى عنها وأفضل له تجنبها .

إن اهتمامنا هنا ينصب فقط على تلك الأمثلة للانعزالية المتطرفة، التى يبدو أنها تتضمن دلالة على أن الأمان الداخلى لدى الطفل لم يتحقق .. إننا نعتقد أن كثيراً من الأطفال الانعزاليين الهامشيين هم أطفال لم يوف باحتياجاتهم العاطفية .. وإننا إذا حاولنا الوفاء بهذه الاحتياجات، فإن هؤلاء الأطفال سوف يجدون الرضاء التام فى الأنشطة التى تتسم بالمشاركة مع أقرانهم .

رابعاً - الإحباط والسلوك الارتدادى

باستمرار العمل فى ميدان الطفولة، تبين للمربين أن هذا النوع من السلوك يزداد حدوثه ، ويكون مصدراً للصعوبات بالنسبة للآباء والمعلمين ... وأعنى بالسلوك «الارتدادى» : العودة إلى سلوك أكثر تميزاً بسن مبكر .. «الفعل كما يفعل الطفل الصغير» أو الفعل مثل «طفل فى الرابعة من عمره» .. ويعبر عنه عادة بوجود بعض الصعوبات العاطفية وافتراض أن واحدة أو أكثر من الاحتياجات العاطفية لم يوف بها .

وكان «يونج» أول من تكلم عن الارتداد «النكوص» باعتباره عملية يقابل بها الفرد المواقف، التى تصل فى صعوبتها إلى حد لا يمكن التغلب عليه .. وكذلك فقد درس «باركر وديمبو وليفين» سنة ١٩٥١ Barker, Dembo & Lewin ظاهرة الارتداد أو النكوص كعملية تعبيرية عن الإحباط ، فقد لوحظ أن سلوك الطفل فى بعض مواقف الإحباط يتصف بالبدائية أو السذاجة ، كما أن أفعاله تصبح أقل نضجاً وأكثر صبيانية ، وتقل الحساسية للتمييز وإصدار الأحكام ، ويقل التمييز والوضوح لمشاعره وإحساساته ويصعب التحكم فيها .

مظاهر السلوك الارتدادى :

توجد مظاهر كثيرة تميز السلوك الارتدادى «النكوص» لدى الأطفال، والتى يستطيع أن يميزها المربون فى تعاملهم مع الأطفال – من هذه المظاهر :

– **معلمة روضة الأطفال** : قد تلاحظ مثل هذا الطفل الذى بلغ عامه الخامس يتصرف تماماً كتصرف طفل فى الثالثة من عمره ، وخلال عدة أسابيع تالية قد تلاحظ دلالات على وجود سلوك طفولة مبكرة لدى هذا الطفل .. فهو يبكى كثيراً ، وقد يرغب فى الجلوس فى حجر معلمته ، وقد يدعوها «ماما» فى عدة مناسبات ، وقد يبدأ «بلثغة» فى كلامه أو إلى أنماط طفولية أخرى فى الكلام ، وقد يرغب فى مساعدة المعلمة له فى أداء واجبات يستطيع أن يؤديها تماماً بنفسه ، وقد يمسك بثوبها أو يطلب الإمساك بيدها ، وقد يبدى رغبة شديدة فى الاهتمام المستمر به .

– **ومعلمة الصف الرابع أو الخامس الابتدائى** : قد تشاهد تلميذاً يرتد إلى سلوك طفل الروضة أو الصف الأول ، إنه لا يلعب إلا مع أطفال أصغر منه سناً أو مع البنات فقط ، وقد يفضل اللعب بلعب تناسب أطفالاً أصغر منه سناً .. بل قد يحقق مستوى ضعيفاً جداً فى القراءة أو فى الحساب .. وهنا تعجب المعلمة لهذا التغير فى سلوكه لعلمها بأن مستواه الإنجازى أعلى من ذلك بكثير .. إنه قد ارتد إلى سن نمو مبكرة .. وغالباً ما يكون الارتداد الذى يستمر لبعض الوقت إنما هو تعبير عن احتياجات عاطفية لم يوف بها ، وهو وسيلة للتفاعل مع الإحباط – وهنا أيضاً نجد أن كثيراً من الأطفال يرتدون إلى مرحلة نمو سابقة .

– **وبالنسبة للأطفال الصغار فى سن المدرسة** : فقد يبدو ذلك فى شكل فقدان التحكم فى عادات الإخراج التى سبق إرساؤها ، وبعض هؤلاء الأطفال الصغار قد يبدو أنهم لا يستطيعون لبس أحذيتهم أو معاطفهم .. إنهم يريدون المساعدة .. وتعلم الأم أن أداء هذه الواجبات البسيطة سبق أن رسخ ، وهى بذلك تعجب لهذه الاعتمادية الجديدة وهذه الأعراض الارتدادية .. وقد يعود بعض الأطفال لطريقة الأطفال الصغار فى الكلام ، وبعضهم قد يبكى للا شىء تقريباً .. وقد يدعى آخرون أنهم لا يستطيعون القراءة أو إجراء بعض عمليات الجمع البسيطة التى تعلموها ، ويبدو أنهم يرغبون فى المساعدة والاهتمام بهم .

– ويبدو على آخرين أنهم يرغبون فى احتكاك جسمانى دافئ ، وعندما يبكون فإن ذلك يكون قريباً من أمهم أو معلمتهم أو المربية الخاصة .. وقد يضعون رأسهم فى «حجرها» أو يحيطون عنقها بذراعيهم ويبكون بحرقة .

– وبعض هذه السلوكيات قد تكون مميزة لارتداد الأطفال الأكبر سناً فهؤلاء يمكن أيضاً أن يقهقهوا بطريقة الأطفال ، وأحياناً يضحكون ضحكات هستيرية ، وفى بعض الأحيان نلاحظ تغاضياً عن المسئوليات المرتبطة بمستوى سنهم .. ويبدو أن هناك قدراً كبيراً من النسيان .. إنهم ينسون القواعد ، أو الكتب التى يجب أن يأخذوها معهم إلى المدرسة ، أو ينسون أداء الواجبات المنزلية ، ويختلقون الأعذار لتغيبهم ، أو لتركهم بعض ملابسهم فى فناء المدرسة أو ينسون ملابس الألعاب ... إلخ .

– وفى بعض الأحيان ترتد نوعية عملهم إلى مستوى صف مدرسى أدنى أن هندامهم يبدو مهملاً ، ولا يتحملون ما يكفى من مسئولية النظافة أو التنظيم، ويكون ذلك ابتعاداً عن عادات سبق أن تعودوها عليه .. وبعضهم قد يرغب فى مزاولة بعض الألعاب التى تعودوا أن يزاولوها فى مرحلة سن سابقة ، وبعضهم لا يرغب فى اللعب إلا مع أطفال أصغر منهم سناً ، أو يتكلمون كثيراً عن اللهو الذى مارسوه، عندما كانوا فى الصفوف السابقة وعندما كانوا صغاراً ...

دور المربين فى مواجهة السلوك الارتدادى :

عندما يوجد دليل على توجيه الذات والقدرة العالية على اتباع التعليمات والاقتراحات، نجد أن بعض الأطفال يبدأون فى طلب رعاية تكاد تكون دائمة، ويبدو أنهم يرغبون فى الاستحواذ على كل اهتمامات المربين .. وهل يطلبون ذلك كثيراً ..

ويقوم المربون بالنظر إلى كل السلوكيات السابقة وغيرها .. ينظرون إلى كل سلوك «طفولى» على أنه علامات على عدم النضج ، والنظر إلى بعض الاحتياجات العاطفية التى لم توف .. ويحاول الآباء والمعلمون أن يجروا بعض التحليل لموقف الاحتياجات ، وإذا كانت الأدلة تدل على ذلك فيجب أن يحاولوا للوفاء بهذه الاحتياجات العاطفية ..

خامساً – الإحباط وأعراض المرض الجسمى والنفسى

إن المعلمين لا يستطيعوا أن يشخّصوا بالطبع ما يصيب الصحة الجسمانية من خلل ، فهذا هو واجب الطبيب المتخصص ، ولذا فيجب اعتبار أى بيانات فى هذا الموضوع من قبل المربين مجرد محاولة للفت نظر الطبيب المتخصص . وعلى ذلك، فإننا نعترف بمسئولية الآباء والمعلمين فى تعرف الأعراض الدالة على اعتلال الصحة وليس التشخيص ، وإخبار طبيب المدرسة والزائرة الصحية ، أو ناظر المدرسة عن أى ظاهرة قد تتطلب عناية طبية مبكرة .

إن بعض الأطفال عندما يشعرون بالإحباط، يميلون للوجوم والقلق وينتهى الأمر بظهور بعض الاضطرابات المرضية – وفى هذه الحالة يقال إن هؤلاء الأطفال يعانون من مرض نفسى جسمانى .. فلقد شهد الطب حديثا تصحيحاً لمفهومه التقليدى للمرضى؛ إذ بعد أن صار محور الطب جسد الإنسان متجاهلا العوامل البيئية المختلفة التى تؤثر فيه عاد ليؤكد أهمية تلك العوامل ، ومن هنا نشأ الاتجاه النفسى الجسمى والذى اتخذ شكلا آخر ، وهو الاتجاه الكلى للشخص .. وهنا يكون التعامل مع الإنسان ككل متكامل شاملا الجسم والنفس، بعد أن ثبت أن هناك بعض الأمراض التى تتميز عن غيرها بأن العوامل المسببة والمرسبة لها يغلب عليها الطابع النفسى وترتبط بالحالة الوجدانية للفرد .. والذى يحدث فى المرض النفسى الجسمى، هو تراكم للانفعال على المستوى الجسدى، دون أن يصعد إلى الوعى ويتبلور فى مفاهيم وألفاظ .

أى إن هناك ما يثير الفرد دون أن يعيه تماماً فيستجيب الفرد على مستوى جسده ، ولكن دون أن يفرغ هذه الطاقة .. والنتيجة هى حالة من الانفعال الجسدى المزمن الذى يظهر فى صورة مرض نفسى جسمى كالربو والحساسية والقرحة .. وغيرها ، والانفعال يقابل نفسيًّاحالة الإحباط أو الجوع، والتى تعبر عن وجود رغبة مضادة أو عقبة موضوعية تعترض إشباع الرغبة (الحاجة) .

مظاهر الأمراض النفسية الجسمية :

هناك بعض المظاهر التى يلاحظها الآباء أو المعلمون على الطفل أثناء التعامل اليومى معه .. من ذلك ما يلى :

– محاولات الغثيان والقئ التى يلاحظها الآباء على الطِفل ، أو يلاحظها المعلمون على الطفل فى الفصل أو فى فناء المدرسة ، قد يكونا عرَضين ، أو يمثلان سلوكاً غير عادى من جانب الصبى أو البنت ، وقد تظهر على الجسم بقع مختلفة الأحجام أو يصاب الطفل بحالة إغماء أو نوبة صرع ، وقد تحدث حالة ضيق فى التنفس غير عادية ، أو صعوبة شديدة فى التنفس ، وقد تكون هناك دلالات ، من واقع تعبير الطفل عن الألم : آلام فى الرأس ، أو فى الأذنين ، أو فى المعدة ، أو فى الأطراف ، وقد ترتفع درجة حرارة الطفل عن المعدل الطبيعى ، وقد يستطيع الأب أو المعلم قوى الملاحظة أن يدرك شيئاً ما غير طبيعى ويلزم الاهتمام به فوراً ..

إن هذه الاضطرابات من الممكن أن تحدث للأطفال العاديين الذين يبدون طبيعيين بكل المقاييس ، غير أن هناك بعض هذه الأعراض تحدث بانتظام فى أوقات معينة من اليوم المدرسى وقد تتطلب نظرة إضافية إليها .. وهنا يجب أن يتأكد

المربون من الوفاء بالاحتياجات العاطفية لهؤلاء الأطفال .

– ويقدم الآباء أحياناً مساعدات كبيرة ، فيخبرون المعلم عن حالة الطفل الصحية .. والمعلم الحكيم يدون هذه الملاحظات بعناية .. فقد يقول أحد والدى طفل صغير أنه فى بعض حالات الإجهاد والتوتر قد يشكو للطفل من اضطراب فى معدته (... فى سن الروضة) ، وقد يعلق والد طفل آخر على الحساسية ، وآخر على الربو .. إلخ . ومن المحتمل أنهم جميعاً يرون أن خطورة الأعراض يبدو أنها تزداد مع الضغوط، التى يشعر بها الطفل فى بعض المواقف .

– ونجد الأطفال الذين تظهر عليهم اضطرابات فى الجلد : أكزيما ، طفح ، وغير ذلك من الأعراض التى ترتبط بالحساسية . وهناك أطفال آخرون تظهر عليهم اضطرابات فى الدورة الدموية ، ومن أعراضها ارتفاع شديد فى ضغط الدم ، وأحياناً فى نبضات القلب ، وهناك أطفال تظهر عليهم أعراض التهاب المفاصل أو الروماتيزم، وقد وضع تصنيف لمجموعات متوعة من الأطفال يشكون من الصداع أو آلام معاودة فى الجسم أو الظهر ، أو اضطرابات فى الكلى أو الأمعاء .. كما قد نجد أطفالا يعبرون عن اضطرابات فى قنوات التنفس ، وبعضهم يصاب بنوبات متكررة من الحمى ، وغيرهم من الأطفال قد يصابون بقرحة ، أو أطفالاً يشكون فجأة من التهاب من التهاب قولون من نوع آخر ، أو من إسهال مؤلم مع تقلصات مصحوبة عادة بمخاط عند الإخراج .. وأحياناً تبدو على الأطفال أعراض الإمساك ... إلخ .

– وفى مجموعة أخرى تستطيع أن نضع أولئك الأطفال ذوى العيوب الكلامية المختلفة .. الذين يتلعثمون أو يتهتهون أو يلثغون .. ويجب أن نضيف لهم أولئك الأطفال الذين يعتريهم تقلص فى النطق ..

– وفى مجموعة أخرى من تصنيفات الأطفال المصابون باضطرابات نفسية جسمية يمكن أن نضيف أولئك الأطفال الذين يوجد لديهم ميل للإصابة بالسل الرئوى أو السرطان .. ونقدم بعض الأدلة على أن مرض السكر لا يخلو من العلاقة بإحباط الاحتياجات العاطفية (٣٣) .

إن الأطفال الذين لديهم أعراض عدة من هذا النوع يبدو عليهم المرض لدرجة تستدعى العناية الطبية أو دخول المستشفى ، ومن جهة أخرى لا يبدو أنهم فى حالة تسمح لهم بمسايرة أقرانهم ومواصلة عملية التعلم ، ويجب أن تكرر القول : إنه كقاعدة عامة لا يوجد طفل لديه كل هذا العدد من الأعراض ، علاوة على ذلك يمكن القول عن كل طفل أنه فى وقت أو آخر توجد بعض هذه الأعراض فى سلوكه .. إننا

نحاول تصوير الطفل الذى يعانى من حالة مزمنة إلى حد ما من هذا النوع .

دور المربين لمواجهة المرض النفسى والجسمى :

– يجب هنا تأكيد أننا لا نشجع الآباء أو المعلمين على إجراء تشخيص للمرض. والواقع أننا نقترح فى هذا الصدد أن يلجأوا دائماً إلى طبيب للمساعدة إذا لزم الأمر .. ولكن نطلب منهم أن يكونوا يقظين ، وأن يلاحظوا ما إذا كانت هذه الأعراض المرضية ذات صلة بأنشطة الطفل مثال ذلك : هل تزداد حدة نوبة الربو أو الصداع ، أو اضطرابات المعدة عندما تكون هناك بعض الضغوط داخل حجرة الدراسة من جانب المعلم أو الأطفال ؟ .. هل يميل بعض الأطفال لإظهار اضطرابات معدية معينة فى حصة القراءة ، أو الحساب ، أو عند حلول الفسحة ؟ .. هل هناك بعض الأطفال الذين يجدون ضرورة مغادرة الفصل فى أوقات معينة من اليوم ؟ وعندما يكون عليهم أداء بعض التسميع ، هل يشكو الأطفال المرض ؟ .

– ويجب أن تكرر القول : إن المطلوب هنا من الآباء والمعلمين هو الملاحظة للعلاقة بين هذه الأعراض المرضية، وبعض المواقف التى تحدث فيها إحباط لحاجات الطفل أو يحدث فيها توتر انفعالى له .. فإذا وجدت هذه العلاقة فإنه من المعقول أن نستنتج أن هناك تهديداً للأمان الداخلى للطفل ، وعندما تبدأ هذه التهديدات فى العمل فإن الطفل يخرجها على جسمه .. إنه يبدأ فى الشعور بالاعتلال ، وتزداد أعراض المرض وضوحاً .

– أن يتنبه الآباء والمعلمون من الاعتقاد أنه يوجد خداع ليس بالقليل من هذه الأعراض وتلك الحالات فى الفصول ، وأن الحالة المرضية لهؤلاء الأطفال لاتستوجب بقاءهم فى المنزل ، ومع ذلك فهم فى الواقع بحالة لا تسمح لهم بالذهاب إلى المدرسة .. إن المنهج المدرسى كما هو ، والعلاقات الإنسانية داخل المجموعات تفرض كثيراً من الالتزامات على هؤلاء الأفراد ، وهى التزامات لا يستطيعون الوفاء بها بدرجة يصبح معها أمانهم الداخلى مهدداً ، ويظهر السلوك الناتج عن ذلك فى تكرار أعراض الاعتلال الجسمانى .

– ويجب أن نتذكر أنه عند تمييز هؤلاء الأطفال، فإننا لا نبحث عن أولئك الذين لا يظهر عليهم هذا السلوك إلا فى حالات نادرة ، إننا نحاول أن نميز الأطفال الذين يعانون من حالات مزمنة إلى حد ما . وعندما نجد أن هذه الأعراض لها علاقة بضغوط معينة ، فإننا نستنتج أن شيئاً ما يجب عمله للوفاء بالاحتياجات العاطفية لهؤلاء الأطفال .

- وأن يتذكر الآباء والمربون : أن كل هذه الأنماط من السلوك التى ترتبط بمرض نفسى جسمانى يجب ألا يحاولوا إبراء المريض منها وحدهم ، ولا يحاولوا علاجه ،ولكن عليهم ملاحظة العلاقة بين الأعراض والضغوط العادية فى مجال الحياة اليومية المنزلية والمدرسية .

وبالنسبة للأطفال الذين يحتاجون لذلك بصفة خاصة .. فيجب أن يكون الآباء والمربون حساسين لهذه العلاقة ، ويحاولوا أن يخففوا من الضغوط على الطفل . ولما كان هناك افتراض بوجود علاقة بين هذه السلوكيات المرضية والاحتياجات العاطفية التى لم يوف بها ، فيجب على الآباء والمربين : أن يحاولوا عمل تحليل لاحتياجات الطفل .. وعندما تنجح هذه المحاولة ، فمن المحتمل أنهم يكونوا بذلك قد أسهموا بقدر كبير فى تخفيف الضغوط ..

إن الطفل الأكثر أماناً عاطفيًا يكون قادراً على تحمل الضغوط، بل المزيد منها بما فى ذلك ضغوط الحياة اليومية العادية.

لقد اهتم هذا الفصل ببعض من كثير من نتائج الإحباط الذى يصيب الحاجات العاطفية للطفل . وتضمن ذلك مناقشة أنماط السلوك العدوانى ، وأنماط السلوك الخاضع ، وأنماط السلوك الانسحابى ، وأنماط السلوك الارتدادى، وتم سرد بعض من أعراض المرض النفسى الجسمى .. وقدمنا افتراضاً بأن يتمكن المربون من التمييز بين أطفالهم فيمن ينطبق عليهم هذا التصنيف لكل نمط من أنماط السلوك .

وفى كثير من المناسبات قد يجد المربون أن الطفل يتسم بأكثر من واحد من هذه المظاهر من السلوك الناتجة عن إحباط الاحتياجات العاطفية، التى لم يوف بها، وقد يحدث ذلك كدليل على عدم الوفاء باحتياجات عاطفية .

بعد بحث المظاهر الناجمة عن الإحباط ، ننصح بأن تكون الخطوة التالية مزيداً من الفحص الدقيق .. وعلى الآباء والمربين أن يبحثوا عن الأدلة التى قد تحدد أياً من الاحتياجات العاطفية التى لم يوف بها .. ولتحقيق ذلك لابد وأن يكون لدى الآباء والمربين فكرة عن الطرق، التى تنعكس بها كل من هذه الاحتياجات على سلوك الأطفال، كما سبق أن أوضحنا من خلال عرضنا للحاجات النفسية ونقصها وكيفية اكتشافها.

الفصل العاشر

الحيل الدفاعية الناتجة عن الإحباط

(أ) حيل خداعية :

١ – الكبت .

٢ – التبرير .

٣ – الإسقاط .

(ب) حيل هروبية :

– أحلام اليقظة .

(جـ) حيل استبدالية :

١ – التعويض .

٢ – التقمص .

الحيل الدفاعية الناجمة عن الإحباط

مقدمة :

إذا عجز الفرد عن مواجهة المشكلات فى صراحة واقتدار.. فإن ذلك يدفعه إلى أساليب مختلفة عن التكيف بقصد التخفيف من حدة التوتر الناتج عن الإحباط ، ويطبق على هذه الأساليب «الحيل الدفاعية» أو الحيل اللاشعورية ؛ ذلك أن من أهم الأعباء الملقاة على عاتق «الأنا» مواجهة المخاطر والتهديدات التى توقع الفرد فى الارتباك وتثير فى نفسه القلق .. وهنا يحاول «الأنا» التحكم فى الخطر باتباع طرق واقعية فى مواجهة المشكلات أو يتوخى تخفيف القلق باستخدام طرق ينكر بها أو يموه بها ويشوه الواقع ؛ ولذا تسمى بمعنى آخر بميكانيزمات دفاع الأنا .

ورغم تعدد هذه الحيل أو - الميكانيزمات - فإنها تشترك فى أنها تشوه الحقيقة بهدف تجنب الفرد حالات القلق، وما يصاحبها من شعور بالإثم ، وأن تجعل الفرد يحفظ على نفسه اعتباره لذاته ..

بمعنى : أنها حيل لا تستهدف حل الأزمة بقدر ما ترمى إلى الخلاص من القلق الناتج عن الإحباط وتزويد الفرد بقدر من الراحة الوقتية ، فلا تحقق للفرد التوافق الكامل بين المرء وبيئته أو بين المرء ونفسه .

وسوف نتناول فيما يلى أهم هذه الحيل :

(أ) حيل خداعية ، مثل :

١ - الكبت .

٢ - التبرير .

٣ - الإسقاط .

(ب) حيل هروبية ، مثل :

١ - أحلام اليقظة .

٢ - النكوص (وقد تناولناه قبل ذلك) .

(جـ) حيل استبدالية ، مثل :

١ – التعويض .

٢ – التقمص .

(أ) حيل خداعية

١ – الكبت :

من الحيل اللاشعورية التى يلجأ إليها الفرد للتخفف مما يعانيه أو مما تعافه نفسه .. فإذا وجد فى الحياة العقلية عنصران متعارضان ، فقد يترتب على هذا التعارض كبت أحد هذين العنصرين :

فإذا كان لدى ميعاد لابد أن أحافظ عليه، ولكن هذا الموعد مع شخص أتضايق من مقابلته .

فكثيراً ما يحدث أن يُنسى هذا الموعد .. وعملية فصل هذه الفكرة من الشعور إلى اللاشعور تتم بطريقة لا شعورية ودون قصد .. ولذلك يكون الفرد مخلصاً فى اعتذاره بالنسيان .

والكبت عملية استبعاد تتخذ صورتين :

أولاهما : طرد الدوافع والانفعالات والأفكار والذكريات اللاشعورية المؤلمة أو المخيفة أو المخجلة وإكراهها على التراجع إلى اللاشعور .

والثانية : منع الدوافع والأفكار والذكريات اللاشعورية من اقتحام الشعور؛ كى يتجنب الفرد الشعور بالقلق أو الشعور بالذنب أو الشعور بالنقص والعجز .

– فأما كبت الأحداث والذكريات والأفكار : فيعنى نسيانها نسياناً قد يكون كلياً أو جزئياً .

– وكبت الدافع يعنى منعه من التعبير عن نفسه بصورة صريحة ، وعدم التفكير فيه وإنكار وجوده أى عدم الاعتراف بالصلة بينه والسلوك الصادر عنه .. فالذى يكبت الدافع الجنسى لا يجرؤ على التفكير فيه ، ولا يعترف بأزمته الجنسية بل ينكر أن لهذا الدافع سلطاناً عليه .

– وأما كبت الانفعال : كالخوف أو الغضب أو الشعور بالنقص أو الذنب، فيعنى إعاقة

الانفعال عن التعبير الطبيعى عن نفسه بالقول أو بالفعل ، كما يعنى نسيان مصدره وسببه وملابساته (٣ : ٣٠) .

والكبت حيلة ساذجة خرقاء ، وكبت ما يعانيه الفرد أو تعافه نفسه ، لا يعنى أن تأثيرها قد انتهى ، إنما الحقيقة أنها تظل ذات تأثير فعال فى سلوك الشخص ، على أن الكبت العنيف يستنفذ جزءاً كبيراً من طاقة الفرد ، ومن ثم لا يتبقى لديه إلا القليل لمواجهة أعباء الحياة وشدائدها .. والكبت يجرى بطريقة آلية لا شعورية . (٩ : ٢٧٢) .

والكبت كغيره من الحيل الدفاعية يحتمل أن يصبح من قبيل العادات السيئة الثابتة، إن أسرف الفرد فى الالتجاء إليه فى طفولته، بعد أن وجد فيه مخرجاً من مشكلاته وأزماته النفسية (٣ : ١١١) .

وللكبت خصائص، منها :

١ - أن الكبت عملية لا شعورية : تصدر عن الفرد دون قصد أو إرادة منه، فنحن لانعرف أننا نكبت ، أو ماذا نكبت ، أو لماذا نكبت ؟

وهنا يجب التمييز بين الكبت والقمع ؛ فالقمع مرادف لضبط النفس واستبعاد إرادى مؤقت للدوافع والانفعالات والأفكار والذكريات المؤلمة من الشعور، أما فى الكبت فيرفض الفرد النظر إلى الدافع أو الاعتراف به، وسرعان ما ينسى أصوله وملابساته .

٢- أنه خداع للنفس : فالطفل الذى يكبت رغبته فى تقبل العطف والحب من والديه لايزال يحن لا شعورياً إلى هذا العطف ولكنه ينكر على نفسه وعلى الناس ذلك ، ومن هنا فإن جوهر الكبت أن يشعر الفرد مخلصاً فى شعوره أنه لا يريد شيئاً فى حين أنه يرغب فيه من أعماق نفسه .

٢- التبرير :

هو بمعناه الواسع تعليل السلوك بأسباب منطقية يقبلها العقل، مع أن أسبابه الحقيقية انفعالية .. وفيه ينتحل المرء سبباً معقولاً لما يصدر عنه من سلوك خاطئ أو معيب ، أو لما يحتضنه من آراء ومعتقدات وعواطف حين يسأله الغير أو حين يسأل نفسه .. فيقدم أعذاراً تبدو مقنعة مقبولة ، ولكنها ليست الأسباب الحقيقية (٩ : ١١٢) لإخفاء ما يستقر به من عار أو خجل ، أو محاولة لخداع الذات أو الضمير .. إنه تسوية للعيوب أو المثالب التى لا يطيق الفرد مواجهتها (٣ : ٢٧٧) .

- فالتلميذ المتخلف يبرر تخلفه بأن المقرر صعب عسير ، أو يغش فى الامتحان ويعتذر بأن الامتحان ليس وسيلة عادلة لاختبار الكفايات .
- ونحن نبرر عدم ذهابنا للطبيب بكثرة أعمالنا، فى حين أن الدافع الحقيقى هو الخوف من الذهاب أو كراهية الدواء .
- وحين يكره الفرد شخصاً آخر ، كراهية شديدة يذكر أنه يكرهه لأنه مغرور أو غير مؤدب ، وربما يكون السبب الحقيقى أنه أقوى أو أنه أكثر تفوقاً ... إلخ .

للتبرير صور عدة ، منها :

- اعتذار الفرد عن فشله فى الحصول على شىء بأنه لا يميل إلى ذلك الشىء أو أنه يكرهه .. مثل : إعراض الفقير عن تحسين حاله باقتناء المال لأن المال لا يستحق الكد من أجله .. أو : ذلك الرجل الذى يصرح بسروره لعدم إنجابه أطفالاً لأن الأطفال عبء ومسئولية وعناء كبير .
- وعكس ذلك : قبول الواقع المر والرضا به بحجة أنه لابد منه ، أو أنه خير الأمور دون أن يبذل الفرد جهداً لتغيير الحال .. وفيه يتخفف الفرد من عجزه وقعوده واستسلامه ، ويخدع نفسه بأنه غير عاجز أو كسول أو فاتر الهمة – من ذلك القول: بأن «الفقر حشمة» ، وندعى حب ما نعجز عن تجنبه ، ونبرر عيوبنا وقصورنا وأخطاءنا لأننا لا نطيق مواجهتها .
- كذلك يمكن اعتبار التمارض نوعاً من التبرير : فالمرض أوجه الأعذار وأكثرها قبولاً عند الناس ، وبه يفر المرء من عمل شاق أو يوم مزدحم بالمتاعب ، أو من موقف مشكل .. به يتقى لوم الناس أو لوم الضمير .

وعلى هذا :

فإن التبرير يسهل على الأنا (النفس الشعورية) قبول السلوك ما دام يستند إلى الأسباب المنطقية .. فكأن وظيفة التبرير : إيصال إلى حالة ارتياح عن طريق خداعها والتمويه عليها ..

ويختلف التبرير عن الكذب : فى أن الفرد فى موقف الكذب يدرك السبب الحقيقى لسلوكه ، ولكنه يتعمد التحريف – فالكذب : محاولة مقصودة لخداع الغير لاتتضمن خداع النفس .. أما فى التبرير : فيعتقد الفرد ويؤمن بأن ما يقوله هو الحق ، فجوهر التبرير خداع الذات ، وقد يؤدى إلى خداع الغير ، وتصدر عن الفرد بصورة آلية تلقائية لا تسبقها رؤية أو تفكير (٣ : ١١٢ – ١١٣) .

٣- الإسقاط :

عملية هجوم لا شعورية يحمى الفرد بها نفسه بإلصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرومة أو المستهجنة بالآخرين ، كما أنها عملية لوم للآخرين على ما فشل هو فيه بسبب ما يضعونه أمامه من عقبات وما يوقعونه من ذلات أو أخطاء (٩ : ٢٧٨) . بقصد تنزيه والتخفف مما يشعر به من قلق .

- فترى الكاذب أو الجحود أو الأنانى أو المتعصب الذى لا يشعر بوجود هذه الصفات فى نفسه ينسب الكذب أو الجحود أو الأنانية أو التعصب إلى غيره .
- والزوج الذى تنطوى نفسه على رغبة مكبوتة فى خيانة زوجته ، يميل إلى اتهامها بالخيانة .
- وكثيراً ما يكون ارتياب الفرد فى الناس وعدم ثقته فيهم إسقاطاً لارتيابه فى نفسه وعدم ثقته فيها ..
- ومن مظاهر الإسقاط وعظ الناس وإرشادهم إلى تقويم أنفسهم من عيوب يتسم بها الواعظ نفسه وهو لا يدرى (٣ : ١١٤) .

والإسقاط يمثل قلقاً ناجماً من ضغط على الأنا آت من الهو أو من الأنا الأعلى- ففى وسعه أن يحاول التخلص من قلقه بنسبة السبب فيه إلى العالم الخارجى .. فبدلا من أن يقول الفرد عند كراهيته لشخص آخر (أنا أكرهه) ففى وسعه أن يقول (هو يكرهنى) – أو بدلاً من أن يقول : (إن ضميرى يزعجنى) ، يمكن أن يقول (إنه ليزعجنى) .

- ففى الحالة الأولى ينكر الشخص أن العداء صادر من الهو وينسبه إلى شخص آخر..
- وفى الحالة الثانية ينكر الشخص مصدر مشاعر الاضطهاد وينسبها إلى شخص آخر..

وثمة نمط آخر من الإسقاط قد لا يبدو ولأول وهلة ذا طابع دفاعى، يتمثل فى المشاركة فى مشاعر الناس جميعاً وأفكارهم .. فالإنسان يشعر بالسعادة ويظن أن غيره من الناس يشعرون بالسعادة أيضاً .. ذلك لأنه إذا لم يكن سائر الناس سعداء لتعرضت سعادة الشخص للخطر ، إذ قد يشعر بالإثم لأنه سعيد بينما الآخرون ليسوا سعداء .. ولكى يمحو هذا التهديد ينسب الشخص السعادة للآخرين كما ينسبها لنفسه .. وإذا استطاع الإنسان أن يقنع نفسه بأن معظم الناس ليسوا شرفاء، لكان من الأيسر له ألا يكون شريفاً دون أن يشعر بالإثم .

– فالطالب الذى اعتاد الغش فى الامتحانات ، كثيراً ما يلتمس العذر لنفسه على أساس أن كل طالب آخر يغش أيضاً .

– أو إذا كان يعتقد أن الاتصال الجنسى دون ما ضابط أمر شائع .. ففى وسعه أن يتخذ من هذا الاعتقاد ذريعة لمد رغباته الجنسية .

وعلى هذا فإن الإسقاط يؤدى غرضاً مزدوجاً :

– فيه نتخفف من مشاعرنا ودوافعنا البغيضة، ونعمى عن رؤية أنفسنا كما هى عليه فى الواقع .. ولذا كان حيلة خداعية .

– كما أنه يجعلنا فى حل من نقد الناس واتهامهم والمبادرة إلى لومهم، قبل أن يلومونا.

– بل إنه يجعلنا نحاسب الناس حساباً عسيراً إن بدت لديهم عيوب ونقائص شبيهة بعيوبنا ونقائصنا نحن (٣ : ١١٥) .

ويمكن من خلال الإسقاط أن نفسر بعض المخاوف الشاذة كالخوف من ركوب السيارات أو المكوث فى أماكن مقفلة ... إلخ . فالمريض الخائف من نفسه ، خائف أن تطغى مكونات لاشعوره بما يزلزل كيانه ، ولما كان الإنسان لا يملك وسائل للدفاع أو الهروب إلا حيال المثيرات الخارجية للخوف، ولا يملك مثل هذه الوسائل حيال المثيرات الداخلية للخوف – وبذلك كان من الطبيعى أن يسقط الفرد ما يحتضن من خوف على موضوعات خارجية؛ كى يتسنى له التصرف حيالها بالدفاع أو الهرب ومن هنا ينشأ هذا الخوف الشاذ ..

(ب) حيل هروبية

وتتلخص هذه الحيل فى تجاهل الصراع أو الأزمة أو استصغارها أو تناسيها أو التشاغل عنها أو استدبارها ، وتبدو هذه الحيل فى صور شتى، منها : الانطواء على النفس ، أو الإسراف فى القراءة هرباً من الهموم ، أو الالتجاء إلى النوم كما يفعل الأطفال حين تعترضهم صعوبة أو مشكلة ، أو النكوص إلى مرحلة سابقة ، أو الهروب من المشكلة والتحليق فى أحلام اليقظة .

وقد تناولنا فيما سبق أثر الإحباط فى الانطواء ، وأثره فى النكوص لدى الأطفال .. وسوف نتناول فيما يلى دور الإحباط فى حدوث أحلام اليقظة .

أحلام اليقظة :

أحلام اليقظة قصص يرويها الإنسان بنفسه لنفسه عن نفسه ، وهو نوع من التفكير لا يتقيد بالواقع، ويستهدف إرضاء الحاجات التى لم يستطع الفرد إرضاءها أو أحبط فى طريقة إشباعها.. فيبدأ فى بناء تصور على الرمال يجد فيها عزاءً عن القلق الناجم عن إحباط دوافعه (٣ : ١٢٠) .

فيرى الضعيف يحلم بالقوة ، والفقير بالثروة ، والمظلوم بالبطش ، والغبى بالذكاء .. وقد يصنع نفسه بطلاً للرواية ، وهكذا فإن أحلام اليقظة تعتبر صمام أمن للرغبات المكبوتة والدوافع المحبطة .

وأحلام اليقظة نشاط ذهنى شائع فى الطفولة وبداية الشباب ، وهى فترة طبيعية عادية لا ضرر منها إذا لجأ إليها الفرد بمقدار – لأنها تشعر الفرد بالرضا من الحل المؤقت للمشكلات فى عالم خيالى، وقد تزوده بخطة للتغلب على الصعوبة – ولكن الإسراف فيها يؤدى إلى التباس الخيال بالواقع أو اقتناع الفرد بالتنفيذ الفعلى لرغباته وآماله .. فكثير من حالات الإخفاق فى الزواج ترجع إلى ما كونه الفرد فى أحلام يقظته من خيالات مضخمة عنه لا يحققها الواقع .

ولنضرب مثالا لذلك :

«فالموضوع الأول لحب الطفل هو عادة أمه ، فهو يراها فى الأصل صورة امرأة مثالية ، ولما كان مستحيلاً عليه أن يمتلك أمه امتلاكاً ينفرد به ، ولما كان يكتشف أن لأمه نقائص فإنه يتجه فى البحث عن بديل فى خياله عن المرأة الكاملة وقد يقع الاختيار على معلمته فى المرحلة الأولى أو على جارة له ، أو على عمته ، إلا أنه يجد أنهن جميعاً لهن عيوبهن ولسن ملك يمينه، ولا يحققن المثل الأعلى الذى تصوره فى خياله ، فيقع فى حب فتاة أكبر منه سناً ، وربما كانت أخته الكبرى أو صديقة أخته .. وهنا : فإن أحلام اليقظة حول المرأة الكاملة تحاول أن تنطبق على شخصية يجدها فى السينما أو الكتب ، وأخيراً يستقر عادة عند شخص واقعى معين، هو الفتاة التى تشبه أمه أو تشبه نسخة مثالية لما فى خياله ، وتلون اهتمامامه وهواياته وقيمه ومواقفه ومشاعره وما يتعلق به بهذه الفتاة الذى يتقدم للزواج منها – ولكن ظلت إذا أحلام يقظته متعلقة بشخص مثالى (صورة المرأة المثالية)، فإن أى نقائص فى زوجته تؤدى به إلى الانهيار وبالتالى يتم الانفصال والفشل فى الزواج ...» .

(جـ) حيل استبدالية

١- التعويض

التعويض هو الظهور بصفة ما بقصد تغطية صفة أخرى، والصفة الظاهرة فى العادة صفة طيبة مقبولة عند الشخص ، وأما الصفة المستترة فإنها صفة غير مقبولة.. وأحياناً يكون هناك شىء من المبالغة فى الصفة الظاهرة .. وهنا نقول عنه إنه «تعويض مسرف» ، ووظيفة المبالغة هى الوصول بعملية التغطية إلى درجة النجاح .

وبذلك :

– يكون التعويض : محاولة للتغلب على نقطة الضعف لدى الفرد .

– بينما يعنى التعويض الزائد محاولة الفرد أن يتفوق تفوقاً زائداً على نقطة الضعف لديه .

ويحاول الفرد باستجاباته المسرفة فى التعويض أن يتخفف من التوتر الناشئ عن عقدة النقص لديه . وفى التعويض المسرف نجده يتجاوز الحدود المعقولة المقبولة حتى ليبدو متكلفاً أو سخيفاً أو مضاداً للجميع .

– فجناح الأحداث يرتكبون العدوان على الناس أو الممتلكات والسرقة والاعتداء ، متحدين العزف؛ حتى يثبتوا لأنفسهم وللناس أنهم غير ضعفاء .

– وقد نجد فتاة دميمة أو شاباً لديه نقص جسدى ، أو عاهة جسدية (كشلل الأطفال أو العمى) مثلا يتفوقان فى الدراسة تفوقاً كبيراً (مثل الدكتور طه حسين مثلا..) .

ومن صور التعويض الزائد (المسرف) :

– لجوء الفتاة الدميمة إلى التكلف فى لبسها وزينتها.. فتلبس الأزياء الصارخة غير المحتشمة فلا تثير إلا الاحتقار والاستنكار .

– ويشك بعض الناس أحياناً فيما يظهره بعض الناس من الظهور بمظهر الأدب الجم ، أو الكرم الحاتمى ، أو التقوى الشديدة .. ويعتقدون أن هذه الصفات قد تغطى صفات أخرى مخالفة لها .. وكذلك تفسير ما يظهر من شدة المبالغة فى الحزن العلنى على وفاة بعض الأقارب .

وبذلك .. فإن هذه العمليات التعويضية تتم بطريقة لا شعورية، يؤديها الفرد للتغلب على عقدة النقص لديه (٣ : ٣٠ – ٣١) .

٢- التقمص :

فى الإسقاط يخلص الفرد نفسه من صفاته المعيبة وينسبها إلى الآخرين .. بينما فى التقمص يلصق بالفرد بنفسه الصفات المحببة إليه، أو يدمج نفسه فى شخصية فرد آخر حقق أهدافاً يشتاق هو إليها ؛ كى يتخفف مما يعانيه من صراع وإحباط .

- فنحن نميل إلى تقمص من ينعمون بما حرمناه، حين نقرأ عنهم أو نفكر فيهم أو نشاهدهم فى المسرح ... إلخ .
- أو يتقمص الطالب غير الرياضى شخصية زميل له رياضى، يستطيع أن يقهر أى طالب آخر .. فيسير إلى جواره أو فى أثره .
- وتتقمص الفتاة الفقيرة شخصية ممثلة كبيرة فتلبس أفخر الثياب وتعجب بها وتتبع أخبارها لتتمثلها حتى تصل إلى ما وصلت إليه (٩ : ٢٨) .

والتقمص أسلوب سوى التوافق يصطنعه جميع الناس – والحب من أقوى الدوافع إليه مما يبدو فى اتحاد الحبيب بالمحبوب فى حالات الحب العنيف وفى حالات الوجد والوصول عند الصوفية .. كذلك فإن الإعجاب يكون دافعاً إلى التقمص: كأن يتقمص الطفل شخصية أبيه ، والمرء دائماً يقلد من يحب ، ويمتص مجموعة من صفات الشخص الذى يعجب به بما فى هذه الصفات من الحسن أو السيىء .. فالمرء يقلد – دون أن يشعر – حركات أستاذ يعجب به ، ويقلد أسلوبه فى الخطابة والمعاملة والمناقشة .. إلخ (٣ : ١٢٨ – ١٢٩) .

وكون التقمص عملية لا شعورية.. فهذا سببه أن التقمص فيه تسليم ضمنى بالنقص ، وفيه تكميل للنقص عن طريق التقمص – فالنقص وتكميله أمران لا يقبلهما الأنا فيبقيان لاشعوريين .. فيصبح الشعور بالنقص والعجز دافعاً قوياً للتقمص ووسيلة للتخفف من الخوف أو القلق ..

وقد يكون التقمص وسيلة للتغلب على الحزن أحياناً : كتلك الطفلة التى ماتت قطتها ، فأعلنت أنها صارت قطة وأخذت تحبو على أربع، وامتنعت عن الأكل على المائدة .

والتقمص فى السنوات الأولى ضرورى لنمو الطفل ، فعليه يتوقف كسب الطفل للغته ، ولهجتها ، ونغمة الصوت ، ونوع المشية ، وأسلوب المعاملة، والاتجاهات نحو الدين والتقاليد .. إلخ .

بعد أن استعرضت الصفحات السابقة أساليب التنشئة غير السوية، يجدر بنا هنا أن نتوقف وقفة، نحاول بها أن نتعرف الأسلوب السوى لتنشئة الطفل، وأهم النقاط التى يجب أن يتبعها المربون فى تنشئة الطفل .

خاتمة

أهم الجوانب الإيجابية التي يجب اتباعها في تنشئة الطفل من أجل تمتعه بصحة نفسية وشخصية سوية منتجة

الأسلوب السوى للمعاملة الوالدية

أهم الجوانب الإيجابية التي يجب اتباعها في تنشئة الطفل من أجل تمتعه بصحة نفسية وشخصية سوية منتجة

ومن أهم الجوانب الإيجابية التى يجب اتباعها فى تنشئة الطفل من أجل تمتعه بصحة نفسية وشخصية سوية منتجة، بعد أن استعرضنا التنشئة الاجتماعية للطفل وما يمكن أن يعمد إليه الأبوان والمربون من طرائق وأساليب فى تنشئة الأبناء وتطبيعهم اجتماعياً ، وبعد أن أوضحنا ما يمكن أن يترتب على كل هذه الطرائق والأساليب من عوائق وآثار نفسية تحدد مستوى ما يمكن أن تكون عليه صحة الطفل النفسية ، وبعد أن عرضنا لحاجات الطفل الطفل الجسمية والعقلية والانفعالية الاجتماعية ، وكيف يمكن للآباء والمربيين أن يشبعوا هذه الحاجات ، وركزنا فى عرضنا للحاجات الانفعالية الاجتماعية للعلامات الدالة على عدم إشباع هذه الحاجات ودور المربين إزاء الأطفال الذين لا تشبع حاجاتهم .. ثم بعد أن عرضنا للنتائج المترتبة على عدم إشباع حاجات الطفل إشباعاً تاماً من سلوكيات العدوان أو الارتداد أو الانسحاب أو الخضوع أو المرضى الجسمي النفسى ، أو اتخاذ الدفاعات كوسائل يحتمى بها من الإحباط .. فإنه يحق لنا الآن أن نتساءل :

كيف يستطيع المربون أن ينموا ويعززوا احتمالات الصحة النفسية السليمة لدى أطفالهم ؟ .

فى رأينا أن الأسرة لها دور بالغ الأهمية فى هذه الناحية ، فإذا راعت والتزمت فى تنشئتها لأطفالها عدة أمور، تعد بمثابة ضمانات أو متطلبات يترتب على مراعاتها إمكانة نمو الأطفال نمواً نفسيًا سليماً ؛ مما ينعكس بالتالى على استمتاعتهم بصحة نفسية سليمة ..

وتتلخص هذه الضمانات والمتطلبات فيما يلى :

١ - البعد عن الأساليب غير السوية :

البعد عن الأساليب غير السوية السابقة الذكر .. ونعنى بها التسلط والحماية الزائدة ، الإهمال ، التدليل ، القسوة ، إثارة الألم النفسى ، التذبذب ، التفرقة .. حيث إن هذه الأساليب لها عواقبها الوخيمة على تكوين الشخصية ، كما سبق أن أوضحنا .

٢- تقبل الطفل لذاته على ما هو عليه :

ونعنى بذلك ضرورة تقبل جنس الطفل سواء كان ذكراً أم أنثى ، وأيضاً تقبل شكله ، ما عليه ملامحه ولونه بصرف النظر عن أنه يشبه أشخاصاً يحبهم أو نكرههم، وتقبل ترتيب الطفل بين إخوته ، وتقبل ما تشتمل عليه شخصيته من ذكاء وقدرات ، واستعدادات وميول واهتمامات أو هوايات ، وليس هناك ما يدعو إلى مقارنة الطفل بغيره من الأطفال داخل الأسرة وخارجها ، فقد أصبحت الفروق الفردية حقيقة علمية مؤكدة فى الوقت الحاضر ، ولكننا نختلف فيما بيننا جميعاً كى نتكامل .

ولا شك أن تقبل الطفل غير المشروط – على ما هو عليه – يؤثر فى فكرة الطفل عن نفسه وتوجد علاقة وثيقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين ، وبالتالى يمكن القول بأن تقبل الطفل على ما هو عليه يعزز إيجابية مفهوم الفرد عن ذاته وتقبله لها ، وتكيفه معها ، وتكيفه مع الآخرين مما يؤثر فى النهاية على سلامة صحة الطفل النفسية .

٣- مساعدة الطفل على فهم ذاته والاستبصار بقدراته واحترامها :

ونعنى بهذه قدرة الطفل على تقييم ذاته تقييماً واقعياً؛ أى تعرف قدراته واحترامها ثم العمل على تنميتها إلى أقصى ما يمكن ، وهذا يتطلب ضرورة الكشف المبكر عما لدى الطفل من قدرات وإمكانات واستعدادات وتهيئة الطفل لاستثمارها والتعايش بها ومعها ، بدلاً من محاولة تحميله ما لا يطيق أو ما لا يتناسب مع ما لديه من قدرات وإمكانات .

وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة احترام الأسرة (أم – أب) لقرارات الطفل وعدم فرض مستويات طموح تفوق قدرات الطفل؛ مما يؤدى إلى فشله المستمر، وبذا يفقد احترامه لقدراته لأنه لا يقيسها اليوم بما كانت عليه بالأمس ، ومدى نمو هذه القدرات لديه . بل يقيسها بالمقارنة للمستوى الذى فرض عليه وطلب منه أن يصل إليه.. وحين يعجز للوصول على ما هو أعلى من قدراته، تكون الآثار والنتائج أسوأ ما يمكن فى بناء شخصيته ، فتأثير خبرات النجاح والفشل لها دور كبير فى نتيجة استبصار الطفل بذاته، والإحباط ، والفشل المستمر تترتب عليه عواقب وآثار نفسية سيئة .

٤- منح الطفل الثقة بذاته وبيئته من خلال انفتاحه على الخبرات والتدرج فيها :

ويتطلب ذلك عدم السخرية من أفعال الطفل وسلوكه وتفكيره أثناء لعبه الحر، هذا بالإضافة إلى عدم تعويقه أو تثبيط همته خلال أى عمل يقوم به يسهل سبل النشاط أمامه .. مادام أن هذا النشاط واللعب يتيح له إمكانة المرور فى خبرات مأمونة العواقب ، هذا مع البدء مبكراً فى تنمية الاستبصار بالذات لديه؛ حتى يتعود عملية تقييم ما لديه من قدرات وإمكانات تقييماً واقعياً ، تنعكس آثاره فيما قد يضعه لنفسه من أهداف ، بحيث تأتى هذه الأهداف ذات إمكانة تحقيق عالية مما يثبت الثقة فى نفسه ، وتستطيع الأم أن تشرك الطفل معها فى بعض الأعمال البسيطة المتصلة بإشباع حاجات الطفل الشخصية، وهذا الإشراك فى العمل البسيط الخاص بالطفل سوف يساعده على النمو المتكامل .

يضاف إلى ذلك مراعاة التدرج فيما يقدم للطفل من مهارات حركية؛ بحيث يتناسب مع مراحل نمو الطفل تلافياً لموقف الإحساس بالفشل والإحباط، التى يعيشها الطفل عندما يجد نفسه مطالباً بأداء حركات تفوق طاقته ومرحلة نموه وتتطلب منه قسطاً من الضبط أو السيطرة البدنية لا تتوافر لديه ، ولاشك أن التدرج مع الطفل فى هذه الناحية يكفل الانتقال الطبيعى من مستوى إلى آخر مع الاستمتاع بكل مستوى يعيشه أو يجتازه . وبذلك نكون قد أعطينا للطفل فرصة ليثق بذاته وقدراته من خلال مروره بهذه الخبرات والنجاح فيها ، هذا بالإضافة إلى أننا أعطيناه ثقة فى بيئته المحيطة به التى أتاحت له الخبرات المناسبة، ولم تسخر من أسلوب أدائه لها وتفاعله معها .

ويتضح لنا مما سبق أن الثقة بالذات وبالآخرين وبالبيئة يكتسبها الطفل من خلال إعطائه حرية التجريب والاختيار واللعب والحركة ، ولكن على المربى أن يتوقع من الطفل الخطأ فى بعض تجاربه ومحاولاته ، خصوصاً فى محاولاته الأولى ، وعلى المربى (وبالذات الأم) أن تعلم أن الخطأ قانون من قوانين التعلم ، وكذلك فلايجب أن يبث الخوف من الفشل فى نفس الطفل، فالخوف من الفشل غالباً ما يفقد الطفل ثقته بذاته وبقدراته ؛ فيلجمه عن العمل والحركة بل وحتى اللعب الحر .. وعلى المربى أن يعلم أن الإنسان قد يتعلم من أخطائه ، والمهم فى مواقف الفشل أن نعود الطفل تحمل الفشل دون إحساس بهوان أو نقص ، بل مساعدته على أن يتعرف أسباب خطئه ليستفيد منها ويتجنبها فى المستقبل .

٥- مساعدة الطفل على الاستقلال :

ونعنى بذلك الاستقلالية من التفكير والسلوك، مع ملاحظة التدرج فى ذلك والحرص على أن يتم فطام الطفل نفسياً عن والديه فى وقت مبكر قدر الإمكان ويمكن ذلك من مطلع عامه الثانى للميلاد ، وبعد أن يثق الطفل فى ذاته وقدراته وفى بيئته المحيطة به يصبح محتاجاً إلى تأكيد ذاته من خلال حبه للاستطلاع، ويجب مساعدة الطفل على هذا التأكيد والاستقلال رغم اعتماده فى أشياء كثيرة على المحيطين به من الكبار.

ويمكن مساعدة الطفل على هذا فى مرحلة مبكرة تبدأ مع بداية عامه الثانى، ولكن على الأم أن تكون صبورة مع طفلها إن أرادت أن تعوده الاستقلال، فإذا ما قدمت له الطعام سوف يحاول أن يأكل بنفسه وبالطبع لن تسمح له درجة نمو أعضائه بالنجاح التام فى أداء هذا ؛ مما يحمل الأم أعباء عمل إضافية ولكن بشيء من الصبر والمساعدة القليلة لابد وأن تحرز نجاحاً يساعد طفلها على الاستقلال، كما تستطيع الأم أن ترتب منزلها بحيث يناسب الطفل المتجول فى هذه المرحلة ، الكثير الحركة والمحب للاستطلاع حتى تمنع الحوادث ، وإذا ما ساعدت الأم طفلها فى هذه السن المبكرة على الإحساس بالاستقلال سوف تسعد بذلك مستقبلاً ، فمثلا : إن عودته النوم فى سرير خاص به، لا شك فى أن ذلك سيريحها بعد ذلك ... ... إلخ .

المهم إحساس الطفل بأنه شخص مستقل، ومع ذلك يقدر أن يستخدم مساعدة الآخرين وتوجيههم فى الأمور المهمة، وبذلك يستطيع أن يضبط الطفل ذاته ، وإذا عرفت الأم أن الطفل فى هذه المرحلة يمر بفترة نضج الجهاز العضلى لحاولت مساعدته فى الاعتماد على نفسه، دون غضب أو ثورة من فشله فى عمل، أصر عليه.

وفى هذه الفترة – فترة نضج جهاز الطفل العضلى – يترتب على هذا النضج تآزر وتوافق عدد من أنماط الحركة والفعل المتصارعة المختلفة ، كالإمساك بشيء وتركه ، وكالمشى ، والكلام ، والقبض على الأشياء وتناولها بطرق معقدة ، ويصاحب هذه القدرات وينشأ معها صفات أساسية تدفع الفرد للنمو ويمكن استخدام هذا التآزر فى الارتياد والكشف والإمساك .. إلخ .

ويصاحب كل هذا إرادة مسيطرة من الطفل تقول «أنا أفعل»، وواجب الأم هنا مساعدة الطفل على الاستقلال، مع مراعاة عجز الطفل نتيجة مروره بفترة عمل لنضج جهازه العضلى وبالتالى إحساسه بالاعتماد على ذاته . ولذلك لابد وأن يسمح للطفل أن يختار ما يسلك وما يتصل بالطفل ليشعر بالحرية .. وبأن له حق الاختيار

مثلاً فى أن يجلس أو يقف ، يقترب من زائر ، أو يبتعد عنه ، يقبل الطعام المقدم له أو يرفضه .. إلخ .

المهم أن تبث فيه بذور الاعتماد على نفسه والاستقلال بذاته وأن يتعلم فى الوقت نفسه أنه رغم تصميمه وإرادته على عمل الأشياء التى يريدها سوف يلقى أشياء لا يمكن أن تصل إليها يداه ، وعقبات لا يستطيع تسلقها أو التغلب عليها .

المهم فى هذه المرحلة من أجل إكساب الطفل إحساسه بذاته وحريته واستقلاله، ينبغى أن يتجنب الكبار فى توجيههم للطفل إحراجه أو إخجاله أو تشكيكه فى ذاته كشخص ، وأن يسلكوا معه فى حزم وتسامح؛ بحيث يستطيع أن يتمتع بكونه شخصاً مستقلاً، كما ينبغى على الآباء أيضاً احترام رغبة الطفل فى تأكيده لذاته، وأن يساعدوه على ذلك فى حدود معينة، وأن يتجنبوا معاملتهم له بطرق تثير فيه الخجل والشك .

٦- تشجيع الطفل على المبادأة والإقدام :

إن إثراء بيئة الطفل من خلال الحركة والنماذج وأنواع الأدوار التى يقوم بها الكبار من العوامل المساعدة على اختيار ما يناسبه لتفكيره ؛ فالطفل من خلال لعبه وحركته يريد أن يكتشف أى شخص، يمكن أن يكونه فى المستقبل، وهو يرى بوضوح أن هذا يتضمن القدرة على أن يعمل أنواعاً معينة من الأشياء، وعلى هذا يلاحظ باهتمام بالغ ما يعمله الراشدون من حوله ، أبواه .. مدرسوه وغيرهم من الكبار المحيطين به وتستهويه وظائفهم وسلوكهم .. ضباط ، أطباء ... إلخ ، ويحاول أن يقلد سلوكهم ويرغب أن يشارك فى أنواع نشاطهم فالطفل فى سنواته الأولى لا يتعلم من خبراته هو فقط بل يكتسب خبرات الراشدين ، ومهاراتهم ومعاييرهم الجمالية والأخلاقية ؛ أى يستوعب تجربتهم الاجتماعية عن طريق اتصاله بهم، وهذه تكون نواة حركاته الأولى فى اللعب فهو يقلد الكبار وكلما أثرينا بيئته زاد تقليده ولعبه وحركته .

ومن الرابعة تقريباً ينشط خيال الطفل ويبدأ فى استبدال أحلام اليقظة بتنفيذ واقعى حرفى لرغباته بين الواقع العقلى والخيال ، وهذه تصبح عاملا مساعداً على نجاحه ، وإحساسه بذاته ، واحترامه لقراراته ؛ حيث تبدأ مرحلة تعلم ناشط عنيف .. تعلم يقود الطفل إلى إمكانيات مستقبلية، ويصبح نشاط الطفل نشاطاً تخلليًا تدخليًا مهاجماً فهو يهاجم أجسام الآخرين بالعدوان الجسدى ، وآذانهم وعقولهم بالحديث المرتفع والضجيج ، والاندفاع فى المكان عن طريق الحركة العنيفة النشطة، يدفعه

لذلك حب استطلاع شديد، وبالطبع يواجه الطفل نتيجة لتصرفاته المهاجمة بالعقاب أو بلوم على كل ما يقوم به من أفعال مما يحد من نشاطه ومبادأته . وهنا يجب أن يتنبه المربون إلى أن عقاب الطفل الدائم المتكرر على هذا النشاط يحد من مبادأته وإقدامه اللازم لنمو شخصيته .. لذلك لابد وأن يقدم الكبار للطفل الخامات والأدوات المتنوعة، التى يمكن أن يستقبل فيها نشاطه، بل ويشجعونه على أعماله ومشروعاته التى يستخدم فيها خياله ، وأن ينقصوا العقاب إلى الحد الأدنى ، وأن يمتدحوا إنتاج الطفل وثمرات عمله، بل ويقومون بتشجيعه وإفهامه بأنه سوف يصبح يوماً من الأيام قادراً على أن يقوم بالأعمال، كما يقوم بها الكبار، وقد يقوم بها أفضل وأحسن من الكبار.

والطفل ابتداءً من الرابعة والخامسة تقريباً، يبدأ مرحلة تكوين اختيار أهدافه الاجتماعية بل ويثابر فى محاولة الوصول إليها ، فإذا حيل بينه وبين الإقدام على العمل والحركة واللعب وبناء مشروعاته ، وإذا قيد خياله ، وإذا منعه الآباء وغيرهم من المربين من تنفيذ ما يرغب فيه ، وإذا ما عاقبوه على ما يقوم به من ألوان النشاط، وإذا ما انتقدوا وسخروا من ثمار أعماله ، ومنعوه بذلك من الإقدام والمبادأة خوفاً من النقد والتأنيب وحصروا قدراته وقيدوها من الانطلاق والنمو.. كل ذلك يعمل على إحساسه بالنقص ..

وبداية من الرابعة، يبدأ الطفل فى التعلم بشغف وسرعة ليصبح كبيراً بمعنى أنه يتحمل المسئولية وأن يشارك فى العمل ، فإذا ما استطاع الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة أن يفهم ويدرك جزئياً بعض الأدوار والوظائف التى يستطيع أن يقوم بها كشخص راشد .. فإنه يستطيع أن يتقدم بنجاح متغلباً على مخاوفه من الفشل من المبادأة والإقدام ، ولا شك فى أن المبادأة والإقدام من أبرز سمات الشخصيات المنتجة التى نحتاجها فى وطننا، ولذلك لابد وأن يبتعد الآباء والكبار عن عقاب الطفل أو تأنيبه من أجل مبادأته وإقدامه .

٧- تشجيع الطفل على الإنجاز وإتمام ما بدأه :

يحتاج الطفل إلى أن ينصرف إلى الأعمال الحقيقية التى يستطيع أن ينجزها ويكملها، خصوصاً مع بداية مرحلة دخوله المدرسة الابتدائية التى لا زال ينشغل فيها ببقايا الأحلام ؛ ولذلك لابد وأن يدرب الطفل قبل دخوله المدرسة الابتدائية ولو بقليل على القيام بالأعمال النافعة اجتماعيًا ، وتستطيع الأم – كما سبق وقلنا– أن تشرك طفلها فى أعمال المنزل الخاصة بالطفل ، كما تستطيع من خلال الخامات (صلصال ، ورق ملون ، خيوط) ألوان ، مكعبات ، فوارغ المنزل غير الضارة واللعب ... إلخ ، أن

تقوى الطفل على العمل والتمتع بثمار نتائجه وامتداحها أمام الأهل والأقارب ... إلخ فإذا رسم لوحة فى حدود قدراته تستطيع أن تمتدحها وتضعها فى حجرته ، وتشيد بها أمام الآخرين وإذا صنع زهرية أو لعبة كذلك ... إلخ ؛ خصوصاً وأن الطفل بعد فترة التخيل المستقل يريد أن يبدأ فى تعلم كيف يقوم بعمل الأشياء فى دقة وإتقان ، بعد أن بدأ مرحلة تتسم بالنمو المنتظم الهادئ ، وهنا تستطيع الأم وبقية المربين فى المدرسة أن يساعدوا الطفل على البدء فى وضع أسس للمواضيع الصالحة لتحمل المسئولية .

وفى هذه الفترة يكتسب الطفل المعارف والمهارات اللازمة للقيام بالأعمال ، ويكتسب كذلك القدرة على التعاون مع الغير ، ولذلك فعلى الأم أن تستثمر ذلك ، وأيضاً فى المدرسة يجب عليهم استثمارها ، وإذا عرف جميع القائمين على شئون الطفل أن الفروق الفردية مبدأ أساسى موجود بين الأطفال، ومعترف به، لابتعدوا عن مقارنة نتائج أعمال الأطفال ببعضهم وإبعادهم عن التنافس المدمر ، وإشعارهم بالإخفاق المستمر الذى يهدم شخصية الطفل فيجعله عنيفاً هجومياً أو يشعروه بالدونية والنقص .

ويجدر بنا أن نذكر أن الإحساس بالدونية والنقص يرتبط بعدم الشعور بالأمن والأمان والحب وهذه من أهم الحاجات اللازمة للطفل من أجل بناء شخصية سوية ؛ ولذلك على المربين أن يحثوا الطفل على العمل والتحصيل فى ظل قدراته حتى يستطيع أن ينجز أعماله فى جو من الحب والأمان ، وإذا ما شعر الطفل فى بيئته بالأمن والأمان والحب ، وشجع على الاستمرار فى أعماله ، وامتدحت هذه الأعمال مع التوجيه إلى الأحسن والتفوق على نفسه باستمرار، لابد وأن يستطيع الطفل أن ينجز إنجازاً طيباً ويحصل تحصيلاً مرضياً ، ومتقدماً على الدوام .

٨- معاونة الطفل على اكتساب الضمير الاجتماعى :

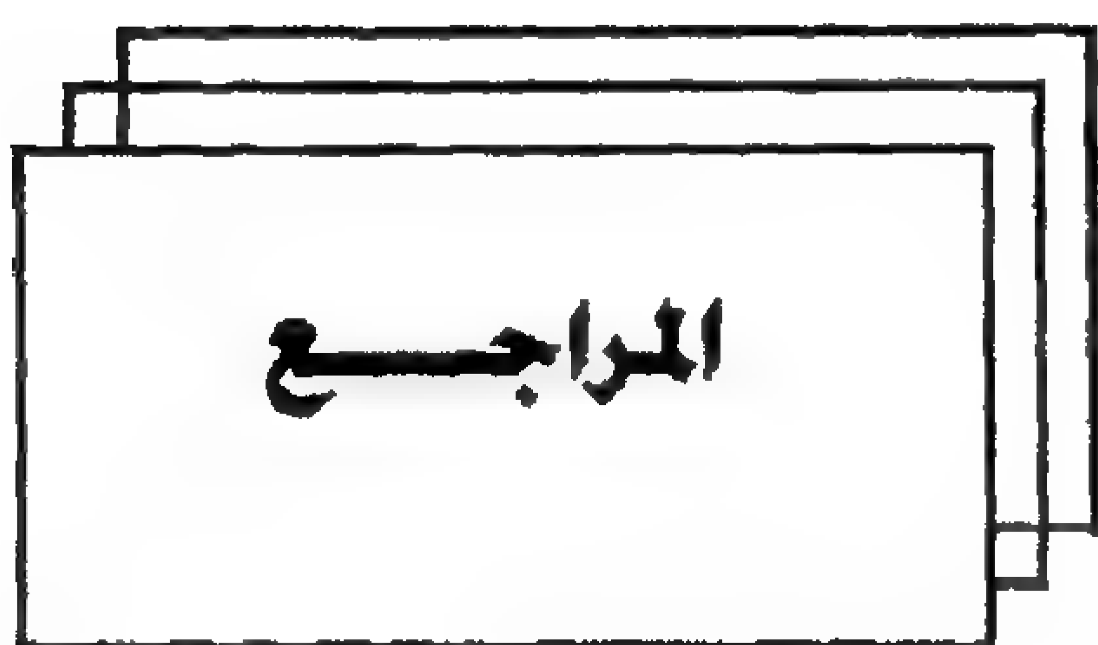
يعتبر الطفل فى بدء عهده بالحياة كائناً بيولوجيًا إلى حد كبير ، تحركه حاجاته ودوافعه البيولوجية (طعام – إخراج – نوم – تنفس – ... إلخ)، ويتميز سلوكه عندئذ بالسعى فى سبيل اللذة ، وتجنب الألم وإشباع حاجاته إشباعاً فورياً ، ورفض إرجاء هذا الإشباع ، ويتحتم على الطفل أن ينتقل تدريجيًا ومع تقدمه فى السن من هذه المرحلة البيولوجية إلى مرحلة اجتماعية كى يصبح كائناً اجتماعياً ، وهذا يعنى أن يلزم فى مسلكه بقيم وعادات وتقاليد مجتمعه الذى يعيش فيه ، ويصبح هذا من الشروط الضرورية لإشباع حاجاته إلى الانتماء؛ أى إن علاقة الفرد

بمجتمعه تصبح ملزمة له باتباع ثقافة المجتمع ، التى يعترف بانتمائه لهذا المجتمع الذى يلتزم بثقافة .

التزام ←

انتماء →

وعلى هذا فعلاقة الفرد بالمجتمع علاقة أخذ وعطاء ، فالفرد يشبع حاجة ضرورية لديه - هى حاجته إلى الانتماء - ويلتزم مقابل هذا الإحساس بقيم وعادات وتقاليد (ثقافة) المجتمع الذى يعيش فيه وينتمى إليه ؛ بحيث يتبنى لنفسه ضوابط ذاتية للسلوك ؛ حتى يتجنب رفض المجتمع له أو نبذه إياه نتيجة الخروج بمسلكه على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، مع ما يمكن أن يترتب على ذلك من عواقب وآثار نفسية سيئة ، وتستطيع الأم وغيرها من القائمين على رعاية الطفل أن تقوم بدور بالغ الأهمية فى تبصير الطفل لهذه الضوابط وتنميتها لديه .


المراجـــع

المراجع العربية :

(١) أبو الفتوح رضوان (وآخرون) : المدرس فى المدرسة والمجتمع ، القاهرة .

(٢) أحمد عبد العزيز سلامة ، عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ .

(٣) أحمد عزت راجح : الأمراض النفسية والعقلية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ .

(٤) بثينة إبراهيم : مشكلات ثقافة الطفل الأدبية فى المجتمع المصرى ، ندوة العمل مع الأطفال ، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .

(٥) جون كونجر (وآخرون) : سيكولوجية الطفولة والشخصية ، ترجمة أحمد عبدالعزيز سلامة ، جابر عبد الحميد جابر ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

(٦) حامد عبد العزيز الفقى : دراسات فى سيكولوجية النمو ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧١ .

(٧) سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى (ج ٢) ، القاهرة ، ١٩٨١ .

(٨) عادل عز الدين الأشول : علم النفس النمو ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ .

(٩) عباس محمود عوض : مدخل إلى الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

(١٠) فاطمة المعدول : مسرح الطفل ولعبة المسرح : ندوة العمل مع الأطفال، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .

(١١) فاروق محمد العادلى : الأنثروبولوجيا التربوية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨١ .

(١٢) فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٠ .

(١٣) فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨١ .

(١٤) كريتشن وكريتشفيلد ، وبلاتشى : سيكولوجية الفرد فى المجتمع ، ترجمة حامد الفقى ، سيد خير الله ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٤ .

(١٥) كمال دسوقى : علم النفس ودراسة التوافق «طبعة ثانية» ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .

(١٦) كمال دسوقى : النمو التربوى للطفل والمراهق ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ م .

(١٧) محمد شعلان : الاضطرابات النفسية فى الأطفال ، ج ٢ ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ١٩٧٩ .

(١٨) محمد عماد الدين إسماعيل (وآخرون) : كيف نربى أطفالنا ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤ .

(١٩) مصطفى زيدان : السلوك الاجتماعى للفرد والإرشاد النفسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ .

(٢٠) مصطفى فهمى : التوافق الشخصى والاجتماعى ، مكتبة الخانجى ١٩٧٩ .

(٢١) مصطفى فهمى : الصحة النفسية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٦ .

(٢٢) منى جاد : أهمية ومتطلبات تطوير دور الحضانة ورياض الأطفال فى ج . م . ع . ندوة العمل مع الأطفال ، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .

(٢٣) نبيه محمد حموده : التأصيل الاجتماعى للتربية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

(٢٤) هنرى ماير : ثلاث نظريات فى نمو الطفل ، ترجمة هدى محمد قناوى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ .

(٢٥) هدى محمد قناوى : دليل رياض الأطفال ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨١ .

(٢٦) هدى محمد قناوى : دراسة تحليلية لمحتوى بعض برامج الأطفال التليفزيونية فى ج . م . ع . مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٨١ .

(٢٧) يعقوب الشارونى : حول وسائل الإعلام للطفل ، تقييم ونظرة مستقبلية ، ندوة العمل مع الأطفال ، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ١٩٧٨ .

(٢٨) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، هيئة بحوث الشباب : الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(29) Dollard, John, *et al.* Frustration and Aggression. New Haven: Yale University Press. 1939 .

(30) Dunbar, Helen Flanders . Mind and Body, New York : Random House, 1955 .

(31) Frank, Lawrence. Kelso. The Fundamental Needs of Child; A Guide for the reading and education of young children - New York : National Association for Mental Health, 1952 .

(32) Lorens, Korad. On Aggression, New York; Harcourt, Brace & World, 1966 .

(33) Rajpal, P. L. Improving the preparation of classroom teachery College Student Journal, in Press.

(34) Raths Louis F; Meeting the Needs of Children, Columbus, Ohio: Charles L Publishing . Merril Co. 1972 .

(35) Ribble, Margaretha Antoinette, The Rights of Infants: Early Psychological Needs and their satisfaction. New York, Columbia University. 1943 .

(٣٦) بوديلوفا ، ى. م . : المشكلات النفسية فى علم النفس السوفيتى ، موسكو ، ١٩٧٢ (المرجع باللغة الروسية) .

(٣٧) فيجوتسكى ل. س. : نمو الوظائف العقلية العليا ، موسكو ، ١٩٦٠ (المرجع باللغة الروسية) .

(٣٨) ليونتييف ، أ . ن : الحاجات والدوافع والعواطف ، موسكو ، ١٩٧١ (المرجع باللغة الروسية) .

(٣٩) ليونتييف ، أ . ن : عن المدخل التاريخى فى دراسة سيكولوجية الإنسان فى كتاب : علم النفس فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، المجلد الأول ، ١٩٥٩ (المرجع باللغة الروسية) .

هذا الكتاب

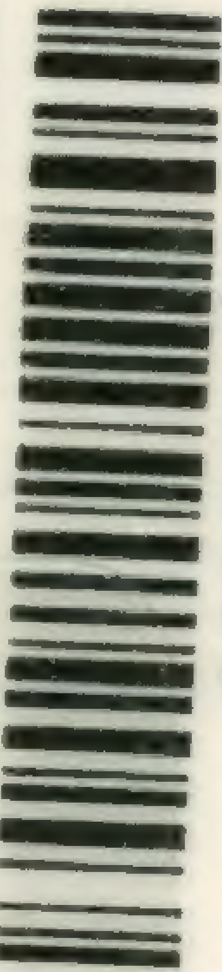
ينطلق هذا الكتاب فى مضمونه ، نحو الثروة الحقيقية التى تعدها أى أمة تطمح فى أن يكون لها حاضر قوى ومستقبل واعد تتيه به على سائر الأمم ..

يتوجه الكتاب نحو الطفل ، باعتباره ذلك الكنز والذخيرة التى تعدها للغد .. الطفل .. تلك الثروة الهائلة لقيادة أى أمة فى غدها ..

يتعامل الكتاب - عبر فصوله العشرة - مع الطفل كمنظومة متكاملة الأبعاد .. مركزًا فى فصوله الثلاثة الأول على التنشئة الاجتماعية ومفهومها وعوامل حدوثها والمؤسسات القائمة بها ، ثم ينطلق بعد ذلك نحو الاتجاهات الوالدية وأثرها فى حياة الطفل .. ويعاود الكتاب فى الفصول الخامس ، والسادس والسابع العلاقة الوطيدة بين حاجات الطفل وإشباعها والتنشئة الاجتماعية .. ثم يتناول فى الفصول الثلاثة الأخيرة الإجابة عن : ماذا يحدث لو لم يتم إشباع هذه الحاجات .. مركزًا فى خاتمته على وضع نموذج مثالى للأسلوب السوى فى المعاملة الوالدية ..

إن الكتاب يشكل فى صفحاته عملاً موسوعيًّا متكاملاً ، يتخذ من الطفل وسيلة وغاية ... وسيلة لتحقيق الثراء البشرى لهذه الأمة ، وغاية للوصول بها إلى هدفها المتمثل فى صونها لذخيرة المستقبل الواعد الباسم ...

الناشـــر









http://www.anglo-egyptian.com



ISBN 977-05-2377-1

